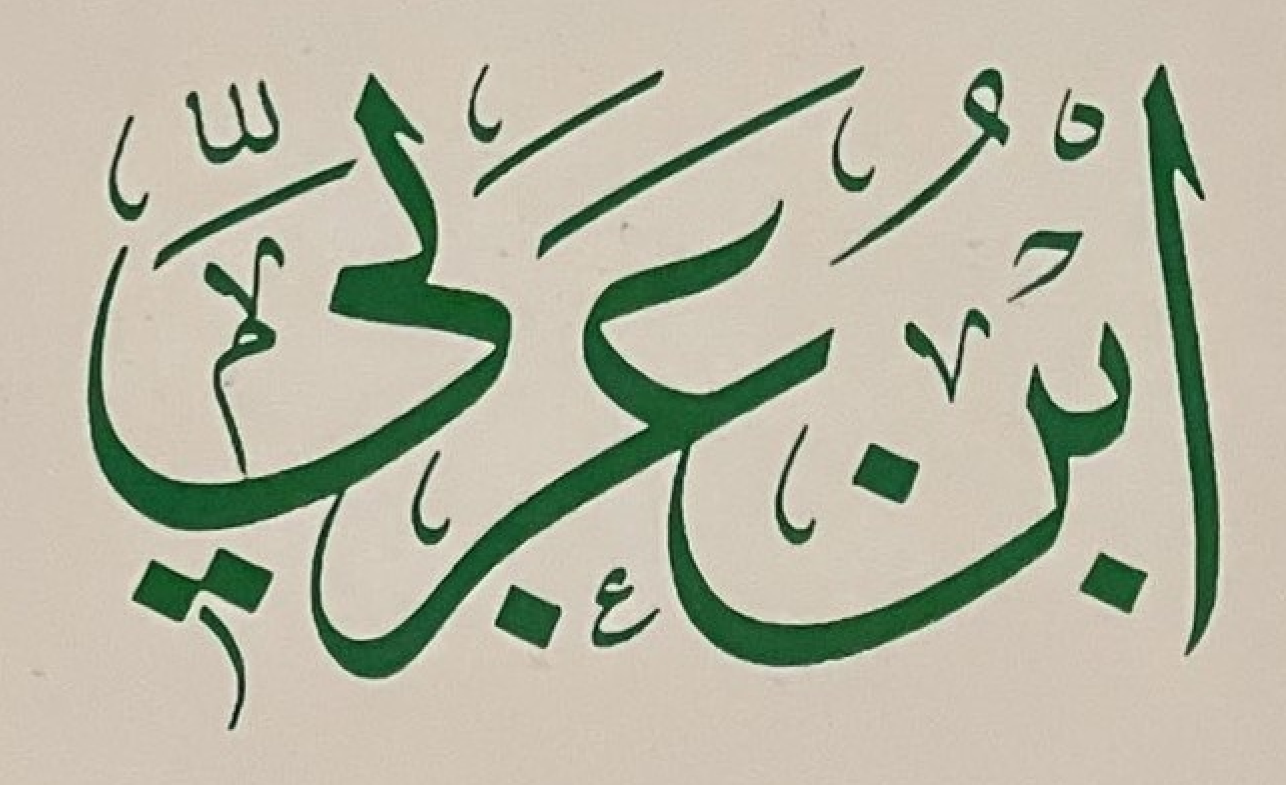
لمحات من تاريخ (نجد) في عهد الدولة الأموية :



مُوطدُ الحُكم الأُمويّ في نجد

تأليف

حمد الجاسر

٩٥٣,٠٣
٧٣١ ج الجاسر، حمد بن محمد
ابن عربي، موطد الحكم الأموي في نجد .ـــ الرياض:
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٣٠٠ ص، ٢٤ سم
ردمك ٠ ـ ٣٠ ٠ ـ ٢٧ ـ ٩٩٦٠
١ ـ نجد ـ تاريخ ـ العصر الأموي
٢ ـ الملوك والحكام ـ نجد
٣ ـ ابن عربي، إبراهيم أ ـ العنوان
رقم الإيداع: ٠٧٣٥ / ١٤

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م



مدخــل البحث:

الحمد لله حَقَّ حمده، وَصَلَّى الله وَسَلَّم على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه، أما بعد:

١ ـ يُعَدُّ إبراهيمُ بنْ عربيّ من أطول ولاة بني أميـة زمناً أثنـاء ولايته، فقـد عـاصر بِدَايـةَ استقرار الحكم منـذ سنـة ثـلاث وسبعـين في عهـد عبـدالملك بن مروان، وبقي حتى عهد الوليد بن عبدالملك سنة خمس بعد المئة ـ أي نحو اثنتين وثـلاثين سنـة ـ مع مـا يتخلل ذالك من فتـرات قصيرة كـان معزولا في عَهْـدَيْ سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعـزيز، وكـان ذا صلة بالحجـاج بن يوسف المعـروف بِشِدَّتـه وصرامتـه أثناء ولايتـه في الحجاز ثم في العـراق، فتأثـر به ابن عربي، وسار أثناء ولايته سيرته.

من هنا كان عنوان البحث.

٢ ـ ينبغي التفـريق بين مـدلول كلمـة (اليمامـة) من الناحيـة الجغرافيـة، ومدلولها من الناحية الإدارية، فـ (اليمامة) جغـرافيًّا يقصـد بها إقليم يقـع وسط الجزيرة، بين منطقتي نجد والبحرين، ويُحَدُّ جنوباً بما انحدر من مرتفعـات جبال السراة من الأودية، كوادِي (تَثْلِيْثَ) ووادي (بِيْشَة) ووادي (رَنْيَة) وما يتصـل بها من الشعـاب، ومن الشمـال بـالـرمـال الفـاصلة بـين هـذا الإقليم وبـين إقليم القصيم، نفود الثُّوَيْرات، ونفود المُسْتَوِي.

أما من الناحية الإدارية فقد كان اسم (اليمـامة) في العهـد الأموي يشمـل الإقليم الجغـرافي كله حتى حـدود البحـرين شـرقـاً، كـما يشمـل منـطقـة نجـد الواسعة.

٣ ـ لم تَحْظَ ولايةُ اليمامة في صدر الإسلام قبل العهد الأموي باهتمام كبير من الخلفاء الراشدين ويرجع ذالك إلى أسباب.

منها: أن الأوضاع الإدارية لم تستقر بَعْـدُ، ولم تتخذ نهجـاً واضحاً، ولهـذا بقيت في هذه المنطقة أقربَ ما تكون إلى ما عرف عن العـرب من سيطرة النفـوذ القبلي.

ومنها: ما حدث في هذه البلاد بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ من ارتداد كثير من السكان عن الإسلام، مما كبَّدَ المسلمين حروباً استشهد فيها جَمٌّ غفـير منهم، فأبقى حـزازات في النفوس نحـو هـذه البـلاد، أضعف الاهتمـام بـولايتها، فكـانت في بعض الأحوال تُضَمُّ إلى بعض الأقـاليم الأخـرى كَعُمَـانَ والبحرين، كما حدث هذا في عهد عمر بن الخـطاب ـ رضي الله عنه ـ ممـا سيأتي مفصـلاً ـ ولكن الحالـة في العهد الأمـوي تَغَيَّرَتْ فـأولاها الأمـويـون قَـدْراً من العنـاية، فـأُضيفت وِلايتُها في عهـد معاويـة إلى والي المدينـة؛ لمكانتهـا في نفس الخليفة، ولِكَوْنِ وُلاَتِهـا ذوِي صلةٍ به، ومن عهـد عبدالملك بن مـروان إلى عهد هشام بن عبدالملك كـان الخليفة هـو الذي يختـار الواليَ، ويبقى مُتَّصـلاً به، في شؤونه الإداريةِ، وحين أوشكت الدولة الأموية على الانتهاءِ رُبِطَتْ ولايـة البلاد بوالي العراق.

ومَنْشَأُ عناية الأمويِّين باليمامة ما أَدْرَكُوْهُ من إمكان الاستفادة من هذه البلاد من الناحية الاقتصـادية وخـاصة في الـزراعة، ففي منـطقة (الْخَـرْج) وغيرهـا، كـ (الأَفْلاَجِ) عيونٌ جـارِيةٍ وأراضٍ خصبـة لا تزال بِكْـراً، وهذا مـا لفت نظر معاويةَ بن أبي سفيان ـ رحمه الله ـ إلى استغلال سُيُوح (الْخَـرْج) بإرسـال الآلاَفِ من الزُّرَّاع من أهل الشام، للعمل في إحياء تلك المنطقة بزراعتهـا، ثم ما كـان في عهد عبدالملك بن مـروان من تمكين مـوالِيْهِ آلِ أبي حَفْصـةَ من الاستقرار في

المنطقة،مع إرسال من يُعْنَى بشؤونها الزراعية من الشام، إلا أنَّ العنايةَ بالناحية الزراعية لم تستمر، فقد ضعفت بضعف الدولة الأموية، حتى آلَ الأَمْرُ إلى أنه حين استولى العباسيون على ما للأمويين من أملاك، ومنها (السيوح) في منطقة (الْخَرْج) التي أصبحت فيها بعد من أوقاف الخليفة المعتصم، آلَ الأَمْرُ إلى أنه لما وفد الشاعر مروانُ بن أبي الجنوب من آل أبي حفصة سنة سبع وأربعين ومئتين تقريباً على الخليفة المتوكل، ومدحه بشعره لم يكتفِ بأن عقد له على ولاية البحرين واليمامةِ، وأغرقه بالهبات والمنح، وكان أن طلب منه ضيعةً كان أمر بإقطاعه إيَّاها، فذكر له ابن الْمُدَبِّر أنها في وقف المعتصم على ولده، ولا يجوز إقطاعها، فقال المتوكل: إني أُقَبِّلُكَهَا بدرهمٍ في السنة،مئة سنة!! فقيل له: لا يحسن يا أمير المؤمنين أن يُؤَدَّى دِرْهمٌ في الديوان، فقال ابن المدبر: فألف درهم، فقال مروان: نعم. فأنفذها الخليفة له ولِعَقِبه، وأقطعه ضياعاً منها (السيوح) بمئة درهم في السنة[1].

٤ ـ كان هذا البحث من أوائل ما اتجهت للكتابة في موضوعه، في عهدٍ كنتُ أُحِسُّ أَنَّ في استطاعتي أن يكون بدايةً للاستمرار في كتاباتٍ على نَسَقِهِ، تشمل تاريخ هذه البلاد من أقدم عصورها إلى عهدها الحاضر، إلَّا أنني بعد أن أكملتهُ وقَدَّمْتُ مَوَادَّهُ للطبع، حدثت حوادثُ بيروت، التي لم يقتصر تأثيرها السَّيِّءُ على فُقْدَانِ ما قدمته للطبع وفقدانِ غيره مما جمعته، بل أحدثت في النفس من التأثر ما صرفني عن الموضوع كله،إلَّا أَنَّ ابْناً كريماً هو الأستاذ عبدالرحمن الشَّثْرِي ـ رئيس تحرير مجلة «الحرس الوطني» ـ كتب إليَّ عاتباً عن عدم إمداد المجلة بشَيْءٍ من كتاباتي، فكان أن عمدت إلى الذاكرة لكي تسعفني بما أحقق به تلك الرغبة الأثيرة في نفسي، فذكرت ما اتجهت إليه قبل ثلاثين عاماً، مما بقي في الذاكرة منه خيوط دقيقة جدًّا عَمَّا كنت جمعته من معلومات،

---

(١) «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ٢٤٧ ـ ج ٩ ص ٢٣٢ ـ ط. دار المعارف.

تتمثل أغلبها في معرفة بعض المصادر القديمة، مع ما تمَكَّنْتُ من الاطِّلاع عليه من مؤلفات حديثة في الفترة الأخيرة، ومن هنا كان هذا البحث، الذي نشرت حلقات منه في المجلة المذكورة[1].

٥ ـ قد يلاحظ على الأسلوب إيراد النصوص كاملة، وتكرار بعضها، وكثرة الشواهد الشعرية بخلاف ما اعتاد الباحثون من تقديم خلاصة ما يستشهدون به من نصوص، مع الاكتفاء بالإشارة إلى مصادرها، إلَّا أَنَّ طبيعةَ هذا البحث لكونه قُدِّمَ لعامة القراء لا للخاصَّةِ، ولِاحْتوائه على نصوص لم يسبق نشرها من كتاب البلاذُرِيِّ مع شواهد شعرية ذات صلة ببلادنا مما لم يرِدْ فيما بين يَدَيْ كثير من القراء من كتب الأدب، كل هذا استدعى تبسيط الأسلوب.

٦ ـ لن يَجِدَ القارئُ في هذا البحث ما يتطلع إليه من تفصيل، لكثير من الجوانب التاريخية، فما قدمته للقراء فيه لا يَعْدُوْ نُتَفاً تاريخية قصيرة أو لمحات موجزة، هي كل ما استطعت العثور عليه فيما تَسنَّى لي الاطلاع عليه من المصادر التي تحت يَدِي. ولكنني ـ مع ذالك ـ مُطْمَئِنٌّ بأنني وقد حاولت الاستقصاء في تَتَبُّعِهَا، قد أَبْلَغْتُ النَّفْسَ عُذْرَهَا.

٧ ـ حاولت ان اوضح المواضع برسم مواقعها فأفضل أخي الدكتور أسعد بن سليمان عبده ـ أستاذ علم الجغرافيا في جامعة الملك سعود ـ بإمدادي برسم ما أردت توضيحه مما اجدني عاجزًا عن إيفاء حقهِ من الشكر حياله، مما سيجده القاريء في آخر الكتاب.

---

(١) ابتداء من العدد ١٢٦ شعبان ١٤١٣ هـ (فبراير ١٩٩٣م).

الأوضاع الإدارية في هذه البلاد في صدر الإسلام

مما ينبغي أن يلاحظ أن التعريفات الجغرافية في ذالك العهد لم تأخذ وضعاً مستقرًّا، ومن هنا ينبغي التفريق بين مدلول مسمى (اليمامة) جغرافياً ومدلوله إدارياً في ذالك العهد الذي يكثر التعبير فيه عن ولاية اليمامة، ويراد بها أشمل من المدلول الجغرافي، فهي تعم نجداً كلها، ولكن القاعدة كانت مدينة حَجْرٍ في منطقة اليمامة.

ومن المعروف أن الأوضاع الإدارية في أول العهد الإسلامي بصفة عامة لم تستقر بعد، وإنما بدأَتْ في الاستقرار وبرزت سمات التنظيم الإداري بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية في الأقطار التي كانت تخضع لدولتي الفرس والروم كالعراق والشام ومصر.

وفي عهد الرسالة شمل حكم الإسلام الجزيرة كلَّها، فقد كان رؤساء قبائلها يَفِدُون إلى المدينة معبرين عن قبولهم لأحكام الإسلام، فَيُكْتَفى منهم بإقرارهم ظاهراً مع القيام ببعض الواجبات الدينية كتأدية الزكاة، وما كان خضوع كثير منهم عن قناعة ورضا، وإنما كان انْقياداً مبعثه الخوف: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُم** ﴾[1].

ولهذا فسرعان ما ارتد كثير منهم بعد وفاة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فامتنعوا عن أداء الزكاة حتى أُخْضِعوا بالقوة في عهد الخليفة الأول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وما كانت الحاضرة كلها بأسعد حظاً من البادية في هذا الأمر، بل كانت حالتها أسوأ إذ هي متأثرة في الأعم الأغلب في جميع أحوالها بالنفوذ القبلي، ومن هنا كانت الوطأة عليها ثقيلة أثناء قيام الخليفة بقتال

(١) سورة الحجرات. الآية (١٤).

المرتدين، فلم يُكْتَفَ بهزيمتهم في الحرب، والاستيلاء على البلاد، بل فُرِضَ عليهم صُلْحٌ انقادوا له بذلة وخضوع، حيث اسْتُصْفِي من أموالهم خيارُها كالذهب والفضة وغيرها، وسُلِبوا جميع وسائل عُدَّة الحرب، وعوملوا بمنتهى الإذلال والقهر، كما يتضح هذا من حروب خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ لبني حنيفة في اليمامة، ولم يكن الخليفة وهو ممن عُرِفَ جِدًّا وصرامة في الغيرةِ لله سبحانه وتعالى بالمتساهل في ذالك، فقد بعث رسولا إلى خالد يأمره بقتل كل بالغ من بني حنيفة[١]، وذالك من جَرَّاءِ ما لقي المسلمون من شدتهم أثناء الحرب، حيث قتلوا مئات القتلى من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيرهم من المسلمين، فكان هذا مما أورثَ إِحَنًا وضغائن في النفوس، ليس من السهل زوالها في فترة قصيرة من الزمن، ولعل من آثارها عدم الاهتمام بشأن تلك البلاد من حيث ترتيب شؤونها الإدارية في عهود الخلفاء الأربعة، وماذا يرام من بلاد أثخنتها الحرب بقتل رجالها، وأَذَلَّها الاستيلاء باستصفاء خيار أموالها وما تملك من وسائل القوة؟!.

يروي المؤرخون أن خالداً ـ رضي الله عنه ـ قائد الجيش ـ بعد انتهاء الحرب استخلف على البلاد سَمُرَةَ بن عمرو العنبريَّ التميمي، وسمرة هذا ذو سابقة في الإسلام فقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبعث ابنه غاضرة بن سمرة هذا لجباية الزكاة، وهو من بني جندب بن العنبر بن تميم، وهاؤلاء من أهل اليمامة[٢].

وقد استعمل عثمان سمرة على ضوال الإبل[٣]، وذكر خليفة بن خياط في

(١) «تاريخ الطبري» ـ ٣/٢٩٩ ـ.

(٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ـ ٢٥٢ ـ تحقيق الدكتور ناجي حسن و «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ـ ٢٠٨ ـ و «الإصابة» ـ ٣/١٨١ ـ و ٥/٣٠٤ طبعة نهضة مصر، وقد يرد اسم (سمرة): (سبرة) ـ بالباء ـ وأراه تصحيفاً ـ كما في «الإصابة» ـ ٣/٢٩ ـ وسمرة هو ابن عمرو بن جُنْدَب بن العنبر «الاصابة» ـ ومن بلادهم أُسيلة في إقليم سُدَير في اليمامة وغيرها انظر: «بلاد العرب» ـ ٢٦٤ ـ.

(٣) «النقائض» ـ ١/٤٨٤ ـ و «الإصابة» المصدر السابق.

«تاريخه»[1] أن أبا بكر ولى على اليمامة سَلِيْطَ بن قيس، وسَلِيطُ هذا من الأنصار من بني النجَّار، وهو ممن شهد بَدْراً والمشاهد كلها، وقتل يوم جسر أبي عُبَيْدٍ[2].

ولم يكن لولاية اليمامة في عهد عمر بن الخطاب شأن، أماالقول بأنها (في عهد عمر بن الخطاب الذي أخذ بمبدأ التنظيم الإداري وأنه عهد إلى واليها بالإشراف على عُمَانَ والبحرين، وتظل البحرين مضمومة لها من عام ١٥ حتى عام ٢٣ وهي السنة التي توفي فيها أمير المؤمنين عمر[3] - رضي الله عنه)، فإن هذا القول غير صحيح، فما كانت ولاية اليمامة ذات شأن عند عمر - رضي الله عنه - حتى يربط بها ولاية القُطْرَيْنِ المذكورين عُمَانَ والبحرين.

وإذا تتبع الباحث الولاة في عهد عمر رضي الله عنه يتضح له أن البحرين ما كان تابعاً لليمامة يوماً من الأيام، بل كان الأمر بعكس ذالك، فقد كان والي البحرين سنة ١٦ هـ العلاء بن الحضرمي وكذا اليمامة[4]، أما عمان فقد كان واليها في تلك السنة حذيفة بن محصن الغلفاني الحميري، وكان أحد قواد الجيوش الذين وجههم أبو بكر لقتال المرتدين، ووجهه إلى أهل دَبَا بِعُمَان، فلما هزمهم أقام هناك لتسكين الناس، ودُعَاءِ القبائل حول عُمَانَ إلى السكون، وشارك الْمُثَنَّى في غزواته في العراق، وولاه عمر على عُمَانَ واليمامة سنة ثلاث عشرة، وكان الْعَلَاءُ بن الحضرمي والياً على البحرين في هذه السنة[5].
ثم في سنة ١٧ هـ كان والي اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص ووالي عُمَان هو حذيفة بن محصن[6].

ومن هنا فإن ما أورده الدكتور صالح الوشمي في كتابه « ولاة اليمامة » من

---

(١) - ١٢٣ -.
(٢) «الاصابة» - ٣/١٦٣ -.
(٣) «تاريخ ابن جرير» - ٣/٢٤٩/٣١٤/٣١٦/٤٧٩.
(٤) «ولاة اليمامة» - ٩٠ -.
(٥) «تاريخ ابن جرير» - ٤/٣٩ -.
(٦) المصدر السابق - ٤/٩٤ -.

أسماء ولاة اليمامة في عهد عمر بن الخطاب بحاجة إلى التثبت، إذْ أولئك الولاة يتخذون من البحرين قاعدة لهم، وقد تُضَمُّ إلى بعضهم ولاية اليمامة، وينطبق هذا القول على ولاتها في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

أما في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ فلم يتم له الأمر مدة خلافته بطريقة تمكنه من تعيين ولاة على الأقاليم، والقول بأن من ولاة اليمامة في عهده سَمُرَة بن عمرو العنبري، وقثم بن عباس بن عبدالله بن عبدالمطلب ـ غير صحيح [1]، فَسَمُرَة بن عمرو العنبري قد يكون في عهد علي في اليمامة حيث كانت صلته بها قديمة كما سبقت الإشارة إلى هذا، إلَّا أنني لم أر من النصوص الصريحة ما ينص على أنه تولى اليمامة لعلي.

وأما قُثم بن عباس بن عبدالله بن عبدالمطلب، فصحة الاسم أولاً: قثم بن العباس بن عبدالمطلب وهو الذي ذكر ابن جرير أنه كان عاملاً على الطائف ومكة وما اتصل بها لعلي [2] ـ رضي الله عنه ـ وقد تكون الولاية اسمية.

وبالإجمال فإنَّ الحالة الإدارية في هذه البلاد في عهد الخلفاء الراشدين لم تكن على درجة من الوضوح، بحيث تكون لها معالم بارزة، فهي أقرب إلى ما كانت عليه في العهود السابقة من خضوع القبيلة لكل قوة خضوعاً لا يستمر بل يتغير بتغير الأحوال.

أما في العهد الأمويِّ فقد تغيرت الحال منذ أن تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة أربعين من الهجرة، فقد انصرف الاهتمام إلى مقر الخلافة في الشام

---

(١) «ولاة اليمامة» ـ ٩٢ ـ.

(٢) ابن جرير ٥/١٥٥ ـ و «الكامل» ـ ٣/ ١٧٧، ٢٠٠ ـ و «جمهرة انساب العرب» لابن حزم ـ ١٩ ـ ويحسن هنا الإشارة إلى أن سَمِيًّا لقثم هذاومن أسرته تولى اليمامة ولكن في عهد متأخر هو قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب وَلَّاه المنصور اليمامة وكان جواداً ممدحاً «جمهرة النسب» لابن الكلبي ـ ٣٢ ـ و «نسب قريش» ـ ٣٣ ـ و «جمهرة انساب العرب» لابن حزم ـ ١٩ ـ وابنه عبيدالله بن قثم كان والياً على مكة واليمامة وانظر «العقد الثمين» للفاسي ـ ٧/٦٧ ـ.

وما يتصل به من الأقاليم، التي ستكون ذات أثر في تقوية هذه الدولة الناشئة.

ومع ما للحرمين الشريفين من قدسية في نفوس المسلمين تستدعي العناية بهما ورعايتهما، فقد كان من أثر ذالك أن نالتْ هذه البلاد من جوانب الإصلاح ما نشر الأمن، وسهل طرق الحج، وَمنها ما يخترق البلاد من الشرق إلى العراق حيث يمتد منها طريقان رئيسان أحدهما من البصرة والثاني من الكوفة يخترقان الجزيرة حتى المدينتين الكريمتين.

وما كان نشوء الدولة الجديدة إلَّا بعد أن تكبَّدَتِ البلاد في مختلف أقطارها نكبات، وحدثت فيها فتن، كان لها أثر في نفوس ولاة هذه الدولة الناشئة منذ أن حدث الاختلاف في عهد الخليفتين الراشدين عثمان وعلي، ثم بعد ذالك حين تولى يزيد بن معاوية الخلافة، مع ما اتصف به من أفعال أثارت له الكراهية والبغضاء في نفوس المسلمين، مما كان سبباً في الخروج عليه، فلا غرو والحالة هذه بعد أن استتب الأمر للدولة الأموية أن تكون عنايتها مُنْصَبَّةً على قاعدة ملكها، وأن تنظر إلى ما عداها من المناطق الأخرى نظرات متفاوتة.

ولكن لصلة هذه البلاد بالحرمين الشريفين حظيت بشيءٍ من اهتمام الولاة في تلك الدولة، فقد كانت ولاية اليمامة (نجد) في كثير من الأحيان مرتبطة بالمدينة لقربها منها، وفي أحيان أخرى يفرد ولاتها عنها، كما ذكر ياقوت في كلامه على البحرين[1]: ربما ضُمَّتِ اليمامة إلى المدينة، وربما أُفْرِدَتْ، هذا كان في أيام بني أمية، فلما ولي بنو العباس صَيَّرُوا عُمَانَ والبحرين واليمامة عملاً واحداً قاله ابن الفقيه.

وعند البحث في النواحي الإدارية في هذه البلاد، طيلة العهد الأموي لا يعثر الباحث على أكثر من أحد عشر والياً من عهد عبدالملك بن مروان فمن بعده.

---

(١) «معجم البلدان» رسم (البحرين).

وليس معنى هـذا عدم تعيين ولاة لهـا غـير هـاؤلاء، ولكن بمـا أن ولايتهـا مرتبطةٌ بوالي المدينة الذي يعـين من قبل الخليفـة كانت العنـاية منصبـة على والي المدينة دون غيره من الولاة.

وعنـد استعراض ولاة المـدينة في أول العهـد الأمـوي، إذِ البـلاد مـرتبـطةٌ بأولئك يتضح ما يلي:

١ ـ في عهد معاوية كان والي المدينة مـروان بن الحكم فيما بـين سنتي (٤٠ و ٤٩ هـ) تَـوَلَّاهَـا ثمـاني سنـوات وشهـرين وعـزل في شهـر ربيـع الأول سنـة ٤٩ هـ [١].

ومعروف أن معاويـة كان يُعْنَى بـالعمران وبـاستصلاح الأراضي، وأنـه هو الـذي جلب من الشام آلاف المشتغلين بـالزراعـة للعمل في منطقـة الخـرج في اليمامة.

ومن هنـا كان واليـه مروان عـلى البلاد يـرسل ابن أبي حفصـة إليها لجبـاية الأموال [٢]. وسبق لمروان أن تولى البحرين حيث مدحه أحد الشعراء بقوله:

وَبِـدَارِيْـنَ مِـنْ قُـرَيْشٍ أَمِـيْرٌ   عَـبْشَـمِـيٌّ نَـفَّـاعَـةٌ ضَـرَّارُ

وكان ذالك في عهد عثمان [٣]. وقد مدحه العجَّاج، إذْ جاء في ديوانـه أنه إذ ذاك والٍ عـلى اليمـامـة والمـدينـة، وقـد أطلق رجلين من الحبس لعـل للعجاج بهما صلة فقال:

مَـا إنْ عَـلِمْنَـا وَافِيـاً مِنَ الْبَشَرْ   مِنْ أَهْـلِ أَمْصَـارٍ وَلَا مِنْ أَهْـلِ بَـرْ

أَوْفَى من المُنْجِي حُـيَيًّـا بِـالْقَـدَرْ   وَعَـاصِـماً سَلَّمَـهُ مِـنَ الـغَـدَرْ

فَأَصْبَحَـا بِنَجْـوَةٍ بَعْـدَ ضَـرَرْ

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ـ ٥/٢٣٢ ـ.   (٢) «الأغاني» ـ ٩/٣٥ ـ طبعة الساسي.

(٣) «أنساب الأشراف» ـ ١١/١٥٢ ـ تحقيق وليم أهلورد.

عاصم وحيي الرجلان اللذانِ أطلقهما من الحبس.

٢ - ثم عزل معاوية مروان لخلاف جرى بينهما حول (فَدَك) البلدة المعروفة الآن باسم (الحائط) فقد وهبها معاوية لمروان، وأراد الرجوع فيها في خبر فصله ابن جرير، وعين سعيد بن العاص من سنة ص ٤٩ هـ إلى سنة ٥٤ هـ[١].

٣ - ثم عُزِل سعيد، وأُعيد مروان بن الحكم سنة ٥٤ هـ، وبقي حتى سنة ٥٧ هـ فعزل[٢].

٤ - ولَّى معاويةُ الوليدَ بنَ عتبة بن أبي سفيان بعد عزل مروان سنة ٥٧ هـ وبقي والياً على المدينة حتى توفي معاوية سنة ٦٠ هـ[٣].

٥ - وفي عهد يزيد في شهر رمضان من سنة ٦٠ هـ عزل الوليد بن عتبة، وعين عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان من سنة ٦٠ هـ، وعزل في ذي الحجة من سنة ٦١ هـ[٤].

٦ - ثم أعيد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى ولاية المدينة في ذي الحجة من سنة ٦١ هـ وعزل سنة ٦٢ هـ[٥].

٧ - ثم ولى يزيدُ عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان سنة ٦٢ هـ، ولكن أهل المدينة أخرجوه منها وخلعوا يزيد[٦].

وفي عهد يزيد انفصلتْ أكثر مناطق الجزيرة عن حكمه، حيث استقل بالحجاز عبدالله بن الزبير وفي نجد (اليمامة) نجدة بن عامر الحنفي، وتمزقت أجزاء الخلافة الأموية حتى تم الأمر لعبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ، بعد أن أخْضع الأقاليم التي حدث فيها الاختلاف لحكمه.

---

(١) «تاريخ ابن جرير» - ٥/٢٣٢/٢٩٣ -.
(٢) المصدر السابق - ٥/٢٩٣/٣٠٨ -.
(٣) المصدر السابق - ٥/٣٠٨ -.
(٤) المصدر السابق - ٥/٣٩٩ و ٤٧٤ و ٤٧٧.
(٥) المصدر السابق ٥/٤٧٩.
(٦) المصدر السابق ٥/٤٧٩ و ٤٨٢.

حالة سكان هذه البلاد عند استقرار الحكم الأموي

بضعُ سنوات اجتازتها هـذه البلاد منقـادةً لحكم نجدة بن عـامر الحنفي - سيـأتي الحديث عنهـا - وهو حكم أشبـه بما ألفتـه واعتادتـه خـلال القـرون التي عاشتها من أنـواع السيطرة القبليـة، فالـطبيعة لأكـثر سكان تلك البـلاد لم يطرأ عليها في هذه الفترة ولا في الفترات التي سبقت عهد نجدة أي تأثير لـه من القوة مـا يغيرهـا من حالـة إلى أحسن منها، أو يـزيل مـا استحكم بسببها بـين أولئك السكان - وجلهم من القبائـل - من أسباب العِـداء، وبواعث الفـرقة، ممـا غمر النفـوس بِالإْحَنِ والأحقـاد، فأصبحت القلوب متنـافرةً متبـاعـدة، وانـطمست لذالك البصائر، فأصبحتْ لا ترى في أَيَّـةِ وسيلة من وسائـل الإصلاح والتغيـير إلا تقييداً لحريتها، وقضاء على عزتها وسيادتها ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، وَإِنَّـا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُوْنَ** ﴾(١).

حقبةمن الزمن - تزيد على ثمانين عامـاً - مَرَّتْ عـلى تلك الأمة المكـونة من عشائر وقبائل - في قلب الجزيرة منذ أن بدأ بعضُ سكانها يستضيءُ بِهَدْيِ الدين الحنيـف، في عهد المصطفى - عليه الصلاة والسـلام - حتى استقام أمـر الخلافـة لعبد الملك بن مروان، بعد قضائه على الثورات الداخليـة سنة ثـلاث وسبعين، وحالة تلك الأُمة هِيَ هِيَ، لم تتأثر ولم تتغير، فالطبيعة القبلية لا تزال مستحكمةً في النفـوس، والرغبـة في عدم الانضبـاط من أبرز سمـات تلك الـطبيعـة لابن البادية، في كل زمان ومكان.

ولا مجـانفة للحقيقـة بـالقـول: أَنَّ الـدين الحنيف لم يُحْـدِثْ خـلالَ الفتـرة القصيرة التي انقاد له فيها أكثر سكان هذه البلاد تغييراً مؤثراً في الـطبيعة القبليـة بين أبناء البادية مما هو مـألوف، بـل ما هـو أبرز سِمَـةٍ لمن لا يزال يعيش عيشَـةَ

---

(١) الآية الـ (٢٣) من سورة (الزخرف).

البـداوة، إذ تلك الـطبيعـة متـأصلة في النفــوس منـذ آلاف السنــين ﴿ قَـالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قُولُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَـانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ﴾[1] ولهــذا سـرعــان مـا عــاد أكثـرهم إلى مــا اعتـاد، وأَلِفَ من حيـاة الفـوضى والاضطراب، حين انتقل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الـرفيق الأعلى، فـامتنعوا عن أداء أبـرز مظهـر فِعْلِيٍّ من مـظاهر إقـرارهم بالإسـلام، وهو زكـاة أموالهم لعمال الخليفة الأول، ولسان حالهم ينشد مع شاعرهم[2]:

أَطَعْنَـا رَسُـوْلَ الله إِذْ كَـانَ بَيْنَنَـا ... فَيَـا لَعِبَـادِ الله مَـا لِأَبِيْ بَكْـرِ؟
أَيُـوْرِثُهَـا بَكْـراً إِذَا مَـاتَ بَعْـدَهُ؟ ... وَتِلْكَ لَعَمْـرُ الله قَـاصِمَـةُ الـظَّهْـرِ!

ولكن الخليفة أخضعهم بقوة لاقِبَـلَ لهم بها، فـانقادوا مـظهرين للطاعـة، أثناء حكم الخلفاء الثلاثة، انقياداً لم يكن منبعثاً ـ في الغالب ـ عن رضا وقناعةٍ ـ إذْ لم تتمكن تعاليم الإسلام من التأثير في نفـوسهم بَعْد، ومـا لم يحدث هـذا فإنَّ أَيَّةَ حالةٍ تُسَبِّبُهَا الْقُوَّةُ تزول بزوالها. ولم تتغير حالةُ أولئك في عهد الخليفة الـرابع عما كانت عليه في عهود سابقِيهِ، لقصر مُدَّة حكمه، ولعدم استقرارهـا ولضعف ذالك الحكم وعدم شموله.

وقـام الحكم الأموي عـام أربعين من الهجـرة، فعمَّ هذه البـلاد طيلةَ عهد مُنْشِئِهِ معاوية بن أبي سفيان، حتى وفـاته سنـة تسع وخمسـين، نحو تسعـة عشر عاماً. ولكن هذه الحقبة من الزمن على قصرها حفلتْ بتغيـرات قويـة في أحوال سكان الجزيرة ـ بصفة عامة ـ فقد كان من أثر اتِّجاهِ الخلفاء الراشدين الثلاثة إلى نشر الدعوة الإسلامية في الأقطار المجاورة للجـزيرة أن كـان قِوَامُ الجيـوش التي قامت بغزو تلك الأقطار من رجال القبائل قادَةً وجنوداً، فكان أن تفتحت أبصار

(١) الآية الـ (١٤) من سورة (الحجرات).
(٢) عبدالله الليثي «تاريخ ابن جرير» ـ ٣/٢٤٦ ـ. وينسب للحطيئة ـ انظر «ديوانه».

هاؤلاء - وكثير منهم من أبناء البادية - على أحوال شعوب تختلف كل الاختلاف عما كانوا يألفون، فرأوا أَنَّ اولئك على حالة من رغَدِ العيش، ويُسْرِ موارد الرزق، ونُعُومةِ الحياة وطيبها، خيرا مما عليه أُمَّتُهُمْ، وأدركوا أن كل ذالك يعود إلى ما لحياة اولئك الاجتماعية وأنماط التعايش بينهم من أساليب منظمة، هي أبعد ما تكون عما يتعامل به قومهم بينهم في باديتهم، فمنهم من آثر الاستقرار هناك وهم الأكثرون من رؤساء العشائر من القواد والأمراء، ممن تفتحت لهم أبواب الرزق، فعاش في تلك البلاد عيشة تَرَفٍ ورَفَاهية، ولم يكتف بتفضيل الاستقرار فيها على بلاده - بل اجتذب مَنْ قَدر على اجتذابه من عشيرته الأقربين وغيرهم من قومه، وذوي الصلة به.

ولقد كانت تلك الأقطار التي فتحتها الجيوش الإسلامية - كالعراق والشام ومصر - معروفة قبل ذالك، وللعرب بها اتصال، وانتشار في أطرافها، منذ عصور قديمة، فكان العراق لصلته بشرق الجزيرة وشمالها حيث تستوطن فروع من القبائل العدنانية من رَبيعة ومضر، يَضمُّ كثيراً من تلك الفروع في سَوَادِهِ، ومنهم من توغل داخل ذالك القطر، وفي شمال الحجاز موطن قبائل قُضَاعِيَّة، يمانية الأصل، استقرت في هذه البلاد على ضفاف البحر الأحمر، من غرب المدينة، حتى بلاد الشام، من جُهَيْنَة وَبليٍّ، وعُذْرة وكَلْب، ويجاورها في جبال حِسْمَى وأوديتها إلى صحراء سَيْنَاء فبلاد فلسطين قبائلُ أخرى يمنيةٌ، من لَخْمٍ وجُذام وغيرهما. ولم يكن برزخ السويس الفاصل بين البحرين الأحمر والأبيض المتوسط في العهود الماضية يحول دون اجتياز القبائل، التي تتاخم بلادها غرب البحر الأحمر - كجُهينة وبَليٍّ ولَخْمٍ وجُذام - إلى بلاد مصر، ومن هنا وجد الفاتحون من العرب في تلك الأقطار - إلى ما وجدوا من بُلَهْنِيَةِ الحياة ورغد العيش ورخائه - وَجدوا مِمَّنْ سبقهم إلى الاستقرار فيها من مختلف القبائل التي ترتبطهم بها آصرةُ النسب والقربى من أَلِفُوْا بمخالطته، واطمأنوا بمجاورته، فآثر

بعضهم الاستقرار فيها، واتخاذها وطناً ثانياً، دون أن تنقطع صلته بوطنه الأول، ومنهم من اجتوى تلك البلاد، وعاد إلى وطنه، ولكنه عاد بروح أخرى مغمورة بأحاسيس ومشاعر لا عهد له بها من قبل، لقد شاهد - فيما شاهد في تلك البلاد - من أساليب الحياة، ووسائل التعامل بين السكان، في مختلف شؤونهم الاجتماعيةِ ما ملك عليه إحساسه، وطغى على مشاعره، مما أدرك به الفرق بين ما شاهد وبين ما تحياه أمته، وما يعتري تلك الحياة من اضطراب وخلل، طيلة القرون الطويلة التي مَرَّتْ بها. ومن هنا أدرك ما تتطلب هذه الحياة من تغيير يستأصل الجذور، ليقوم الإصلاح على أسس قوية، ولن يقوى على هذا إلَّا القوة الممثلة في الدولة، فهي التي تستطيع بهيمنتها وسيطرتها أن توجه مَسَارَ الأمة وِجْهَةَ الخير والصلاح، متى صدقت في إرادتها.

— وقامت دولةٌ جديدة، غير أن بوادر إنشائها لم تكن من بواعث الآمال في نفوس أكثر رعيتها، وخاصة سكان قلب الجزيرة منهم، ذالك أنها بدأت أول ما بدأت بالتباعد، فنقلت قاعدة الملك إلى خارجها، حيث وجَدَ مُنْشِئُو تلك الدولة وخلفاؤهم بعدهم من مؤازرة ألفاف القبائل المستوطنة هناك، ممن هاجر من جنوب الجزيرة، من بطون قُضَاعة كقبيلة كلب وغيرها، ومن لَخْمٍ وجُذَام وتَنُوْخٍ وغسَّان، وعامِلَةَ، وجدوا من الالتفاف حولهم ما حملهم على إيثارهم وتقديمهم، مع الازورار والانحراف عن غيرهم، وبهذا أحدثوا بين السكان في الجزيرة وأطرافها من القبائل من أسباب التنافر والتحاسد ما أذكى نار العداوة التي كانت أوشكَتْ أن تَخْبُوَ بانتشار الإسلام بين تلك القبائل.

قال الدكتور إحسان النص[1]: وقد وضع معاوية اللَّبِنَة الأولى في سياسة الإيثار القبلية بانحيازه في بَدْءِ خلافته إلى القبائل اليمنية بالشام، وهم كثرة

---

(١) «العصبية القبلية في الشعر الأموي» - ٢٥٦ -.

أنصاره، وظل يؤثرها بالعطاء فترةً طويلة، ولا يفرض عطاءً لسواها، حتى عزت اليمن بالشام في عهده، وتطاولوا على مُضَر، وهددوا بإخراجهم من الشام.

وكان قد قال ـ قبل ذالك[1] ـ: إن العنصر الغالب في بلاد الشام كان العنصر اليماني، إلى جانب قِلَّةٍ من قَيْس، وقُريش وسائر مُضر، أَمَّا في الجزيرة فكانت القبائل العدنانية المضرية والربيعية هي الغالبة، ولا تكاد تجد أثَراً للقبائل اليمنية في ربوعها، والدكتور إحسان النُّصُّ يعني بهذا القول قلب الجزيرة، إذ لا يجهل أن اليمن مهد القحطانيين وهم الغالبون عليه وعلى عُمَانَ وتهامة في ذالك العهد قبله وبعده، وأنَّ شمال نجد تحلّهُ قبائل من الجذم القحطاني اليمني، كقبيلة طيّءٍ في بلاد الجبلين أجا وسَلْمَى، وكلب في بلاد الجوف.

ويضيف الدكتور النُّصُّ[2]: وقد بلغ من عصبية الأمويين لليمنيين أن يزيد الناقص لما تولى الخلافة عزل القيسية من أعمالهم، وأقصاهم عن مجلسه، بل لقد بلغ من سخطه على قيس ـ فيما ذكر الطبري ـ أنه هَمَّ باستئصالها، وما منعه من ذالك إلَّا كراهية سفك الدماء، وعلل نقمته عليها بقوله: (إنها ما عَزَّتْ إلَّا ذل الإسلام)!!. ويعلل الدكتور النص انحراف الأمويين عن القبائل العدنانية لغلبة عنصرها في الاستيطان في العراق وأطراف الجزيرة الشرقية، فكان هاؤلاء مع قِلَّة من اليمنيين ممن انحاز مع علي بن أبي طالب، وأن اليمانية ممن ساندوا الأمويين في حرب ابن الزبير، وقبل ذالك كان جيش معاوية في الشام، منهم ممن هاجر إليه قبل الإسلام[3].

قد يكون وصف هذا الانحراف من الأمويين عن العنصر المضري العدناني، الذي منه أصلهم، وعلى أساس مناصرته قامت دولتهم، فيه شيْءٌ من

(١) «العصبية القبلية» ٢٣٧. (٢) المصدر نفسه ـ ٢٥٨ ـ. (٣) المصدر نفسه ـ ٢٣٤/ ٢٣٥/ ٢٧٦ ـ.

المبـالغة في بعض جـوانبـه، ولكن الـذي لا ريب فيـه أن أقـوى تلك الجـوانب التباعد عنه باختيار مدينة دمشق قاعـدة للحكم، بحيث أصبحت الدولـةُ بعيدةً كل البعد عن الاهتمام بذالك العنصر الذي منه تتكون غالبية لا يستهان بها من رعيتها، فانصرفت بذالك إلى ما ترى فيه إصـلاحاً لشؤون دولتهـا الناشئـة، في قـاعدتهـا الجديـدة، في عهد اتسعت فيـه رقعة المملكـة الإسـلاميـة، فلم تَعُـدْ محصورةً في الجزيرة، بل شملتْ أقطاراً واسعةً، وبلاداً جديـدة، تمتاز بكثـير من الميزات التي تجتذب العناية والانشغال بتدبير أحوال سكـانها قبل مـا عداهـا من البلاد، خِصْباً، ورخاءً وطِيْبَ عيش، وسرعة انقياد، وملازمةَ طاعةٍ، وإخـلاداً إلى الراحة والسكون، مما حمل ولاة الأمور في تلك الدولة إلى صرف أنظارهم إلى هذا العالم الجديد من مملكتهم، والانشغـال بتصريف أمـورهِ، انشغالاً استحـوذ على جُلِّ اهتمامهم، فصرفهم عما عداه من أن يولوا الجهاتِ الأخرى من المملكة ما هي في أشد الحـاجة إليـه من محاولـة الإصلاح الـذي تتطلبـه جميع أحـوالها، ولعلهم أدركوا أن ذالك الانصـراف منهم عَنْها لن يكـون ذا أثر في استقـرار هذه المملكة سلباً أو إيجابا، ولعل ما لوشائج القربى التي تربط مؤسس تلك الدولـة، وذوي الحَلِّ والْعَقْدِ فيها، بسكان هـذه البلاد، مـع ما للمـدينتين الكـريمتين من قدسية في النفوس، ومكانة سامية لدى عامة المسلمين، كل ذالك أَبْقَى على نوع خـاص من التفـات أولئـك، يـوشـك أن يكـون محصـوراً بـأحـوال المـدينتـين المقدستين، اللتين يقصدهما جميع المسلمين لأداء فريضة الحج، ولزيارة المسجـد النبوي، وبالعناية بما يرتبط بذالك من تأمين الطرق إليهما وإصلاحها، والحفـاظ على سلامة الناس عامة ليتمكنوا من تأديـة شعائـرهم الدينيـة بأمن واطمئنـان، ولهذا فقد اختارت الدولة لولاية المدينتين الكريمتين من تثق به لتحقيق ما تطمـح من ورائـه من إبراز اهتمـامها بمصـالح المسلمـين، بصيانـة المشاعـر المقـدسـة، وتسهيل السبل إليها.

ومن هنا كان اختيار الولاة من ذوي الصِّلَة الْقُرْبَى بالخلفاء نَسَباً أو صِهْراً، أو ممن عرف بالإخلاص بمواقفه المعروفة بولائه في خدمةِ سادته، كما يتضح عند استعراض أسماء أولئك الولاة إبَّانَ العهد الأموي، أما الأقطار الأخرى فما كان تعيين ولاتها قائماً على أساس من المقدرة والكفاءة، بل كثيراً ما ينشأ عن أسباب أخرى، كصلته بأحد ذوي الحظوة لدَى الدولة، أوْ لِيَدٍ سَلَفَتْ لهُ أو لمن ينتمي اليه، أو لسابقة من السوابق المحمودة لدى الخليفة فمن دونه من حاشيته، ويبدُوْ هذا جلياً مما سيأتي ذكره عن ولاة اليمامة في ذالك العهد[1]، حيث لَا يمُرُّ من بين أولئك من نال من الشهرة وعُلُوِّ القدر ما كان جديراً بإبرازه بين من حفلت كتب التاريخ بذكره، إلا في مجال التَّنَدُّر بما يوصَمُ به من غَبَاءٍ وبلاهةٍ، إنْ حقًّا وإنْ باطِلا، مثال (مُقوِّمِ الناقة) و (مُقيْدِ الكلب)[2] بل انجرَّ الأمرُ إلى وصف السكان كلهم بما لا يختصون به دون غيرهم، كما ينسب إلى ابن الْقِرِّيَّة[3] أنه قال للحجاج - في استعراضه لأخلاق الرعية -: أهل اليمامة أهل جفاء، واختلاف آراء، ومعروف أن الجفاء - بصفة عامة - من طبائع الشعوب التي لم

---

(١) - ص : ١٥ -.

(٢) مقوم الناقة - في «عيون الأخبار» - ٢/٤٥ - و «العقد الفريد» - ٧/١٥٢ - ما نصه: خطب والي اليمامة فقال في خطبته: إن الله تبارك وتعالى لايُقارّ على المعاصي عباده، وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة لا تساوي مئة درهم، ولهذا عرف هذا الوالي بمقوم الناقة، وأما مقيد الكلب فقد جاء في «عيون الأخبار» - ٢/٤٩ - و «البيان والتبيين» و «العقد الفريد» - ٧/١٥١ -: أن الربيع العامري كان والياً على اليمامة، فأتي بكلب قد عقر كلباً، فأقاده فقال فيه الشاعر:

شهدتُ بأنَّ الله حقٌّ لقاؤُهُ ... وأن ربيع العامري رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع ... دِمَاءَ كلاب المسلمين تضيع

ومع أن القصة الأولى نسبها البلاذري في «أنساب الأشراف» إلى أحد ولاة المدينة لابن الزبير فقال: - ج ٤ القسم الثاني ٥٩ : وعزل ابن الزبير عبيدة [بن الزبير] عن [ولاية المدينة] وولى [عبدالله بن عبيدالله] بن أبي ثور حليف بني عبد مناف، فأصاب الناس في ولايته مجاعة، فكان يخطب فيقول: اتَّقوا الله، وتَأَسَّوْا بنبيكم فانزعوا عن المعاصي فإنما أُهْلِكَ قومُ صالحٍ في ناقةٍ قيمتها خمس مئةِ درهم، فَسُمِّيَ مُقَوِّمَ الناقة، انتهى. ونسبتها لوالٍ يمامي قد يكون سببها ما عرف من عدم الاهتمام باختيار ولاة هذه البلاد حتى أصبحوا جديرين بأن يوصفوا بكل نقيصة:

مَقَالَةُ السوءِ إلى أهلها ... أسْرَعُ من مُنْحَدَرٍ سائل

وأما الثانية فالبيتان منسوبان إلى حُمَيْدِ بن ثور الهلالي العامري «ديوانه» - ١٠٢ - وهو ممن أدرك صدر العهد الأموي.

(٣) «نهاية الأرب» - ١/٢٩٤ -.

تَتَحَضَّرْ، أينما كانوا، وكذا اختلاف الآراء فهما من الصفات العامة لأبناء البادية في كل زمان ومكان، ومهما يكن فقد عُرِفَ عن ولاة هذه البلاد في ذالك العهد من الجور والظلم وعدم الكفاءة ـ مما سيأتي الإلماع إلى جوانب منه ـ مما يُعَدُّ غباؤهم وبلاهتهم في جنبه يسيراً.

وبالإجمال: فإن الحكم الأموي ـ وإن شمل البلاد الإسلامية كلها تلك الفترة المعروفة من الزمن، فإن بلاد نجد، أو ما عرف في ذالك العهد بـ (اليمامة) لم تنعم بفترة استقرار تامٍّ، أثناء ذالك الحكم، ينال سكانها من رعاية الدولة في مراعاة مصالحهم ما يحدث تغييراً في حياتهم الأولى التي توارثوها قروناً طويلة، ولا سيما أبناء البادية، ومنهم أغلب السكان، فما كان هَمُّ تلك الدولة ـ فيما يبدو من تصرفاتها في هذه البلاد، وأبرزها عدم اختيار الكُفْءِ في تصريف شؤونها ـ إلَّا إِبْقَاءَ ما كانَ على ما كان، باتباع مختلف الوسائل الكفيلة بإخضاعها لنفوذ ذالك الحكم وسيطرته، والانقياد له، مهما أحست بذالك الخضوع والانقياد من عنت ومشقة، مما دفعها إلى محاولة التخلص منه في فترات معروفة سيأتي إيضاح بعضها.

ومن المعروف أن زمن رسوخ الحكم الأموي وتغلغله في البلاد، كان بعد القضاء على حكم ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ من قبل الحجاج في عهد عبدالملك بن مروان سنة ٧٣ هـ، حيث أُضيف حكم نجد إلى الحجاج، بعد استيلائه على الحجاز، وفي آخر تلك الفترة من الزمن أُسْنِدَتْ ولايةُ نجد المعروفة بولاية اليمامة مُدَّةً قصيرة إلى يَزِيْدَ بن هُبَيْرَة ريثما استقرت الأحوال في أقطار الدولة فاتجهت إلى اختيار من تتوسم فيه الكفاءة والقوة وتثق بولائه، فكان أن عينت رجلاً لا تعوزه تلك الصفات، فقد عاصر الدولة منذ إنشائها وتأثَّر بما كان يسير عليه قادتها الأقوياء كالحجاج، من الحزم والصرامة في تصريف الأمور، وهو من سأحاول إبراز ما أستطيع إيضاحه لك من سيرته في محلها من هذا البحث.

لمحة عن عدم ملاءمة الحكم الأموي لطبيعة السكان

لم يتغلغل حكم بني أمية في قلب جزيرة العرب تغلغلاً قويًّا، ولكن نفوذ ذالك الحكم شمل أكثر الأقاليم المتحضرة منها، واكتفى من بقية الأجزاء التي تسيطر عليها القبائل بِدَفْعِ الزكوات، وبعدم التَّعَرُّضِ لكل ما من شأنه الإخلال بالأمن في تلك الاقاليم، أو في طرق الحج إلى بيت الله الحرام، ولكنه مع عدم تغلغله ونفوذه كان صارماً وقاسياً، ولا يُنْتَظَرُ من مصادر أُلِّفَتْ في ذالك العهد أن تُقَدِّمَ للقارئ صورة واضحة عن ذالك الحكم، ولا أن تُمِدَّهُ بما يطمح إلى معرفته عنهُ على أساس تطمئن إليه نفسه، غير أن المتتبع لِمَا دُوِّنَ من حوادث فردية جرت في ذالك العصر، يدرك طرفا من ذالك، وخاصة في أخبار وفود بعض الشعراء على الخلفاء، أو مما رُوِيَ من أشعارهم، بل ليس من المبالغة القول بأن تلك الأشعار تكاد تكون أوفى مصدرٍ وأصدقه، وأوضحه لرسم معالم ذالك الحكم، بل لإبراز جوانب من شدَّة ما كانت تقاسيه الرعية منه من شدةٍ وعُنْفٍ، وخاصة بين أبناء البادية ممن استطاع أن يجأر بالشكوى من الشعراء، وأن يرفع صوته، مما تحس به قبيلته من ظلم وجور.

ومعروف أن حياة ابنِ البادية تتوقف على ما تحت يده مِنَ الماشية المعرَّضَة في كثير من الأحيان لنكباتٍ قد تقضي عليها أو تفقده إياها، كالْقَحْط أو اجتياحها من قبل عَدُوٍّ غازٍ، فإذا انضاف إلى ذالك ظُلْمُ ولاةِ أمرهِ الذين يتوقع منهم الحماية والعون، باصطفاء خيارها، أو بأخذها كلها، لأسهل جريرة تُنْسَب إليه، فكيف يجد وسيلةً للحياة؟!.

إنَّ نماذج يسيرة مما وصل إلينا من شعر ذالك العهد تُعَبِّرُ بأسى ولوعة عن حوادث من جور الولاة وظلمهم، وشدَّةِ تعسفهم في معاملة بعض القبائل الضعيفة، إمَّا في استيفاء زكوات أنعامهم على غير الوجه الشرعيِّ، أو بمعاقبتهم عَامَّةٍ لِخَطَإٍ ارتكبه فردٌ منهم، أو نُسب إليه وقد يكون بريئاً.

ولعل من أغرب ما جرى من حوادث ذالك العصر أنَّ الدولة اختارت ـ أو عَيَّنَتْ ـ في القبائل من ترجع إليه لمعرفة أحوالها عند الحاجة إلى ذالك، يعرفون باسم (عُرَفَاء) والْعَرِيْفُ لُغَةً هو الْقَيِّمُ بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يَلِي أمورهم ويتعرَّفُ الأَمير والوالي منه أحوالهم(١) ـ وهاؤلاء العرفاء ذوو درجات، فالعريف فوقه المَنْكِبُ، وفَوْقَ الْمَنْكِبِ النَّقِيب(٢)، وفي الحديث: «**الْعِرَافة حَقٌّ، والْعُرَفَاءُ في النار**»(٣) فهي حَقٌّ مادامتْ في خدمة المصلحة العامة، والعرفاء في النار متى انحرفوا عن القصد، وظلموا الناس. والعرفاء في ذالك العهد الذين تختارهم الدولة، قل أن يخرجوا في تصرفاتهم عما يرضيها، ولو حدث أنَّ أحدهم حاول ذالك ما سَلِمَ من العقوبة، كما جرى لعريف بني نُمَيْر ـ وسيأتي ذكره ـ وكثيراً ما كان الولاة يطلقون يَدَ العَرِيف في التصرف كما يهوى، مَتَى رَضُوْا عَنْهُ.

وروى صاحب «الأغاني(٤)» أن ليلى الأَخْيَلِيَّة وفدت على الحجاج فقالت: أصلح الله الامير أَضَرَّ بِنَا العَرِيْفُ في الصدقة، وقد خربَتْ بلادُنا، وانكسرتْ قلوبنا، فأخذ خِيَارَ المال، قال: اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبتَعْ لها خمسة أجمالٍ، وليجعل أحدها نجيباً، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته.

ولكن أين لكل قبيلة مثل لَيْلَى؟!.

---

(١) «لسان العرب» ـ (عرف).

(٢) «ديوان الفرزدق» ـ طبعة مجمع دمشق ـ ١٨٩ ـ وله مع العريف والمنكب قصة طريفة تضاهيها قصة البرج بن مسهر التميمي، وكان الحجاج ألزمه الخروج لقتال الأزارقة فقال:

أيوعدني الحجاج أن لم أقم له	بـ(سولاف) حولا في قتال الازارق
وان لم أرد أرزاقه وعطاءه	وكنت امرأ صبا بأهل الخرانق
فأبرق وارعد لي إذا العيس خلفت	بنا دارة الآرام ذات الشقائق
وحلِّق على اسمي بعد أخذك منكبي	وحبس عريفي الدردقي المنافق

(٣) «لسان العرب».

(٤) «الأغاني» ـ ج ١١ ص ٢٣٣ ـ طبعة الثقافة.

وقد تضطر القبيلة ـ إذا كانت قوية وبعيدة عن امتداد يد السلطة إليها كقبيلة طيّءٍ الممتنعة بكثرة عددها وحَصَانَةِ بلادهَا ـ أن تقتل العامل مَتَى جار في تصرفه، كما فعلت هذه القبيلة بأحد العمال الأمويين يدعى مجالداً أساء معاملتهم فحملوه ليلاً حتى طرحوه في بئر من آبارهم تدعى الحصيلية(١)، وهم يرتجزون:

سَلِ الْحُصَيْلِيَّةَ عَنْ مُجَالِدْ نَحْنُ طَرَحْنَاهُ بِلاَ وَسَائِدْ
بِجَمَّةِ الْبِئْرِ بِرَغْمِ الْقَائِدْ

بل قد تثور على الظلم، وتأبى الضَّيْمَ، فتخرج عن الطاعة، فقبيلة طَيْءٍ كانتْ منقادة، خاضعة للحكم الأمويِّ، وكانت بلادها ـ بلاد الجبلين ـ تابعةً لولاية المدينة في ذالك العهد، وفي عهد ولاية عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان للحجاز سنة ١٢٩ ـ وَلَّى أُمَيَةَ بن عبدالله العثمانيَّ على قبيلتي أَسَدٍ وطيّءٍ، فانقادت له القبيلتان ولكنه عندما أراد الذهاب لجباية زكاة طيّءٍ انضم إليه قوم من فزارة ليغيروا عليها لِثَأْرٍ كان لهم، فخرج بهم، فتلاقى هو ومعدان الطائي في جماعة من قومه في المنتهب ـ غَرْبَ رَمَّانَ ـ فَهَزمَ أُمَيَّةُ بنُ عبدالله وقومُهُ، وقال الطائيُّ قصيدةً يعتذر إلى والي المدينة، ويذكر امتثال قومه طَيِّءٍ لدفع الزكاة لأُمَيَّة إذا رَدَّ فزَارَة وقال(٢):

أَلاَ هل أَتَى أَهْلَ المَدِيْنَة عَرْضُنَا خِصَالاً مِنَ المَعْرُوفِ يُعْرَفُ حَالُهَا
عَلَى عامِلِيْنَا والسُّيُوفُ مَصُونَةٌ بأَغْمَادِهَا مَازَايَلَتْها نِصَالُهَا
أَتَيْنَا إلى فِرْتَاجَ سَمْعاً وَطَاعَةً نُؤدِّي الزَّكَاةَ حِيْنَ حانَ عِقَالُهَا

---

(١) «معجم البلدان» (الحصيلية) وعن هذه البئر انظر: «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة.

(٢) ذكر الخبر البلاذري في «أنساب الأشراف» ـ القسم الرابع ـ ٦٢٢/١ ـ تحقيق الدكتور احسان عباس مع بعض القصيدة التي أوردها كاملة صاحب «منتهى الطلب» ونشرت في «العرب» ـ س ١٥ ص ١٥٧ ـ وانظر: «العرب» ـ س ١٩ ص ٨٢٧ ـ.

وَمِنْ قَبْلِ مَاصِرْنَا وجَاءَتْ وفُودُنَا ... إلَى فَيْدَ حَتَّى مَا يُعَدُّ رِجَالُهَا
فَقَالُوا: أغِرْ بِالنَّاسِ تُعْطِكَ طَيِّءٌ ... إذَا وَطِئَتْهَا الْخَيْلُ واجْتِيحَ مَالُهَا
وَدُوْنَ الَّذِيْ مَنَّوْا أُمَيَّةَ هَبْوَةٌ ... مِنَ الضَرْبِ قِدْماً لا تُجَلَّى ظِلاَلُهَا
دَعَوْا بِنِزَارٍ فَاعْتَزَيْنَا بِطَيِّءٍ ... هُنَالِكَ زَلَّتْ فِي نِزَارٍ نِعَالُهَا

ولكن ما كلُّ قبيلة كَطَيِّءٍ قوة وكثرة تستطيع بها دفع الضيم، لقد أخلدت القبائل إلى الراحة في ظل الحكم الإسلامي، فانحلت من بينها الروابط القبلية، التي كانت تَشُدُّ أَوَاصِرهَا فيما قبل العهد الإسلامي حيث استعاضت خلاله بالأخوة الإسلامية، ولكن الحكم الْآن تغير، وأصبح مُلْكاً عَضُوْضاً، وصَارَ اختيار من يتولى شؤون القبائل لا يخضع لمعايير اختيار الكفء الصالح، ومن هنا استشرى العسف والظلم من أولئك الولاة، وكيف الوصول إلى الخلفاء أو من نيط بهم الأمر ممن دونهم، لدرء الظلم وانصاف الرعية واختيار من يقوم بتصريف أمورهم على نهج الحق والْإنصاف؟!.

إن أولئك الخلفاء ونوابهم قد أسدلوا دون الرعية حجبا كثيفة لا يمكن تجاوزها، أسوأها وأشدها حجاب الكراهية، فأكثر أهل نجد كان ممن انقاد لدعوة ابن الزُّبَيْر، لما خرج على الدولة الأموية في عهد يزيد بن معاوية، ومنهم من انضم إلى نَجْدَةَ بن عامر الحنفيِّ حين استولى على اليمامة، وضَمَّ إليها مناطق أخرى من نجد، وجُلُّ سُكَّانِ هذه الجهات من قَيْسِ عَيْلان.

الشعر مرآة ذالك العصر

تشحُّ المصادر التي بين أيدي الباحثين من مؤلفات القدماء عن إمداد من يُعْنى بدراسة كيفية تصريف أحوال هذه البلاد، أثناء الحكم الأموي، باستثناء الشعرِ في تلك الحقبة من الزمن، فإنه يرسم أبشع صورة لِتصرف الولاة وظلمهم، وتجاوزهم في الحفاظ على حقوق من ولاَّهُمُ الله أمورهم، وخاصة أبناء البادية منهم، حيث تخلو لهم الأجواء دون حسيب أو رقيب، فَيَعْبَثون في استحلال أموالهم بمختلف الوسائل، إما عند استيفاء الزكاة المقدرة، المقررة شرعاً، ولكنهم لا يسيرون في ذالك على الطريقة المشروعة، بل يصطفون خيار أنعامهم، ولا يصدقونهم ولا يقنعون بأقوال عرفائهم الذين هم اختاروهم من بينهم، وإما بما يتقاضونه من أحدهم حين يرتكب من الأعمال ما يستلزم عقوبتهُ، فيوقعون عليه منها ما لا يلائم ما ارتكب بطريقة قد يستأصلون بها جميع ما يملك، وقد يلزمون المرء بجريرة غيره، ليتخذوا من ذالك وسيلة لمصادرة ما يطمعون به من خيار ماله، إلى غير ذالك من مختلف الوسائل السيئة، مما لم يُعْنَ قدماء المؤرخين بتفصيله، وإنما يتلمسه الباحث فيها أُثِرَ وعرف من شعر ذالك العصر، بحيث يحس به من عمق تأثيره في النفس ما يدرك به أنه صادر عن صدق لوعة وحرارة أسى، وكبدٍ مَجْرُوحَةٍ ولا يختص ذالك الشعر بخليفة دون آخر، أو بزمن دون غيره خلال العصر الأموي، بل يشمل كُلَّ ذالك العَصْرِ، فمن ذالك قول عُقَيْبَةَ بن هُبَيْرة الأَسِدِيِّ يخاطب معاوية[1]:

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ … فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلاَ الْحَدِيْدِ

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة - ٩٩ - ط. دار المعارف بمصر و«خزانة الأدب» - ٢/٢٦١ - وفيها:

ذروا خون الخلافة واستقيموا … وتأمير الأراذل والعبيد

وكان بعث بالشعر مكتوباً فدعاه معاوية وقال له: ماجَرَّأك عليّ؟ قال: نصحتك إذ غشوك، وصدقتك إذ كذبوك. فقال معاوية: ما أظنك إلّا صادقاً.

فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضَيَاعاً (يَزِيْدُ) أَمِيْرُهَا و (أَبُو يَزِيْدِ)
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْ تُمُوْهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيْدِ؟!

أو قول شاعر لعمر بن عبدالعزيز(١):

إِنَّ الَّذِيْنَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوْا نَبَذُوْا كِتَابَكَ وَاسْتُحِلَّ الْمَحْرَمُ
وَأَرَدْتَّ أَنْ يَلِيَ الْأَمَانَةَ مِنْهُمُ بَرٌّ وَهَيْهَاتَ الْأَبَرُّ الْمُسْلِمُ
طُلْسُ الثِّيَابِ عَلَىَ مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلٌّ بِنَقْصِ نَصِيْبِنَا يَتَكَلَّمُ

ونظير هذا قول ابن هَمَّامِ السَّلُوْلِيِّ:

إِذَا نَصَبُوْا لِلْقَوْلِ قَالُوْا فَأَحْسَنُوا وَلٰكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
وَذَمُّوْا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُوْنَهَا أَفَاوِيْقَ حَتَّى مَا يَدِرُّ لَهَا ثُعْلُ

وذكر ابن سلاَّمٍ في «طبقات فحول الشعراء(٢)» في خبر وفود الراعي على عبدالملك بن مروان يشكو عماله قال: وكانت قيس زبيرية، وكان عبدالملك ثقيل النفس عليهم.

ومع أن الراعي في وفادته هذه ألقى على الخليفة قصيدة تستلين قَلْبَ الْحَجَرِ لو كان للحجر قَلْبٌ، إلاَّ أن قلب عبدالملك كان أقسى من ذالك! لقد قال في هذه القصيدة(٣):

أَوَلِيَّ أَمْرِ اللهِ إِنَّ عَشِيرَتي أَمْسَى سَوَامُهُمُ عِزِيْنَ فُلُولاَ
قَطَعُوا الْيَمَامَةَ يَطْرُدُونَ كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ أَصَابُوا ظَالِمِينَ قَتِيلاَ
يَحْدُونَ حُدْباً مَائِلاً أَشْرَافُهَا في كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَدَعْنَ رَعِيلاَ
شَهْرَيْ رَبِيعٍ مَا تَذُوقُ لَبُونُهُمْ إِلاَّ حُمُوضاً وَخَمْةً وَدَوِيلاَ

(١) «الكامل» للمبرد ـ ج ٢ ص ٢٧٦ ـ طبعة نهضة مصر.
(٢) ـ ٤٣٧ ـ. (٣) «ديوان الراعي النميري» ـ تحقيق راينهرت فايبرت ـ ص ٢٢٨ ـ.

حَتَّى إِذَا جُمِعَتْ تُخَيِّرَ طِرْقُهَا	وَثَنَى الرِّعَاءُ شَكِيرَهَا الْمَنْخُولاَ
وَأَتَوْا نِسَاءَهُمْ بِنِيبٍ لَمْ يَدَعْ	سُوءُ الْمَحَابِسِ تَحْتَهُنَّ فَصِيلاَ
أَوَلِيَّ أَمْرِ اللهِ إِنَّا مَعْشَرٌ	حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلاَ
عَرَبٌ نَرَى للهِ فِي أَمْوَالِنَا	حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلاً تَنْزِيلاَ
قَوْمٌ عَلَى الإِسْلاَمِ لَمَّا يَمْنَعُوا	مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلاَ
فَادْفَعْ مَظَالِمَ عَيَّلَتْ أَبْنَاءَنَا	عَنَّا وأَنْقِذْ شِلْوَنَا الْمَأْكُولاَ
فَنَرَى عَطِيَّةَ ذَاكَ إِنْ أَعْطَيْتَه	مِنْ رَبِّنَا فَضْلاً وَمِنْكَ جَزِيلاَ
أَنْتَ الْخَلِيْفَةُ حِلْمُهُ وَفَعَالُهُ	وإِذَا أَرَدْتَ لِظَالِمٍ تَنْكِيلاَ

ومع أن الشاعر نفى في قصيدته صلته بآل الزبير أو بنجدة بن عامر الحنفي قائلاً:

إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ	لاَ أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلاَ
مَازُرْتُ آلَ أَبِي خُبَيْبٍ وَافِداً	يَوْماً أُرِيدُ لِبَيْعَتِي تَبْدِيلاَ
وَلاَ أَتَيْتُ نُجَيْدَةَ بْنَ عُوَيْمِرٍ	أَبْغِي الْهُدَى فَيَزِيدَنِي تَضْلِيلاَ
مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَانِ لاَ مِنْ حِيلَتِي	إِنِّي أُعِدُّ لَهُ عَلَيَّ فُضُولاَ

وختم القصيدة ببيت أراد أن يعبر به عن شدة ما يقاسيه قومه من العسف والقهر، وأنهم لذالك سيهجرون بلادهم (الشُّرَيْف)[1] بحيث لا يجد عمالُ الزكاة فيه من المال ما يزكون. فقال الخليفة: وأين من الله والسلطان، لا أُمَّ لك؟! فأراد أن يصلح ما أوهى فقال: مِنْ عاملٍ إلى عامل، ومُصَدِّقٍ إلى مُصَدِّق، ولكنه لم يحظ منه بشيء، فأعاد الكرة مرة أخرى، وكرَّرَ الشكوى في عام آخرَ، ووصف ما يعانيه قومه من الجور والظلم ما إنْ يرفع عنهم أهلكهم،

(١) الشريف في عالية نجد يشمل منطقة السر والعرض (عرض القويعية) ويحده غرباً وادي الرشاء المعروف قديماً باسم (التسرير) وما غرب هذا الوادي يسمى (الشرف).

ومن قوله في ذالك[1]:

أَزْرَى بِـأَمْـوَالِنَـا قَـوْمٌ أَمَـرْتَهُـمُ ... بِـالْعَدْلِ فِينَـا فَمَا أَبْقَـوا وَمَـا قَصَـدُوا
نُعْطِي الزَّكَـاةَ فَـمَا يَـرْضَى خَـطِيبُهُمُ ... حَتَّى تُضَـاعَف أَضْعَـافـاً لَهَـا عَـدَدُ
أَمَّـا الْفَقِيرُ الَّـذِي كَـانَتْ حَلُوبَتُـهُ ... وَفْقَ الْعِيَـالِ فَلَمْ يُتْـرَكْ لَـهُ سَبَـدُ
واخْتَلَّ ذُوْ المَالِ والمُثْرُونَ قَدْ بَقِيَتْ ... عَـلَى التَّلاَتِـلِ مِنْ أَمْـوالِهِمْ عُقَـدُ
فَـإِنْ رَفَعْتَ بِهِـمْ رَأْسـاً نَعَـشْتَـهُـمُ ... وإِنْ لَقُـوا مِثْلَهَـا فِي قَـابِـلٍ فَسَـدُوْا

قال رواة الخبر[2]: فـلان قلب الخليفة وقـال: أنت هذا العـام أعقلُ منـك عامَ أَوَّل، فتريد ماذا؟ قال تَرُدُّ عليهم صـدقاتِهم فَتُنْعِشَهُمْ. فقـال: هذا كثـيرٌ. فقال: أنت أكثر منه. قال: قد فعلت، فسلني حاجة تخصُّك. فقال: قد قضيتَ حاجتي. قال: حاجتك لنفسك؟. قال: ماكنت لِأُفْسِدَ هذه المكرمة!!.

ويعلق استاذنا الدكتور إحسـان عباس ـ عـلى خبري الـراعي ـ بقولـه[3]: ودارس الأدب يذكر ـ ولابُـدَّ ـ موقف الـراعي النميري أمـام عبدالملك، يشكـو إليه المُصَدِّقـين الظالمـين المتعسفين، في سنتـين متتاليتـين، ذالك شيء من ضغط التنظيم الحكومي على أناس تعـودوا التحررَ والانـطلاق. وأُضيْفُ: وقد يكـون ناشئاً عن حقد الدولة على هذه القبيلة القيسية كغيرها من أكثر قبائـل نجد، كـما سبقت الإشارة إلى سببه.

وهذه قبيلة أخرى قيسيـة هي باهلة، يجـأر شاعـرها المشهـور عمرو بن أحمـر الباهلي بالشكوى من شدة ما يلاقيه قومه من عمـال الزكـاة، لا باصـطفاء خيـار أمـوالهم فحَسْبُ بل بجلدهم بـالسياط الأصبحيـة، ليرغمـوهم عـلى الخضـوع والخنوع لأخذ نجائب إبلهم، وكرائمها، فيقول في قصيدة تعد من عيـون الشعر مخاطباً يحيـى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة لعبدالملك سنة خمس وسبعين[4]:

---

(١) «ديوان الراعي النميري» تحقيق راينهرت فايبرت ـ ص ٦٤
(٢) «الأغاني» ـ ١٧٢/٢٠ ـ طبعة الساسي.
(٣) مقدمة «ديوان القتَّال الكلابي» ـ ٩ ـ.
(٤) «ديوان عمرو بن أحمر» ـ ١٠٢ ـ.

يَا يَحْيى يا ابنَ إِمَامِ النَّاسِ أَهْلَكَنَا ... ضَرْبُ الجُلودِ وَعُسْرُ المَالِ والحَسَرُ
إِنْ تَنْبُ يَا ابنَ أَبِي الْعَاصِي بِحَاجَتِنَا ... فَما لِحَاجَتِنَا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
مَا تَرْضَ نَرْضَ وإِنْ كَلَّفْتَنا شَطَطاً ... وَمَا كَرِهْتَ فَكُرْهٌ عِنْدَنَا قَذَرُ
نَحْنُ الَّذِيْنَ إِذَا مَا شِئْتَ أَسْمَعَنَا ... دَاعٍ فَجِئْنَا لأَيِّ الأَمْرِ نَأْتَمِرُ
إِنِّي أَعُوذُ بِمَا عَاذَ النَّبِيُّ بِهِ ... وبِالْخَلِيفَةِ أَنْ لَا تُقْبَلَ الْعُذُرُ
مِنْ مُتْرَفِيكُمْ وأَصْحَابٍ لَنَا مَعَهُمْ ... لَا يَعْدِلُونَ وَلَا نَأْبَى فَنَنْتَصِرُ
فَإِنْ تُقِرَّ عَلَيْنَا جَوْرَ مَظْلَمَةٍ ... لَمْ تَبْنِ بَيْتاً عَلَى أَمْثَالِهَا مُضَرُ
لَا تَنْسَ يَوْمَ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَشْهَدَنَا ... وقَبْلَ ذَالِكَ أَيَّامٌ لَنَا أُخَرُ
هَلْ فِي الثَّمَانِي مِنَ التِّسْعِيْنَ مَظْلَمَةٌ ... وَرَبُّهَا لِكِتَابِ اللهِ مُسْتَطِرُ
يَكْسُونَهُمْ أَصْبَحِيَّاتٍ مُحَدْرَجَةً ... إِنَّ الشُّيوخَ إِذَا مَا أُوْجِعُوا ضَجِرُوا
حَتَّى يَطِيْبُوا لَهُم نَفْساً عَلَانِيَةً ... عن الْقِلَاصِ الَّتِي مِنْ دُوْنِهَا مَكَرُوا
لَسْنَا بِأَجْسَادِ عَادٍ فِي طَبَائِعِنَا ... لَا نَأْلَمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلَمَ الحَجَرُ
وَلَا نَصَارَى عَلَيْنَا جِزْيَةٌ نُسُكٌ ... وَلَا يَهُودَ طَغَاماً دِيْنُهُمْ هَدَرُ
إِنْ نَحْنُ إِلَّا أُنَاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ ... مَا إِنْ لَنَا دُوْنَهَا حَرْثٌ ولا غُرَرُ
مَلُّوْا الْبِلَادَ وَمَلَّتْهُمْ وأَحْرَقَهُمْ ... ظُلْمُ السُّعَاةِ وَبَادَ الْمَاءُ والشَّجَرُ
إِنْ لَا تَدَارَكَهُمُ تُصْبِحْ مَنَازِلُهُمْ ... قَفْراً تَبِيضُ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمَرُ
أَدْرِكْ نِسَاءً وَشِيْباً لَاقَرَارَ لَهُمْ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيْهَا قَدْ لَقُوْا غِيَرُ
إِنَّ الْعِيَابَ الَّتِي يُخْفُون مُشْرَجَةٌ ... فِيْهَا الْبَيَانُ وَيُلْوَى دُوْنَكَ الْخَبَرُ
فَابْعَثْ إِلَيْهِم فَحَاسِبْهُمْ مُحَاسَبَةً ... لَا تَخْفَ عَيْنٌ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرُ
وَلَاتَقُولَنَّ زَهْواً مَاتُخَبِّرُنِي ... لَمْ يَتْرُكِ الشَّيْبُ لِي زَهْواً وَلَا الْعَوَرُ
سَائِلْهُمُ حَيْثُ يُبْدِي اللَّهُ عَوْرَتَهُمْ ... هَلْ فِي صُدُورِهِمُ مِنْ ظُلْمِنَا وَحَرُ

بوادر الحركـات

لم يكن لتلك الصرخات المدوِّيَة بالتوجع والأَنين مما يلقاه أبناء البادية من ظُلْم مَنْ يولّى عليهم من قبل الخلافة في الشام في آذان الخلفاء أو الولاة أيُّ صَدىً، وما كانت البادية وحدها هي التي تَئِنُّ بالشكوى، وَتَجْأَرُ من شدة ما تلاقيه من الظلم والحيف، وما كان أولئك الشعراء الذين تقدمت نماذج من أشعارهم وهم ممن يعيش في وسط الجزيرة هم وحدهم الذين قاسى قومهم ما قاسوا من العَسْف والْقَهْر بل لقد كانت الشكوى عامة، حتى من أولئك الشعراء الذين اخلصوا وفاءهم للدولة الأموية، فَأَصْفَوْا خلفاءها من أماديحهم والثناء عليهم وإبراز مفاخرهم ما هو خلاصة شعرهم، فهذا الفرزدق - ومعروف موقفه من مناصرة الأمويين، وأن صوته كان أرفع صوت بالإشادة في مفاخرهم - يصرخ بالشكوى مما يقاسيه هو وقومه من عمال الزكاة في عهد الوليد بن عبدالملك، ولا تقف شكواه عند حد تكليفهم بما هو فوق الزكاة من الأموال، بل يصرح بأن جباة الزكاة كانوا يضعون السياط فوق ظهور الرعية حتى تضطر إلى الاستدانة بطرق الربا، إنَّه يقول في قصيدة مدح بها الوليد:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي ... بِعَدْلِ يَدَيْكَ أَدْواءَ الصُّدورِ

فَكَيْفَ بعامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا ... يُكَلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ

وَأَنَّى بِالدَّرَاهِمِ وَهْيَ مِنَّا ... كَرَافِعِ رَاحَتَيْهِ إلى الْعَبُورِ

إِذَا سُقْنَا الْفَرَائِضَ لَمْ يُرِدْهَا ... وَصَدَّ عَنِ الشُّوَيْهَةِ والْبَعِيرْ

إِذَا وَضَعَ السِّيَاطَ لَنَا نَهاراً ... أَخَذْنَا بِالرِّبَا سَرَقَ الْحَرِيرِ

فَأَدْخَلَنَا جَهَنَّمَ مَا أَخَذْنَا ... مِنَ الإِرْبَاءِ مِنْ دُوْنِ الظُّهُورِ

فَلَوْ سَمِعَ الْخَلِيْفَةُ صَوْتَ دَاعٍ ... يُنَادِي اللَّهَ هَلْ لِي مِنْ مُجِيرِ

وَأَصْواتَ النِّسَاءِ مُقَرَّنَاتٍ ... وَصِبْيَانٍ لَهُنَّ عَلَى الْحُجُورِ

إِذَنْ لأَجَابَهُنَّ لِسَانُ دَاعٍ ... لِدِيْنِ اللهِ مِغْضَابٍ نَصُورِ

وليس أبناء البادية وحدهم هم الذين اصطلوا بنيران حَيْف الولاة، ولكن صوت شعرائها كان المسموع في تلك الفترة، لما يتصف به ابن البادية من الصراحة، مع قدرته عَلَى استعمال كثير من الوسائل التي يكون بها في مَنْأًى عن إيقاع العقوبة به، بِخلاف ابن الحاضرة الذي ارتبطت حياته بحياة أرضه.

وما كان أهل هذه البلاد باديتهم وحاضرتهم بمن يخنع لِلْعَسْف، أو يصبر على الْحَيْف، أو يرضى بالظلم:

وَلَا يُقِيْمُ عَلَى ضَيْمٍ يُـرَادُ بِـهِ	إِلَّا الأَذَلَّانِ عَـيْرُ الْحَيِّ والْـوَتِـدُ
هَـذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ	وَذَا يُشَـجُّ فَـلَا يَـرْثَى لَـهُ أَحَـدُ

لقد حاولوا التعبير عما يحسون به من حيف أولئك الحكام بمختلف الوسائل، التي يستطيعون إبداءها وإظهارها، وهم يدركون أن طاعة أولي الأمر من أوجب الواجبات ما لم يأمروا بمعصية، ويدركون أن مَنْ أجمع المسلمون على مبايعته فإنه لا يجوز الخروج عليه، ولكن السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرُّبا، وتَجَاوَزَ الْأَمْرُ حَدَّهُ، ومن هنا بدرتْ حركاتٌ تعبر عن استيائهم من ذالك الحكم.

من أبرزها حركة نجدة بن عامر الحنفي، حينما تولى الخلافة يزيد بن معاوية فأقدم هذا على قتل الحسين، وعلى حصارِ ابن الزبير بمكَّة، وعلى رَمْي الكعبة المُطَهَّرَةِ بِالْمَنْجَنِيْق.

وهنا كلمة تناسب المقام، وهي: أنه كثيراً ما يُلْصَقُ ببعض من تبدر منه أعمال تُعَدُّ في نظر السلطة المسيطرة في ذالك العهد سَيِّئَةً، فإنَّ من الصعب جدًّا على المؤرخ المنصف أن يتميزها على وجهها الصحيح، وهذا الأمر ليس خاصًّا بما ذُكر عن نجدة بن عامر الحنفي، وعن خروجه في ذالك العهد، إذ يكاد يجمع المؤرخون على أنه خارجيٌّ، وأنه تنسب إليه فرقة من الخوارج تدعى (النَّجْدِيَّة) كما تنسب إلى أتباعه فرقة أخرى تسمى (الْعَطَوِيَّة) نسبة إلى عطية بن الأسود

اليمامي الحنفي[1]، من فرق الضلال المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل وُصِفَ أَهَلُ نجد بالشدة في دينهم، كما في قول أحدهم في مقام المدح:

أَلَا حَبَّذَا (نَجْدٌ) وطِيْبُ تُرابِهِ وَغِلْظَةُ دُنْيَا أَهْلِ نَجْدٍ وَدِيْنُهَا[2]

حتى انتهت المبالغة إلى حدّ أن الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ لما قام بدعوته الاصلاحية لتطهير الدين من البدع والخرافات واسْتِقَائِهِ من مَعِيْنِهِ الصافي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وُصِمَ هو وأتباعه بأنهم (خوارج) وأُلْصِقَ بهم من الأوصاف السيئة ماهم بريؤون منه، بل لَا يزالُ لهذه الأَفكار المنحرفة عن الصواب بعض الآثار، مما يحمل المؤرخ المنصف على محاولة ايضاح الحقيقة التاريخية في هذا الأمر.

لا شك أن بعض أهل تلك البلاد من شدة وطأة الحكام والولاة الظلمة حاولوا بعد أن اسْتَنْفَدُوا كل الوسائل، العصيان والتمرد، لا على إمام اتفق المسلمون على صلاحه، وقبول بيعته، بل على ولاة بدرت منهم من صنوف المنكرات ما كان سبباً في إباحة الخروج عليهم، من مثل نجدة بن عامر الحنفي، الذي عُدَّ من الخوارج، حينما كانت هذه الكلمة يعبر بها عن معنى لغوي أَكْثر دلالة منه عما اصطلح منه اطلاقها عليه، بكونها تعني إحدى الفرق الضالة المخالفة للجماعة كما نرى في كتب المقالات، مع أن أكثر من نسب إليهم بعض الآراء الشاذة لم يكونوا على درجة من عمق المعرفة لكي يضعوا قواعدَ وأُسُساً لمذهبهم حتى ينسب إليهم أصحاب المقالات أصولاً وقواعد أبعدَ ما تكون عن فطرهم، وفوق مداركهم.

---

(١) «تاج العروس» ـ رسم (عطو) ـ.

(٢) نسبه صاحب «معجم البلدان» رسم (نجد) لأعرابي.

حقاً أنَّ نجدة في أول أمره كان منضمًّا إلى الخوارج، أتباع نافع بن الأزرق، إلَّا أنه خالفه بعد ذالك وانفصل عنه.

وحدثَتْ منه أمور أخذها عليه الخوارج أنفسهم حتى قتلوه، وليس بين يدي من يُعْنَى بالدراسة لمعرفة ما نسب إلى نجدة وقومه، مما يخالف ما اتفق عليه جماعة المسلمين ما يثبت ذالك، ولكن يؤخذ من الكتاب الذي وجهه إلى نافع بن الأزرق زعيم الخوارج في ذالك العهد، مخالفته لِآرائهم، وها هو نصه كما أورده المبرد في كتاب «الكامل»[1]: بسم الله الرحمن الرحيم، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنّ عَهْدِي بكَ وَأَنتَ لِلْيَتِيْمِ كَالْأَبِ الرحيم، وللضعيف كالْأَخ البَرِّ، لا تأخُذُكَ في اللّهِ لومةُ لائم، وَلَا تَرَى مَعونَة ظالم، كذالك كنتَ أَنتَ وأصحابُك. أما تَذْكُرُ قولَكَ: لولا أنِّي أعلم أنّ للإمامِ العادلِ مِثْلَ أجرِ جميع رَعِيَّتِه ما تَوَلَّيْتُ أَمْرَ رجلين من المسلمين؟ فلما شَرَيْتَ نَفْسَك في طاعةِ ربِّكَ ابْتِغَاءَ رضوانِه، وأَصَبْتَ من الحَقِّ فَصَّهُ، وركبت مُرَّهُ، تَجَرَّدَ لك الشيطانُ، ولم يكنْ أَحدٌ أثقلَ عليهِ وَطْأَةً منك ومن أصحابِك، فاستمالَك واستهواكَ واستغواكَ وأغواكَ، فَغَوَيْتَ فأَكْفَرْتَ الذين عَذَرَهُم الله في كتابه من قَعَدِ المسلمين وَضَعَفَتِهِمْ، فقال جَلَّ ثناؤهُ، وقولهُ الحَقُّ وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ لا يَجِدُوْنَ ما يُنْفِقُوْنَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوْا لله وَرَسُوْلِه** ﴾ ثُمَّ سَمَّاهمْ أَحْسَنَ الأَسْمَاءِ، فقال: ﴿ **ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل** ﴾ ثم اسْتَحَلْتَ قتلَ الأطفال، وقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم، وقال الله عز ذكره: ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ وَقَال في الْقَعَدِ خَيْراً، وفضَّلَ الله من جاهَدَ عليهم، ولا يدْفَعُ مَنْزِلَةُ أَكْثَرِ النَّاسِ عَملاً منزلَةَ مَنْ هو دُونَه، أَوَ مَا سَمِعْتَ قولَهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُوْنَ من الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الْضَّرَر** ﴾، فجعلهم

---

(١) ـ ص ٢٨٦ ـ.

الله من المؤمنين، وفضَّل عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيْتَ ألا تُؤَدِّيَ الأماناتِ إلى أهلها، فاتَّقِ الله وانظر لنفسك، واتَّقِ يوماً: ﴿ **لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً** ﴾ فإنَّ الله عَزَّ ذِكْره بِالْمِرْصَاد، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، وقولُه الفَصْلُ، والسلام).

كما يستأنس بقول المبرد[1]: فصار الخوارج على ثلاثة أقاويل قول نافع بن الأزرق ـ ثم أورده ـ وهو أشد أقوال الخوارج غُلُوًّا، ثم ذكر قول أبي بيهس من زعماء الخوارج أيضاً، وبعده أورد قول عبدالله بن إِبَاضٍ الذي يزعم أَنَّ مَنْ خالفه ليس بمشرك، وإنَّما هم كُفَّارٌ بالنعمة لتمسكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرسول، ومناكَحَتُهم وَتَوارثُهُمْ والإِقَامَةُ فِيهِمْ حِلٌّ طَلْقٌ، وأضاف: وهو أقرب الأقاويل إلى السنة، وَ (النَّجْدِيَّة) في ذالك الوقت يقولون بقول ابن إباض. انتهى. وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة»[2] إلى أن الصحابة لا يكفرون الخوارج، وأنهم كانوا يصلُّوْن خلفهم، وكان عبدالله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة، وكان نجدةُ يكاتب ابن عباس فيسأله عن مسائل من أمور الدين[3]. وينسب السمعاني إلى نجدة وأتباعه رأيا يدل على مخالفته لِآراء الخوارج فيقول: عن (الْعاذِرية)[4]: هذه النسبة لطائفة من الخوارج يقال لهم (الْعاذِرية) لأنهم عَذَروا بالجهالاتِ في أحكام الفروع، وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، ويقال لهم: النجدات، وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكر له يريد الأزارقة واللحوق بهم، فاستقبله أبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق، فأخبروه بما أحدث نافع من الخلافات بتكفير الْقَعَدَةِ عنه، وبإباحة قتل الأطفال وإسقاط الرجم، وإسقاط حدِّ القذف عمن قذف المحصنين من الرجال، مع وجوب

---

(١) «الكامل» ـ ٣/٢٩٢ ـ.

(٢) ـ ٣/٦٢ ـ.

(٣) «أنساب الاشراف» ـ ١/٥١٧ ـ.

(٤) «الأنساب» للسمعاني رسم (الغادرية).

الحد على قاذف المحصنات من النساء، فبايعوا نجدة وسموه (أمير المؤمنين) ثم انهم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمور نقموها منه، واختلف أصحابه عليه في ذالك، فتبعه قوم على ذالك وعَذَروا بالجهالات في الحكم الاجتهادي، وقالوا: الدين شَيْئَآنِ: معرفة الله عز وجل، ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، وما سواه فالناس معذورون بجهالاتهم إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام. انتهى.

ومهما يكن فمثل هذا الأمر مما يصعب الحكم فيه بدون دليل ثابت، وهذا مما يعنى به العلماء، لامن يتصدى للمباحث التاريخية.

وقد قدم القوم على ما قَدَّمُوا عند حَكَمٍ عدل، ولكن ينبغي أن يلاحظ أَنَّ كثيراً من مواقف المؤرخين بحاجة إلى تثبت، وليس كل ما ورد عن كثير منهم يجب قبوله والتسليم به.

ثورة أبي طالوت البكري في الخرج

قد يكون من بوادر التعبيرعن الاستياء من ظلم بعض ولاة الأمويين ما حدث من أبي طالوت، واسمه مطر بن عقبة بن زيد[1]، وهو من بني مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وبنو مالك هاؤلاء هم وبنو حنيفة أبناء عم، يجمعهم صعب بن علي بن بكر، وبلادهم واحدة.

ومما ينبغي أن يلاحظ أن قبائل ربيعة بن نزار بعد الحروب التي جرت بين بكر وتغلب تشتت وتفرقت واتجهت شرق الجزيرة ثم شمالها، ولم يستقر في الجزيرة سوى بني حنيفة، وبعض بطون من بني بكر بن وائل، منهم بنو قيس بن ثعلبة قبيلة الأعشىٰ، الذين استقروا في منفوحة والنُّمَيْليَّات وما حولها[2]، وبنو حنيفة في واديهم من أعلاه إلى أسفله حيث يفيض في منطقة الخرج، وبطون أخرى منهم بنو مالك قوم أبي طالوت الذين تربطهم ببني حنيفة رابطة النسب القريب، ولهذا استقروا هم وبطنون من بني حنيفة في منطقة الخرج.

ولا تفصل المصادر التي بين يدي الباحث أحوال أبي طالوت هذا، وكل ما يفهم منها أنه كان من أتباع نافع بن الأزرق الذي ثار على الحكم الأموي، ويروي البلاذري ما نصه [3]: لما بلغ أهلَ اليمامة مسيرُ أهل الشام إلى المدينة لقتال أهلها، قال رجاء النَّمَرِيُّ لقوم من الشراة: إنَّ أهلَ الشام قد ساروا إلى المدينة، ولا شك أنهم يأتون مكة، إن ظهروا وغلبوا على المدينة، فاخرجوا نَمْنَعْ مكةَ ونقاتل عن حرم الله وكعبته، إنْ أَتَوْا مكة، فأجابه ثمانون، ثم عَدَّ من هاؤلاء الثمانين نجدة بن عامر وأبا الأخْنسِ الهزاني وأبا طالوت سالم بن مطر من

---

(١) «جمهرة النسب» لابن الكلبي - ج ٢ ص ٢٩٠ - تحقيق العظم.

(٢) النميليات: تُعْرَف قديماً باسم (نُميلة) - تصغير نملة - قال صاحب «معجم البلدان»: نُميلة قرية لبني قيس بن ثعلبة رهط الاعشى باليمامة. انتهى، وهم أهل منفوحة، والنميليات تقع بجوارها في أعلاها، فيما بينها وبين وادي نمار.

(٣) «أنساب الأشراف» - القسم الرابع الجزء الأول - ص ٣٩٤ -.

بني مازن [1]، وعطيّة بن الأسود الحنفي، فقال: فقدموا مكة قبل أن يأتيها أهل الشامِ، ثم لحق بهم أناس آخرونَ، فقاتلوا مع ابن الزبير، فلما انقضى الحصار الأول، وجاء موت يزيد بن معاوية، انصرفت طائفة منهم إلى البصرة.

ويظهر أن أبا طالوت، انصرف إلى اليمامة، كما يفهم من قول ابن جرير [2] بعد ذكر خلافهم مع ابن الزبير: وانطلق أبو طالوت من بني زمان بن مالك، وعبدالله بن ثورٍ أبو فُدَيْكٍ من بني قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود اليشكري [3] إلى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذالك على نجدة بن عامر الحنفي.

قال ابن الأثير [4]: ودعا أبو طالوت لنفسه، واستقر بالخضارم من اليمامة، بعد أن نهبها، وكان معاوية بن أبي سفيان قد أخذها من بني حنيفة، فجعل فيها من الرقيق ما عِدَّتُهُمْ مع أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغنم ذالك وقسمه بين أصحابه، ثم إنَّ عيراً خرجت من البحرين أو البصرة تحمل مالاً يراد به ابن الزبير، فأخذها نجدة حتى أتى بها أَباَ طالوت بالخضارم، فقسمها بين أصحابه وقال: اقتسموا هذا المال، وردُّوا هاؤلاء العبيد، واجعلوهم يعملون الأرض لكم، فإن ذالك أنفع، فَاقْتَسَمُوْا المال ولكن أصحابه خرجوا عليه وقالوا: نجدة خيرٌ لنا فبايعوا نجدة. انتهى، وبعد ذالك الاختلاف بين اتباع أبي طالوت، اتفقوا على مبايعة نجدة كما سيأتي.

والخضارم هذه هي وسط منطقة الخرج حيث السيوحُ، والأراضي الزراعية الواسعة، كما حددها الهمداني في «صفة الجزيرة» [5] حيث قال في وصف

---

(١) كذا والصواب (من بني زمان) كما تقدم.

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ـ ٥/٥٦٦ ـ.

(٣) يظهر أن عطية بن الأسود مختلف في نسبه هل هو حنفي أو يشكري، وبنو يشكر بن بكر بن وايل خالطوا بني حنيفة بني عمهم في بلادهم فاختلطوا في النسب ومنهم بنو غُبَر، أهل غُبَيراء في أعلى الدِّرعية، وكان نخلهم يثمر في السنة مرتين ـ على ما ذكر ابن الكلبي في «جمهرة النسب».

(٤) «الكامل في التاريخ» ـ ٣/٣٥٢ ـ الطبعة الأولى. (٥) ـ ٢٨٢ ـ طبع «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» ـ الرياض.

الطريق من البحرين إلى اليمامة: ثم تقطع الْعَرَمَةَ فترد وَسِيْعاً من مياه الْعَـرَمَة، إلّا أنه مُفْضى في ناحية القاع، ثم تسير في السَّهْبَاء، وتَقْطَع جُبَيْلاً يقال له: أُنْقَد[١] ثم الـروضةَ ثم تَـرِدُ الْخِضْرِمَـة جَوَّ الخضـارم مـدينـة وقـرى وسـوق، فيهـا بنـو الأُخيضر بن يوسف، وهي دار بني عَدِيٍّ بن حنيفة، ودار بني عامـر بن حنيفة، ودار عِجْلِ بن لجيم، وهي أولُ اليمامة من قَصْدِ البحرين، وعن يمين ذالك وادٍ من الـدَّام يقال لـه الروحـان [٢]، وفيه ميـاه ثم ذكر منهـا الثَّلْما، وقال [٣]: ثم ينحـدر في نخيلِ جَـوٍّ وحصونِـهِ، ثُمَّ ذكر العيـونَ وقال: ومِنْ عن يسـارِ ذالك الْعَيْنُ الذي يخرج منها السيح الكبير، ومن عن يمينـه الْمَنْصِفُ والْمُنَيْصِفُ إلى آخر ما ذكر، وذكر بعد ذالك أن سيول الأعراض تدفع إلى قرارها بالـرَّوضة من جـو الخضارم إلى آخر ما ذكر.

وفي الخضارم يقول طَهْمَانُ الكلابيُّ، وقد قَطَع نجـدةُ بن عامـر الحنفي يده في سرقة [٤]:

وإِنَّ بِحَجْـرٍ والْخَضَـارِمِ عُصْبَـةً ... حَـرُوْرِيَّـةً حُبْنـاً عَلَيْـكَ بُـطُوْنُهَا

إِذَا شَبَّ مِنْهُمْ نَـاشِئٌ شَبَّ لاَعِنـاً ... لِمَـرْوَان وَالْمَلْعُـوْنُ مِنْهُمْ لَعِيْنُهَـا [٥]

وسميت الخضارم لكثرة ميـاهها، وأكـثر سُكَّانِ جَـوِّ الخضارم عـلى ما ذكـر ياقوت أخلاط من بني حنيفة وبني عِجْل وتَميم وغيرهم [٦].

---

(١) حدثني عبدالله بن ذَوَّاد ـ أمير الخرج ـ سابقاً ـ أن هذا الجبيل يدعى (أبرق سارة).

(٢) يدعى الآن (الريحاني) وهكذا عادةالعامة يحرفون الاسم الذي يجهلون معناه إلى ما يعرفون، فيسمون (أسنان بلالة) وهي رؤوس من سلسلة جبال العرمة مشرفة على الخرج يسمونها (ثنايا بلال) وفي الروحان يقول جرير:

يـا حـبَّـذَا الخَـرْجُ بـينَ الـدَّامِ فَـالْأُدَمَـى ... فـالـرِّمْـثُ من بُـرْقَـة الـرَّوْحَـان فَـالْغَـرَفُ

(٣) كان موقع الثلماء في مفيض وادي الثليماء في قرار واسع من الأرض. (٤) «الإصابة» ـ ج ٢ ص ٥٣٣ ـ الطبعة الأولى.

(٥) يخاطب عبدالملك بن مروان، وسيأتي أن نجدة كان قطع يد طهمان هذا في السـرقة.

(٦) وَهِمَ أحد الباحثين فقال في رسالة نـال بها درجـة (الماجستـير) في التاريخ بعنوان «الخـوارج في العصر الأموي» من كليـة العلوم الاجتماعية من (جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية) إذ قال ـ ص ٨٨ ـ عن أبي طالوت وقومه: وكان أول ما بـدأوا به (الخَضَـارم) وهو بلد زراعي في حضر مـوت، كان لبني حنيفـة، فأخـذه منهم معـاويـة فجعـل فيـه من الـرقيق ما عدتهم أربعة آلاف، فلما استولوا عليه قسمه أبو طالوت بما فيه من العبيد على أصحابه.

استيلاء نجدة بن عامر الحنفي على البلاد

لم تستقمُ أمور الدولة الأُموية بعد وفاة معاوية وتولِّي ابنه يزيد، فقد استقل عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ بحكم الحجاز، وامتد نفوذه إلى البصرة، وثار في (اليمامة) أبو طالوت الحنفي، ولكنه لم يطل عهده، فقد استولى على الخضارم (الخرج) آخر سنة ٦٤ هـ، وفي سنة ٦٥ هـ تولى الأَمْرَ نجدة، فانقادت له البلاد بضع سنوات، وكان نجدةَ ممن انضم إلى نافع بن الأزرق الذي خرج عن طاعة الأمويين بعد وفاة معاوية، ولكنه اعتزلهُ وعاد إلى بلاده، ولما قتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ كان نجدة ممن ثار في اليمامة على ما ذكر ابن جرير في حوادث سنة اثنتين وستين إذْ ذكر إرسال يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة أميراً على الحجاز[1]، وأن الوليدَ أقام يريدُ ابنَ الزبير فلا يجده إلَّا متحذراً أو متمنعاً قال: وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين، وثار ابن الزبير، فكان الوليد يُفيض من الْمُعَرَّفِ، وتفيض معه عامة الناس، وابن الزبير واقف وأصحابه، ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه.

ومن المعروف أن قتل الحسين ـ رحمه الله ـ كان في المحرم من السنة الحادية والستين، واستيلاء أبي طالوت على اليمامة كان بعد رجوعه هو ونجدة من مناصرة ابن الزبير في فك الحصار عن الكعبة سنة ٦٤ هـ، فهل يفهم من كلام ابن جرير أن نجدة كان قد ثار أولا قبل أبي طالوت، ثم انقاد له بعد ذالك، فابن الأثير نص في «تاريخه»[2]: أن في سنة ٦٥ هـ اعترض نجدةُ عِيْراً خرجت من البحرين، تحمل مالاً وغيره، فساقها حتى أتى بها أبا طالوت في الخضارم، فقسمها أصحابه وقال: اقتسموا هذا المال وردُّوْا هاؤلاء العبيد، واجعلوهم

(١) «تاريخ الطبري» ـ ٥/ ٤٧٩ ـ ونحو هذا ورد في «أنساب الاشراف» للبلاذري ـ القسم الرابع ـ ج ١ ص ٣١٨ ـ.
(٢) «الكامل في التاريخ» ـ ٣/ ٣٥٢ ـ الطبعة الأولى.

يعملون الأرض، فإن ذالك أنفعُ، فاقتسموا المال، وقالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت، فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدة سنة ٦٦ هـ، ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة. انتهى.

ومهما يكن فمما لا شك فيه أن هذه البلاد في فترة اضطراب الحكم الأموي، حاولت كأقطار أخرىٰ أن يتولى أمورها أناس من أبنائها، لكي تستقيم، وتكون خيراً مما هي عليهِ إبَّان ذالك الحكم، الذي ما كان ينظر إلى هذه البلاد نظرة تحمله علَى الاهتمام بجميع شؤونها، فهو مشغول بشؤون الأقطار الأخرى التي يستمد منها ما يرسخ حكمه، ويقويه من مال ورجال.

فكان أن قام نجدة في خلال تلك الفترة بما قام به، مما سأحاول عرض لمحات منه هي مِمَّا أستطعت اقتباسه مما بين يديَّ من المصادر.

من المعروف أن بني حنيفة كانت قد استقرت في اليمامة قبل عهد فيه فرقت ربيعةَ القبيلةَ الأُمَّ الحروبُ، ومزقت شملها، فانتقلت إلى شرق الجزيرة، ومنها إلى العراق وما يتصل به من البلاد.

أما بنو حنيفة ومعهم فروع قليلة أخرى من بني بكر بن وائل، فقد استقرت في وسط اليمامة، واتخذت من أوديتها مواطن استقرار، واستطاعت أن تحمي نفسها ممن أحاط بها من القبائل التي لا تربطها بها رابطة النسب القريبة، على حد قول شاعرها موسى بن جابر الحنفي اليمامي:

وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ ... سُوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والْفِزْرِ
وَرَابِيَةٍ إِمَّا الْعَدُوُّ فَحَوْلَهَا ... مُطِيْفٌ بِنَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمُهْرِ
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيْرَةُ كُلُّهَا ... أَقَمْنَا وَحَالَفْنَا الْسُّيُوْفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمَتْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيْهَةٍ ... وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُوْنَ عَلَى وَتْرِ [1]

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني ـ ص ٣٧٦ ـ والفزر يقصد بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فبنو حنيفة يحيط ببلادهم قبائل قيس عيلان، ومن الشرق قبائل تميم.

وقد انتشرت بطون بني حنيفة وأبناء عمومتهم من بني قيس بن ثعلبة وبني يشكر وغيرهم من بكر بن وائل في أودية جبل عارض اليمامة، وأشهرها العِرْض (عرض بني حنيفة) وما حوله من الأودِية.

ومن أشهر بطون بني حنيفة بنو عَدِيٍّ، ومن هاؤلاء مسيلمة الكذَّاب، والعباس بن الأحنف الشاعر ونجدة بن عامر، وكانت منازل بني عدي هاؤلاء متفرقة في أعلى العرض، وفي أسفله حتى منطقة الْخَرْج، ومن قراهم في أعلى العرض النَّقْبُ وعَقْرَبَاء وأُبَاض.

قال الهمداني[١] بعد أن ذكر مَنْفُوحَةَ قال: وفوق ذالك قرية يقال لها العوقة[٢] فيها ناس من بني عَدِيٍّ، وفوق ذالك غَبْرَاء[٣]، وفوق ذالك مُهَشَّمَةُ[٤] والْعَمَّارِيَّةُ مقرونة بها، وفوق ذالك فَيْشَانُ، وفوق ذالك قرية يقال لها أُبَاضُ، بها وقعة خالد بن الوليد ومسيلمة، لبني عدِيٍّ بن حَنيفة، وفوق ذالك قرية يقال الْهَدَّار[٥].

ويفهم من نصوص أخرى أَنَّ أُبَاضَ عرض كثير النخل والزرع[٦].

وقَدْ قرنها الشاعر بالهدَّار، اذ قال ـ وهو موسى بن جابر الحنفي ـ:

فَلَا يَغُرَّنَّكَ فِيمَا مَضَى جَخِيْفُ قُرَيْشٍ وَإِكْثَارُهَا
غَدَاةَ عَلَا عِرْضَنَا خَالِدُ وَسَالَتْ أُبَاضُ وَهَدَّارُهَا

---

(١) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٨٤ ـ طبع دار اليمامة.
(٢) صواب الاسم (عِرْقَة).
(٣) تعرف باسم (غُبَيْرَاء) وحلت محلها (الدِّرْعِيَّة).
(٤) تعرف باسم (أبو الكباش).
(٥) موقع الهدار في أعلى الوادي، وبقى من اسمه (الهُدَيْدِير) من الشعاب التي تسيل في الوادي، وكذا أباض شعب من روافد الوادي قريب الهدار، أما أباض المذكور في النصوص فهو (عِرْضٌ) أي وادٍ ذو زروع وسكان، كما نقل صاحب «لسان العرب» عن أبي حنيفة الدينوري ـ ويفيض الشعبان في رحبة واسعة أعلاها كانت تقع فيه بلدة الهدار، وأسفلها تقع بلدة أباض. وكانتا مشهورتين بكثرة النخيل.
(٦) «لسان العرب» رسم (أبض).

وأباض هذه على ما اتضح لي من كلام المتقدمين تقع أعلى وادي حنيفة، فبعد أن ينزل القادم من بلدة سَدُوْسٍ من الأَبَكَّيْنِ في الوادي يصل إلى رَحْبَةٍ واسعة، تقع بلدة الْعُيَيْنَة في جنوبها الشرقي مُتَّصِلَةً بها، وأعلى هذه الرحبة كان يعرف برحبة الهدار، على ما نقل ياقوت عن ابن أبي حَفْصة اليمامي [١].

وقد ذكر ابنُ جرير في «تاريخه» [٢]، أن خالد بن الوليد كان منزله الذي به التقى الناس، أباضَ، وادٍ من أودية اليمامة ـ يقصد أثناء حربه للمرتدين ـ قال: ثم تحول إلى وادٍ من أوديتها يقال له الوبر [٣]، كان منزله بها. انتهى.

ومن هنا ذكر بعض المتقدمين أن زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قتل في وقعة أباض، ومعروف أنه قتل في وقعة عقرباء، وهي لا تبعد عن أباض هذه أكثر من ثلاثة أميال، ولكون خالد اتخذ أُبَاضَ مَقَرًّا له أثناء الحرب نسبت بعض الحوادث بوقوعها في هذه الموضع.

وَيَرَى بعض الباحثين أن نَجْدَة اختار بلدة أباض بسبب عزلتها وتذمر أهلها من الأمويين، وحضارتها القديمة وثروتها. وأُضِيف إلى هذا بأنها من بلاد قومه بني عَدِيٍّ بن حنيفة وهي في موقع حصين، حيث تتوسط جبل العارض، ومنافذ الوصول إليها من اليسير صيانتها ومنع سلوكها.

أما نسبه: فهو نجدة بن عامر بن عبدالله بن سيَّار بن المطرَّح بن ربيعة بن الحارث بن عبدالحارث بن عَدِيٍّ بن حنيفة [٤].

---

(١) «معجم البلدان» رسم (الأَبَكَّيْن).

(٢) ـ ٣٠٠/٣ ـ.

(٣) كلمة (الوبر) أراها تصحيف (الوتْر) وهو وادي البطحاء الذي كان يخترق مدينة الرياض.

(٤) على ما رأيت في «أنساب الأشراف» ـ ٨١/١١ ـ، مطبوع في أوربة بتحقيق احد المستشرقين. و«جمهرةالنسب» لابن الكلبي، و «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ص ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية، «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم وغيرها من كتب النسب وجاء في كتاب «أنساب الأشراف» ما نصه: وسمي الْمُطَرَّح لأن بني كلاب أصابوه وهو غلام فأخذوه، وكان شهاب بن حبيب بن الحارث بن عبدالحارث يغير على القبائل فقال له ربيعةُ بن الحارث: أنت تُغِير وابني في بني كلاب مُطَرَّحٌ. فَسُمِّيَ الْمُطَرَّحَ.

وتشحُّ المصادر التي بين يدي بإمدادي بمعرفة شيء عن حياة نجدة في أول أمره، بل إنها تجمع على النيل منه، وإبرازه بصورة من التحقير، فَضْلاً عن الإشارة إلى شيء من أحواله التي قد تتضح بها بعض محاسنه، ولهذا فكثيراً ما يرد في الكتب اسم نجدة بن عويمر تحقيراً له، وقد يقال نُجَيْدَة كما في قول الراعي النميري [1] :

وَلَا أَتَيْتُ نُجَيْدَةَ بنَ عُوَيْمِرٍ ... أَبْغِي الْهُدَى فَيَزِيْدُنِي تَضْلِيْلَا

وقد حدد البلاذري وبعده ابن الأثير تاريخ ولادة نجدة بسنة ٣٦ هـ، إذ ذكر أنه بويع سنة ٦٦ هـ وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، ويفهم من هذا أنه نشأ ذا طموح، وذا همة عالية، فقد شارك في أعمال أخرى قبل أن يبايَع، منها أنه ممن ذهب مع أناس من أهل اليمامة لمناصرة ابن الزبير، وحماية مكة من الغزو الذين بعثهم يزيد كما تقدم ذكر هذا في خبر أبي طالوت، ثم أخذه للعير التي تحمل المال وتقديمها إلى أبي طالوت، ولهذا نرى ابن الأثير [2] يصفه بالشجاعة والكرم فيقول في خبر قتله: وكان شجاعاً كريماً وأورد من قوله:

وَإِنْ جَرَّ مَوْلَانَا عَلَيْنَا جَرِيْرَةً ... صَبَرْنَا لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ الدَّعَائِمُ

وموقف المؤرخ ـ أي مؤرخٍ كانَ ـ يجب أن يكون بعيداً كل البعد عن محاولة إضفاء صفاتٍ على من يتحدث عنه مما لم يتصف به، أو نَفْيِ ما قد يشينه من أخلاق، لإبرازه بمظهر حسن، ولكنني ألمح في ثنايا الأخبار اليسيرة المتعلقة بنجدة أنه على جانب من فهم مقاصد الشريعة، كما يتضح هذا من كتابه إلى نافع بن الأزرق، واحتجاجه عليه بآيات كريمة، وببعض ما ورد عن الرسول ـ ﷺ ـ [3].

---

(١) ديوانه ـ ص ٢٣٣ ـ تحقيق راينهرت ڤاييرت.

(٢) «الكامل» ـ ج ٣ ص ٣٥٢ ـ الطبعة الأولى.

(٣) تقدم نص الكتاب ص ٣٤

وروى البلاذريُّ في «أنساب الاشراف»[1] عن عبدالله بن هرمز قال: كنت كاتب عبدالله بن عباس إلى نَجْدَةَ، وكتب إليه يسأله عن النساء هل كُنَّ يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ؟، وهل كان يضرب لَهُنَّ بسهم؟، وهل كان للعبد في المغنم سهم؟، ومتى كان يُضرب للصبي؟، ويسأله عن سهم ذِي الْقُرْبىٰ، فكتب إليه: إنَّ النساء كُنَّ يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ، فيرضخ لهن بسهم، وأنه لا سَهْمَ للعبد في المغنم، وأنه كان لا يضرب للصبي بسهم حتى يحتلم، وأن عمر بن الخطاب عرض عليه أن يزوج من سهم ذي القربى أَيِّمَنَا، ويقضي عن غارمنا، فأبينا إلَّا أن يسلمه إلينا، وأبى ذالك علينا. انتهى.

كما يُلْمح من تلك الأخبار المتعلقة به أنه كان على جانب كبير من التسامح، ومكارم الأخلاق، فقد ذكر ابن الأثير[2] أنه أَسَرَ حين هزم جيشَ مُصْعبٍ في القطيف جاريةً لقائد ذالك الجيش عبدالله بن عمير الليثي، وهي أُمُّ وَلَدٍ له، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت: لا حاجة بي إلَى من فَرَّ عَنِّي وتركني!!.

وحادثة أخرى يرويها ابن الأثير[3] في خبر استيلائه على الطائف، وأنه أصاب بنتا لعبدالله بن عمرو بن عثمان، فضمها إليه، وأن أصحابه تأثروا من ذالك، وسألوه بيعها، فقال: قد أعتقت نصيبي منها فهي حُرَّةٌ، قال أحدهم: زَوِّجْني إِيَّاها فقال: هي بالغٌ وهي أَمْلَكُ بنفسها، وأَنَا أَسْتأْمِرُهَا. ثم قام من مجلسه وعاد فقال: قد اسْتَأْمَرْتُهَا فكرِهَتِ الزواج، وهو فيما يظهر لم يفعل هذا إلَّا لكي يصون حرمة الفتاة، وسيأتي في الكلام على ما وقع بينه وبين أصحابه من الاختلاف الذي سبب قتله، ما يزيد هذا إيضاحاً.

---

(١) ـ ج ١ ص ٥١٧ ـ.
(٢) «الكامل في التاريخ» ـ ج ٣ ص ٣٥٢ ـ.
(٣) المصدر المتقدم ـ ٣/٣٥٣ ـ.

نَجْدَةُ يُوَطِّدُ حكمه في اليمامة

وأول أمر قيام نجدة كسائر أحواله الأخرى ليس واضحاً، فقد سبق القـول بأنه كان من أتباع أبي طالوت الذي ثار في الخضارم (الخرج)، وأنه قَدَّم لـه الْعِيْرَ التي استولى عليها تحمل أموالاً من البحرين.

إلَّا أن المُبَرِّدَ قال في «الكامل»[1]: ثم مضى نجـدة بأصحـابه إلى اليمـامة، وكان أبو طالوت بالخضارم، في جماعة قد بايعـوه، فلما انخزل نجـدة خلعوا أبـا طالوت، وصاروا إلى نجدة فبـايعوه، ولقي نجـدة وأصحابـه قومـاً من الخوارج بـالْعَـرَمَـةِ فقـال لهم أصحـابُ نجـدة: إنَّ نـافعـاً قـد أَكْفَـرَ الْقَعَـدَ[2]، ورأى الاستعراضَ، وقَتْلَ الأطفال، فانصرفوا مع نجدة، فلما صـار باليمـامة كتب إلى نافع بن الأزرق. إلى آخر ما ذكر.

ويكاد يجمع الذين تحدثوا عن نجدة على أنه كان في أول أمره مـع نافـع بن الأزرق رئيس الخوارج، ومن هنا عَدُّوْهُ بعد انفصاله عن نـافع خـارِجِيًّا ذَا نِحْلَةٍ خاصة، إلَّا أنني أرى أنَّ الذين انضموا إلى نافع في خروجه عـلى الحكم الأموي لم يكـونوا كلهم عـلى مذهب الخـوارج، بل هم ممن لحقـه حيف وظلم في ذالك العهد، وعلى هذا يرتكز مذهب الخوارج، ولكن ليس كل من آزرهم في محـاولة دفع الظلم ممن وافقهم على عقيدتهم.

ولنجـدة بنافـع بن الأزرق من الصلات مـا يقوي القـول بأنها قـامت عـلى أسبـاب أخـرى خـلاف المـذهب، ففضـلاً عن رفض الاستبـداد والاستعبـاد والـظلم، أو كما يُـرْوَىٰ عن الطِّرِمَّـاح بن حكيم وهو خـارجي قحطاني متعصب لقحـطانيته، ومـع هذا كـان مصادقـاً للكُمَيْتِ بن زيد الأسـدي وهو من غُـلاة الشيعة بحيث لا يكاد الرجلان يفتـرقان، فلما سئـل الطرمـاح عن أسباب هـذه

---

(١) ـ ٣/٢٨٦ ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم.

(٢) القاعدون عن القتال.

الصداقة قال: تصادقْنَا على عداوة الناس، وهكذا بعض أتباع نـافع بن الأزرق في خروجه على الدولة الأموية.

أما نجدة فتربطه بنافع صلة النسب، فهما حنفيان يجتمعان بالجد السابع، إذ نـافـع هـو ابن الأزرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسعـد بن صبرة بن ذهـل بن الـدول بن حنيفـة، ونجـدة هـو ابن عـامـر بن عبـدالله بن سيـار بن المُطَرَّح بن ربيعة بن الحارث بن عبدالحارث بن عدي بن حنيفة، ثم هما يمامِيَّان متجـاوران في الدار، الأول من بني ذهـل بن الدُّوْل بن حنيفـة، والثـاني من بني عَدِيٍّ بن حنيفة، وبنـو ذهل من أهـل الهدار[1]، وبنـو عَدِيٍّ من أهـل أُبَاض، وأُبَـاض والهدَّار في أعـلى العِرْض بلدتـان متجاورتـان متصلتان لا يفصـل بينهـما شيء.

لا يعنيني الدفاع عن عقيدة أحد أولئك الذين قَـدِمُوا عـلى ما قَـدَّمُوا، وأنـا أبـرأ إلى الله من أن أستحسن من الآراء أو الأفكـار مـا لا تَتَّفِق قـواعـد الشـرع الإسلامي الحنيف على قبوله واستحسانه، ولكنني أنظر إلى حوادث التاريخ نظرة البـاحث الفاحص، المـدقق البعيد عن كـل هوىً أو عـاطفة، أو غـايـة لا تبلغ الحقيقة، ولم أر فيما قرأت عن نجدة ما يحملني على الاطمئنان إلى ما ينسب إليه، مما لا يتفق مع ما عليه عامة المسلمين.

يعجب المرء من ثائر شاب لا يزال في عنفوان شبـابه، قليـل العدد، ينتمي إلى قبيلة ارتبـطت بـالأرض فتحضَّـرتْ منـذ زمن، وتخلَّت عن وسـائـل الجـلاد والكفاح، بحيث لا تستطيـع أن تُمِدَّ أحـد ثائـريها بمـا هو بحـاجة إليـه من عدد وقوة، ومع ذالك لا يلبث في زمن قصير من بسط نفوذه على أكـثر أقطار الجـزيرة غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً، فيستولي عـلى البحرين (المنـطقة الشـرقية) شَـرْقاً،

---

(١) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٨٦ ـ.

وينقاد له أهل الطائف غرباً، ويجبي عماله زكاةَ صنعاء وحَضْرموت، ويكاد يبلغ نفوذه جَبَلَيْ طيٍّءٍ شمالاً في زمن لا يزيد على خمس سنوات.

ولعل أوضح تعليل لهذا، هو أن هذه البلاد كلها كانت تئن من ألم الظلم، وتتمنى أن تجد الخلاص منه، فسارعت إلى الانقياد لحكم نجدة - على ضعفه - كالغريق المتشبث بأوهى الأسباب طلباً للنجاة.

لَمْ يُفَصِّل المؤرخون من أخبار نجدة ما هو بحاجة إلى تفصيل، ولعل من أوفاهم في ذالك البلاذري الذي خصص في كتابه «أنساب الأشراف» صفحات عنونها بقوله: (أمر نجدة بن عامر الحنفي) [1]ساق طرفاً من أخباره التي لخصها ابن الأثير في نحو صفحتين من كتابه[2] وذكر صاحب «معجم الأدباء» في ترجمة أبي مِخْنف المتوفى ١٥٧هـ من مؤلفاته كتاب نجدة الحروري. والكاتب ليس معروفا الآن.

وفي كتب التاريخ والأدب معلومات موجزة تتعلق بنجدة، ولعل من أَوْفَى من كتب عنه في عهدنا الاستاذ محمد بن ناصر بن أحمد الملحم، في كتاب «تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري»[3] فقد أفرد لنجدة من هذا الكتاب، في الفصل الرابع منه في الكلام على خوارج البحرين صفحات حَوَتْ جُلَّ ما في الكتب المشهورة عنه.

وقد استخلصت من تلك المؤلفات ما حاولت أن أستشف به جوانب من حالات نجدة.

١ - فمن ذالك ما سبقت الإشارة إليه مما ذكر المبرد أنه بعد عودته من الدفاع عن الكعبة المطهرة، التقى بقوم في الْعَرَمَةِ، والْعَرَمَةُ هي سلسلة الجبال

---

(١) ص ١١٥٢ إلى ص ١١٥٩ - من مخطوطة اسطنبول وص ٤٥١ و٤٥٢ من المخطوطة الدمشقية.
(٢) «الكامل في التاريخ» حوادث سنة خمس وستين.
(٣) وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٤ هـ.

التي لا تـزال معروفـة في شرق عـارض اليمامـة، تفصـل بينـه وبـين الـدهنـا، وأطرافها الجنوبية تُطِلُّ على الخضارم (الخرج) وجانبها الغربي يشاهـد من مدينـة (حجر)[1] قاعـدة اليمامـة حيث بلاد بني حنيفـة، فهي متوسـطة في بلاد نجـدة وقومه، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن أولئك الذين كـانوا في الْعَـرَمَةِ من أهـل اليمامة.

ويروي الشهرستاني[2] أن نجدة خـرج من اليمامـة مع عسكـره للالتحـاق بالأزارقة، فاستقبله بعضُ زعمائهم في الطائفة الذين خالفـوا نافـع بن الأزرقِ، وأخبروه بما أحدث من خلاف وبدع، وأنهم بايعوا نجدة.

والذي أرى أن نجدة كان قد علم بأمر نـافع قبـل ذالك، إذ يفهم ممـا ذكر البلاذريّ أن نجدة عاد إلى البصرة بعـد مناصـرة ابن الزبـير، [3] قال: لمـا بلغ عبيـدالله بن زياد ـ وهـو أمير البصـرة ـ موت يـزيد، فنـودي الصلاة جـامعة ثم خـطبَ فَنعَى يزيـدَ ـ إلى أن قال: فكـان في سجنه في البصـرة نـافـع بن الأزرق الحنفي، ونجدة بن عامر الحنفي، وعبدالله بن إباض.. وكانـوا غضبوا لِلْبَيْتِ، فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره، ثم إنهم قدموا البصرة فالتقـطهم ابن زياد فحبسهم.

٢ ـ ويروي البلاذري وابن الأثير[4] أن عيراً خـرجت من البحرين أو من البصرة تحمل أمـوالاً فاعتـرضها نجـدة، وهي في طريقهـا إلى مكة، وقـد بلغت (جبلة) [5] الهضبـة المعروفـة في عاليـة نجد، عـلى خمس مـراحـل من (حَجْـرٍ)

(١) قامت على أنقاضها مدينة الرياض

(٢) «الملل والنحل» ـ ج ١ ص ١٢٢ ـ.

(٣) «انساب الاشراف» القسم الرابع ـ ج ١ ص ٤٠١ ـ.

(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية و «الكامل» ـ ج ٣ ص ٣٥٢ ـ.

(٥) ، جبلة لها ذكر كثير في أخبار العرب قبل الإسلام، إذ حدث بقربها بعض أيـام العرب المشهـورة وتقع غـرب اقليم السرِّ في عالية نجد بقرب خط الطول: ٥٤′/٤٣° وخط العرض ٤٨′/٢٤° ويقربها عدد من هجر البـادية والقـرى المعمورة مثـل نَفْـيٍ وأُضَـاخ وغيرهما.

فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت في الخضارم، فقسمها بين أصحابه، وقال لهم: اقتسموا هذا المال وردوا هاؤلاء العبيد يعملون الأرض لكم، فإن ذالك أنفع، ولما اقتسموا المال قالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت، وقالوا لأبي طالوت: إنا كنا بايعناك على أنا إذا وجدنا خيراً منك بايعناه وبايعته، ونجدة خير لنا منك، فبايعوه على ما يبايع عليه الخلفاء (أن لا يخلع إلا من جور ظاهر) وبايعه كذالك أبو طالوت، فخلعوا أبا طالوت وذالك سنة ٦٦ هـ، ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة.

ويفهم من هذا أن نجدة كان تابعاً لأبي طالوت حتى ذالك العام، كما يفهم منه أن أبا طالوت هو الذي أباح استرقاق العمال الذين كان معاوية بعثهم مع أبنائهم من الشام لزراعة البلاد، وأن نجدة قدم لأصحاب أبي طالوت أموال تلك العير، وأمر بعدم استرقاق أولئك وتركهم يتولون الحراثة والزراعة.

ونص على هذا صراحةً البلاذريُّ[1] حين قال عن نجدة: فأخذ العير بما فيها، وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالخضارم، فقال نجدة: اقتسموا هذا المال، واجعلوا غَلَّةَ هذه السيوح لكم ولمن لحق بكم، ورُدُّوا هذا الرقيق، فدعوهم كما كانوا يعتملون الأرض ويعمرونها، فإن ذالك أَرَدُّ وأنفع فاقتسموا المال.

ويفهم مما تقدم أن نجدة كان يخالف الخوارج، فلا يجيز استرقاق من كان مسلماً.

ويبدُوْ أن نجدة أصبح في قومه ذا مكانة قوية بحيث أعلن اعتزاله للخوارج الذين بقيادة نافع، وانقياد أبي طالوت الذي كان قد استولى على اليمامة، ومبايعته هو وأتباعه له، وقد اتخذ في بلدته أباض مَقَرِّ عشيرته الأقربين قاعدةً له، منها يشنُّ حركاته لتوطيد نفوذه.

(١) «أنساب الأشراف» ج ١١ تحقيق وليم أهلورد.

وقعـــة المجــازة

قـد يكون من أشهـر حوادث عهـد نجدة التي وقعتْ في هـذه البـلاد وقعـة (المجـازة)، ولا شك أنها مما وطد ملكـه في هذه البـلاد، حيث انتصر فيها عـلى أشهر القبائل وأكثرها فروعاً في ذالك العهد، وهي قبيلة كعب من بني عامـر بن صعصعـة، التي من فروعهـا عُقَيْلٌ وقُشَـيْرٌ وجَعْدَةُ وغيـرهم، وكان هـاؤلاء هم سكان جنوب اليمامة وهم جيران بني حنيفة الذين قال فيهم الشاعر الحنفي :

وَأَنَّ أَبَـانَـا كَـانَ حَـلَّ بِـبَـلْدَةٍ ... سَوًى بَيْنَ قَيْس، قَيْسِ عَيْلاَنَ والْفِزْرِ

ويعني بالفزر بني سعد من تميم .

ولم تفصل ما بين يدي البـاحث من كتب التاريـخ خَبَرَ هـذه الوقعـة، وإنما تكتفي بإشارات موجزة، فياقوت في «معجم البلدان» في رسم (المجـازة) يكتفي بالقول: وكـان به يـوم لنجدة الحـروري في أيام عبـدالله بن الزبـير، حين هـزم عسكر ابن الزبيرَ فقال عبدالله بن الطُّفَيْل [1] :

وَلاَ تَـعْـذُلِيْـنِي فِي الْفِـرَارِ فَـإِنَّـنِي ... عَلَى النَّفْسِ مِنْ يَوْمِ الْمَجَازَةِ عَاتِبُ

فهل شمل ملك ابن الزبير اليمامة ليبعث إلى المجازة جيشاً؟!.

من المعروف أنه استولى على البصرة، وحاول الاستيـلاء على البحـرين فلم يَتَسَنَّ له ذالك، أما في الحجاز فقد استقرَّ حكمه في المدينتين الكريمتين بِحيْثُ أن الطائف استولى عليه نجدة، الذي أراد الاستيلاء عـلى المدينـة فعرف أن أهلهـا سيقاتلونه فانصرف بعد أن بلغ نَخْلاً (الْحِنَاكِيَّة).

لا شك أن ابن الزبـير بعد أن قـام نجدة بـأخذ العـير المحملة أمْوَالاً، التي كانت وجهتها إليه، قد عزم على الانتقام من نجدة، فأحد المؤرخين حينما يروي

---

(١) لعله أبو الصمة بن عبدالله الشاعر المشهور فهو معاصر لتلك الحادثة وهو شاعر أيضاً أورد الهجرى له شعراً.

هـذه الحادثـة يضيف: وحين علم ابن الـزبير بمـا فعله الخـوارج بـالعـير، أخـذ يتهددهم، فقال لسراج[1] بن مجاعة الحنفي: والله لأوجهن إليهم جيشاً[2].

ويبدو أن ابن الزبير استمال بعض القبائل من المنضمين إلى ولائه، وقبـائل قيس كلها زبيرية الهوى، كما ذكر ابن سلام في «طبقات الشعراء»[3] في الكلام على الراعي النميري.

وبنو عامر لهم صلات قوية بالمدينتين الكريمتين، فقد كانت ولاية بني كلاب وغيرهم من بني عامر من أهل العالية إلى المدينة، وهي تحت حكم ابن الـزبير في ذالك العهد، ولا شك أنه استمـال بني كعب بن ربيعة بن عـامر، وهـاؤلاء هم الجيران الأدنون لبني حَنِيفةَ، إذ بلادهم منتشرة في الأفلاج، وفي الجانب الجنوبي من عارض اليمامة شرقاً وغرباً مِنَ الْعَقِيق (وادي الدواسر) فما دونه.

ومن هنـا أراد هاؤلاء الهجـوم على مـا يليهم من البلاد التي لهـا صلة بقـوم نجدة من بني حنيفة، كـالمجازة التي كـان أهلها من بني هـزان، وهم من عنزة، ويجمعهم بحنيفة الأصل الربعي.

ولعل نجدة قبل ذالك كان قد عزم على الاستيلاء على البحـرين، وبعد أن وجه جيشه علم بمـا دَبَّره هـاؤلاء، فرجـع ذالك الجيش للدفـاع عن المجازة التي هي من بلاد اليمامة، ولكي تستقر الأمور في هذه البلاد، ثم بعد أن يتم ذالـك يكون الاتجاه إلى البلاد المجاورة.

يذكر البلاذري[4] أن نجدة بعد أن أقام أشهراً وكثر أصحـابه فقـالوا: لَـوْ غَـزَوْنا - وبعـد أن ذكر بعث الجيش لغـزو البحرين، ذكـر عَـزْمَ بني كعب عـلى الإغارة على (المجازة).

---

(١) سراج بن مُجَّاعَة بن مرارة بن سُلْمِي، أبوه مُجَّاعة كان سيد أهل اليمامة وسيأتي ذكره بابسط مما هنا.

(٢) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥١ -. (٣) ص ٤٣٧. (٤) «أنساب الأشراف» ٤٥١.

وقـال ابن الأثـير (١) ـ عن نجـدة: ثم سَـارَ في جَمْـعٍ إلى بني كعب بن ربيعـة بن عامـر بن صعصعة، فلقيهم بـذي المجاز (٢) فهـزمهم، وقتلهم قتـلاً ذريعـاً، وصبر كـلاب وعطيف ابنـا قرة بن هبيـرة القُشَيْريَّـانِ حتى قتلا، وانهزم قيس بن الرُّقَاد (٣) الجعدي، فلحقه أخـوه، فسألـه أن يحمله رِدْفاً فلم يفعـل. وأضاف ابن الأثير: ورجع نجدة إلى اليمامة فكثر أصحابه.

ويرى بعض المؤرخين أن نجدة قبل معركة المجـازة، حاول الاستيـلاء على البحرين (٤)، ولكنني أستبعد أن يفكـر في ذالك قبـل ان يستقر أمـره في بلاده، ويبدو أن جيران بني حنيفة الجنوبيين وهم بنو كَعْب بن ربيعة ومنهم عُقَيْل سكان العقيق (وادي الدواسر) وجعدة وقشـير سكان الأفـلاج، اغتنموا فـرصة ضعف الحكم الأمـوي، فصاروا يتحككـون بجيرانهم من بَني حنيفـة وحلفائهم وبينهم ثارات وذُحُول قديمة (٥)، ويورد البلاذري إشـارة يفهم منها أن بني كعب أرادوا الاستيلاء على المجازة وسكانها من بني هزان من عنزة، وهم حلفـاء لبني حنيفة، ويـرجع كلهم إلى ربيعـة، فكأن بني كعب حـين أرادوا التحـرش ببني هـزان في المجازة هَبَّ نجدة وقومه لنصرتهم، فكانت الوقعة التي بهـا استطاع هـذا الثائـر الجديد إن يهزم تلك القبائل، وأن يقوي نفوذه في هذه البلاد.

يروي البلاذري (٦) أن بني كعب بن ربيعة قالـوا لِكلاب بن قُـرَّة بن هُبَيرة القُشَيْرِي: إنها فِتْنَةٌ، فَلَوْ أتينا سوق المجاز فأغرنا، فـإنَّ فيها بـزًّا مَنْشُوراً وثمـراً

(١) «الكامل في التاريخ» ـ ٣ ص ٣٥ ـ.

(٢) كذا والصواب (بالمجازة) إذ المجاز وادٍ يفيض في عرفات في تهامة بعيد عن منازل بني كعب.

(٣) الرقاد: هـو ابن عمرو بن ربيعـة بن كعب وبنو الـرقـاد هـاؤلاء هم أهـل الفلج (الأفـلاج) والملك فيهم، انـظر كتـاب «التعليقات و النوادر» عن ابي علي هارون بن زكريا الهجري رسم (الرقاد) في الأنساب.

(٤) ستأتي الإشارة إلى هذا فيا بعد.

(٥) ذكر المؤرخون كابن جرير ـ ج ٣ ص ٢٨٦ ـ وابن الاثير ـ ج ٢ ص ٢٤٥ ـ وغيرهما أن خـالد بن الـوليد لمـا توجـه لحرب المرتدين في اليمامة ولما قرب منها لَقِي مُجَّاعة بن مُرارة في سرية يطلب ثأراً لهم في بني عامـر وبني تميم قد خـاف فواتـه. وذكر ابن الكلبي أن بني ربيعة من قشير قتلوا أُثَالَ حَجْرٍ يوم اليمامة «جمهرة النسب» ـ ج ٢ ص ٤٠ ـ طبعة العظم.

(٦) «أنساب الأشراف» ص ٤٥١.

مَنْثُوراً. ولا شَكَّ أن المعنيّ بهذا هو (المجازة) لا (المجاز) ثم يضيف البلاذري: فأجابهم كلاب، وأخوه عطيف، فرد نجدة جيشه الذي وَجَّهه إلى البحرين، وبعث حُيَيَّ بن وائل إلى بني كعب وهم بالمجاز، وأرسل معه من يسانده في ذالك، وهو قدامة بن النعمان في ثلاث مئة ولحقهم نجدة بعد ذالك بأربع مئة، وقيل خمس مئة، فالتقوا بدير المجاز فهزمهم نجدة وقتلهم قتلًا ذريعاً، وصبر كلاب وعطيف ابنا قرَّة، وجعل كلاب يقول لأخيه:

صبراً عطيفُ إنّها الشهادَهْ — كل امرئٍ مُفارِقُ أولادَه

وصبرا حتى قُتِلَا وانهزَم قيس بن الرقاد الجعدي، فلحقَهُ أخوه لأُمّهِ معاوية بن قرّة، فسأله أن يحملَهُ رِدْفاً فلم يفعَل، وقدم جفينة بن قرة على أَهْلِهِ خُفْيَةً، فأتته امرأته بزُبد وتمر، فجعَل يأكُل وهي تسأله عن إخوة لها وإخوتِهِ، فلم يجبها فقالت: اجْتَحفْ وأَخْبِرْ. فقال:

لا يستوي الجَحْفان جَحْفٌ بِزُبْدَةٍ — وجَحْفُ حَرُوْرِيٍّ بِأَبْيَض صَارِمِ

فلما فرغ قال: سَلِي، فلم تسأله عن أَحَدٍ من إخوته وإخوتها إلَّا نعاه، فشقت جَيْبَها، وقالت: وَيْحك أَلَا صَبَرْت حَتَّى تُقتَلَ معَهُم؟ وَقال معاوية [بن قُرَّة]:

ياقاتل الله قَيْسَ الْجَعْدِ كَيْفَ دَعَا — كَعْباً لِأَسْبَابِ أَمْرِ غَيْر مَيْمُوْنِ
حَتَّى إِذَا الْتَقَتِ الأَبطالُ وَاطَّعنُوا — فِعْلَ الدِّيَافِيَّةِ المَطْلِيَّةِ الجُوْنِ
طَرَّح رَايَتَنا قَيْسٌ وبَزَّزَهُ — عَنِ الطِّعَان طَوِيْلُ الشَّخْصِ مَلْبُوْن

في أبيات، وقال قيس:

اسْأَلْ مُعَاوِيَةَ بنَ قُرَّة إِذْ دَنَتْ — مِنْهُ الأَسِنةُ أَيَّ فِعْل يَفْعَلُ
فَإِذَا أتيت أَبَاكَ فَاشْتَرْ مِثْلَهُ — إِنَّ الرِّدَافَ عَنِ الأَحِبَّةِ يُشْغِلُ

[يرُيد فرسه] وقال جفينة وهو جفنة يُحَرِّض ابن الزبير:

عَلى أيِّ شيْءٍ أَنْتَ بالرُّكْنِ وَاقِفُ مُقيمٌ وقَدْ سارَتْ بِهِنَّ الرَّكَايبُ
ولاَ شيْءَ إلاَّ الموت إذ برزتْ لنا حَنيفة أربابُ السُّيوفِ القواضب

في أبيات. قالوا: وَرَجع نجدةُ إلى اليمامة، وكثر أصحابه فصاروا ثلاثةَ آلاف، فخاف أن يطأَ الجنودُ اليمامة، وأن يُغْزَى أَهْلُهَا، فاستخلف باليمامة عمارة بن سُلْمِيٍّ من ولد الدُّوْل بن حَنيفة، وهو عُمَارة الطَّوِيْل، وأَتَى البحرين في سنة سبع وستين [١].

كذا ورد اسم الموضع مرة باسم (سوق المجاز)، وأخرى باسم (دير المجاز)، ولا شك أن هذا خطأ قد يكون ناشئاً عن عدم ضبط كتابة النسخة المخطوطة، من كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري [٢]، ثم جاء من بَعْدَهُ فنقلوا عن هذه النسخة. والغريب أن هذا الخطأ تكرر في تاريخي ابن الأثير وابن خلدون، ويلاحظ أن ابن خلدون لخص أخبار نجدة عن كتاب ابن الأثير، والمجاز لا صلة له ببلاد بني كعب، وإنما صواب الاسم (المجازة) كما ورد في كتب أخرى، وهي التي بقرب بلاد بني كعب، فهم يجاورونها من الناحية الجنوبية في الأفلاج، وتمتد منازلهم إلى أعالي الأودية التي تنحدر من جبل العارض فتسيل في المجازة وما حولها، كوادي بِرْكٍ ووادي بُرَيْك ووادي نَعَام ووادي مُطْعِم وغيرها من تلك الأودية، التي تفيض سيولها في أراضٍ خصبة واسعة كـ (المجازة) و (الخرج) حيث تكثر الزروع والنخيل.

ويَبْدُوْ أن المجازة في ذالك العهد كانت كثيرة النخل والزراعة، حيث

---

(١) كما أن البلاذري توفي قبل اكمال كتابه بحيث لا يؤمن أن يكون هذا الجزء مما لم يعتن مؤلفه بضبطه.

(٢) وهناك موضع آخر يدعى المجازة يقع في طريق حاج البصرة في أعلى وادي فَلْج (الباطن) يعرف الآن باسم الثُّمَامِي يقع غرب مدينة الْحَفَر، وقديماً يسمى المجازة وهو في أول نفود الدهنا، وهو الذي أورد فيه ياقوت كلام السكري وانظر عن تحديده «المعجم الجغرافي» قسم (المنطقة الشرقية).

وصفها أولئك بِالْحَبِّ المنثور، والتَّمْر المنشور، قال ياقوت: والمجازة وادٍ وقرية من أرض اليمامة، ساكنه بنو هِزَّان من عَنَزَة بن أسد بن ربيعة، وبها أخلاط من الناس من موالي قريش وغيرهم، سكنوها بعد قتلة مسيلمة الكذاب، لأنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد لما صالح أهل اليمامة، وبها جبل يقال له: شهوان يصب فيه برك ونعام، ووراء المجازة فلجُ الْأَفْلَاج [1] . انتهى.

وأهل المجازة في ذالك العهد على ما نقل الهمداني عن الْجَرْمي: المجازة من أرض اليمامة لبني سُلَّ وبني صُبَيْح، وبني كَبِير، فأما سُلَّ فهو ابْنُ جَرْمٍ كُبْرٌ، وبنو كَبِير من الْهُوْن، وصُبَيْح بطن من سُلَّ [2] . وقال: ومن جانب اليمامة الآخر قرية يقال لها: المجازة بها بنو هِزَّان من عنزة، وإلى جانبه قرية يقال لها: ماوان بها بنو هِزَّان، وبنو ربيعة ناس من النَّمِرِ بن قاسط. انتهى.

ولا يزال في تلك الجهات بعض اولئك السكان كبني هزان، وأسر تنتسب إلى الكبراء وهم بنو كبير، وقد درست المجازَةُ البلدة، وموقعها لا يزال معروفاً في تلك الناحية، في أسفل وادي بُرَيْك (وادي حوطة بني تميم) عند التقائه بوادي نَعَام (وادي الحَرِيْق) بقرب خط الطول: ٤٨ʹ/٤٦° وخط العرض: ٣٠ʹ/٢٣°.

ومما تجب ملاحظته أن طبيعة البلاد معرضة دائماً للتغير، فقد تكون يوماً ما

---

(١) «معجم البلدان» رسم (المجازة).

(٢) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٣٠٩ ـ وجَرْم هو ابن رَبَّان بن حُلْوَان بن الْحَاف بن قضاعة، وسُلَّ هو لقب الحارث بن رفاعة بن عديَ بن بيهس بن طرود بن قدامة بن جرم قال عنهم ابن الكلبي في «النسب الكبير»: وهم باليمامة مع بني هزان، وأورد من شعر لأحدهم:

وما نزلَتْ سُلَّ بهِزَّانَ قِلَّةً ... ولكن أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُوْدُ

وكأنهم خالطوا هِزَّان في عهد متقدم، ومنهم أسماء بن قارب الذي حاكم بني عُقيل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الْعَقِيق (وادي الدواسر) فقضى به لجرم.

وكَبِير هو ابن غالب بن عدي بن بَيْهَسَ بن الحارث بن دِيْنارِ بن سعد بن عُذْرَةَ مِنْ جَرْمٍ، الذي يُنْسَبُ إليه الكُبَرَا في الأفلاج.

ذات خصب وغزارة مياه، ثم تتغير حالتها فتصبح جَرْدَاء جافَّةً، ولهذا فليس غريباً أن نقرأ في المؤلفات القديمة عن وجود أنهار وعيون ومياه كثيرة في كثير من الأماكن، ثم لا نرى أثراً لذلك في عهدنا، فقد ذكر ابن الفقيه في «مختصر البلدان» في كلامه على اليمامة: أنها ذات عيون كثيرة، وسمَّى بعضَ تلك العيون التي جُهِلَتِ الآن، وقال: وبالمجازة نَهْرَانِ، وبأسفلها نهر يقال له: سَيْحُ الغمر، وبأعلاها قرية يقال لها: نَعَام، بها نهر يقال له: سَيْحُ نعام. انتهى، وهذا يدل على ما كانت تتمتع به المجازة في سابق عهدها من خصبٍ ونَمَاءٍ.

نجدة يستولي على البحرين وعمان والطائف واليمن

لا شك أن نجدة بعد أن أزال الخطر الذي يهدد استقراره في بلاده اليمامة، بالانتصار على بني عامر في وقعة المَجَازَةِ، يدرك أن ابن الزبير ـ وقد يكون المحرك لأولئك، وأنه قد بعث لمناصرتهم جيشاً ـ لن يهدأ له بالٌ حتى ينتقم من نجدة، فقد توعده في حديثه مع أحد رؤساء البلاد الخاضعة لحكم نجدة، وهو سِرَاجُ بن مُجَّاعة الحنفي اليمامي[1]، ولهذا هَبَّ نجدةُ لِدَرْءِ ذالك الخطر، وأقرب مكان يَخْشَى أن يؤتى منه هو بلاد البحرين المجاورة للعراق، حيث قد استقر حكم ابن الزبير في مدينة البصرة وولاها ابنه حمزة، ثم أخاه مصعباً.

ومن هنا كان اتجاه نجدة لغزو البحرين.

يروي البلاذري[2] أن نجدة بعد أن صار ذا أتباع بعث نصر بن مبارك الحنفي في ثلاث مئة إلى البحرين، وأوصى نجدة جيشه: إن قُتل نَصْرٌ فأميركم أبو سعدة العِجْلي[3]، وكانت البحرين في ذالك العهد تحت حكم يزيد بن معاوية وواليها من قبله سعيد بن الحارث الأنصاري، فلم يستطع جيش نجدة الاستيلاء على البلاد، كذا ذكر البلاذُري، ومعروف أن يزيد توفي سنة أربع وستين، قبل أن يلي نجدة الأمر، حين كان تابعاً لأبي طالوت حتى سنة خمس وستين، ويضيف البلاذري: أن نجدة وجَّهَ جيشاً آخر بقيادة قدامة بن المنذر بن النعمان، وأوصى بأن يتناوب القيادة فيما لو قُتِل قدامةُ ـ أربعة أبو سعدة

---

(١) هو سراج بن مُجَّاعَة بن مرارة بن سُلْمِي بن زيد من بني عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة من التابعين، وذكر ابن حبان أن له صحبة على مافي «الإصابة» لابن حجر، وذكر في «تهذيب التهذيب» ـ ٣/٤٥٥ ـ أنه روى عن أبيه وله صحبة، وروى عنه ابنه هلال، وروى أبو داود عنه حديث اقطاع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجاعة أرضاً باليمامة، وذكره ابن حبان في الثقات. ويحسن الرجوع إلى حديث الاقطاع لصلته بترجمة رجل من أهل هذه البلاد جدير أن يعرف تاريخه، وقد ورد في «تهذيب اللغة» للأزهري ـ ١٠/١٢ ـ رسم (شكر).

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية.

(٣) عجل هم أقرب القبائل نسباً إلى حنيفة فهما اخوان ابنا لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وايل.

العِجْلي، وإسافُ اليشكري والمُطَرَّحُ، وأبـوسنان حُيَيٌّ بن وائـل اليشكري، إذا مات أحدهم تَوَلَّى الآخرُ بعده، ولكن هذه القوة غَيَّرَتْ وجهتها إلى المجازة حين أراد بنو كعب الإغارة عليها، وبعد أن يورد البلاذري خبر وقعة المجازة يذكر بأن نجدة عاد منها إلى اليمامة.

وذكـر ابن الأثير في «تـاريخه»[1] أن نجـدة لمـا رجـع من هـذه الـوقعـة كـثر أصحابه فصـاروا ثلاثـة آلاف. وأنه سـار إلى البحرين سنـة ٦٧ هـ بعد أن ولَّى عـلى اليمامـة على مـا ذكر البـلاذري عُمَارَةَ بن سُلْمِيٍّ[2] وبـلاد البحرين في ذالـك العهـد تمتدُّ من عُمَـان جنوبـاً حتى قرب البصـرة شمـالاً، وهي مـا يعـرف الآن بـ (المنطقةالشرقية) من المملكة العربية السعودية والإمارات والكويت، وسكانها خليط من القبـائـل، ففيهـا من الأزد، وأكـثر سكـان سـواحلهـا من ربيعـة من عبدالقيس، وبكر بن وائل وغيرهما، وتنتشر قبيلة بني تميم في غربيهـا، فيما بـين رمال يَبْرِيْنَ جنوباً إلى قرب سواد العراق شمالاً.

ومعروف أن بني عبدالقيس مِمَّنْ أخلص الولاء لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهـه ـ فهم يُعَدُّوْن من شيعتـه، ومعروف أيضـاً أن النزعـة القبلية لا يـزال لها تأثيرها في نفوس كثير من القبائل، لم تستأصلها تعاليم الإسلام بعد، والأزديـون كـانوا يـوماً مَّـا سكان بـلاد البحرين قبـل بني ربيعة، عبـدالقيس وبني بكـر بن وايـل، ومن هنا فقـد وجد نجـدةُ من الأزد من الميل والمسـالمة مـا سـاعـده عـلى الاستيـلاء على البـلاد، فذكـر البلاذري وابن الأثـير[3]: أن نجدة لمـا سـار إلى

---

(١) «الكامل» ـ ٣٥٢/٣ ـ.

(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ص ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية. وآل سلمي من سادة أهل اليمامة من بني سُلْمِي، وتقدم ذكر نسبهم، منهم مجاعة بن مرارة بن سُلْمِي الـذي يقال لـه مجاعـة اليمامـة، والذي قـال فيه سـارية بن عمـرو لخالـد بن الوليد: ان كان لك بأهل اليمامة حاجة فاستبق هذا يعني مجاعة «جمهـرة النسب» لابن الكلبي، وسيأتي ذكـرهم في الكلام على استيلاء المُهَيْر بن سُلْمِيّ على اليمامة.

(٣) «أنساب الأشراف» ـ ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية و «الكامل» ـ ٣٥٦/٣ ـ.

البحرين سنة سبع وستين قالت الأزدُ: نَجْدُة أَحبُّ إلينا من وُلاَتِنا، لِأنه ينكر الْجَورَ، وولاتُنَا يُجَوِّزُوْنَهُ، فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومَنْ بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعض الْأَزْد: نَجْدَةُ أَقْرَبُ إليكم منه إلينا لأنكم كلكم من ربيعة، فلا تحاربوه، وقال بعضهم: لاَنَدَعُ نجدةَ وهو حَرُوْرِيٌّ مارقٌ تجري علينا أحكامه فالتقوا بالقطيف، فانهزمتُ عبدُ القيس، وقتل منهم جمع كثير، وسبا نجدة من قدر عليه من أهل القطيف.

ويشير البلاذُري[1] إلى ما أبداه بعض زعماء عبدالقيس من الحماسة في القتال فيقول: فأقبل وكيع أحدُ بني جَذِيْمَةَ من عبدالقيس وهو يرتجز:

يَا أُمَّ يَعْقُوْبَ تَجَنَّبِيْنِي ... لاَتَحْذَرِيْ عَلَيَّ واحْذَرِيْنِي
إنَّ عَلَيَّ واقِياً يَقِيْنِي ... أَنَا وكِيْعٌ لَسْتُ بِالْهَجِيْنِ
الْيَوْمَ أَحْمِي حَسَبِيْ وَدِيْنِي ... مَا مَلَكَتْ قَائِمَهُ يَمِيْنِي

فَقُتِل وكيع، وجماعة من العَبْدِيِّيْنَ.

وقال ياقوت الحموي[2]: وكان نجدةُ الحروري أنفذَ ابنَهُ الْمُطَرَّحَ في خيل إلى عبدالقيس بالقطيف ليصدِّقَهُمْ، فَقُتِلَ المطَرَّحُ في الحرب، ثم انتصرت الخوارج عليهم فقال حَمل بن الْمُعَنَّى الْعَبْدِيُّ:

نَصَحْتُ لِعَبْدِ الْقَيْسِ يَوْمَ قَطِيْفِهَا ... وَمَا خَيْرُ نُصْحٍ قِيْلَ لَمْ يُتَقَبَّلِ
فَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْقَطِيْفِ فَوَارِسٌ ... حُمَاةٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ بِكَلْكَلِ

ويقول ابن الأثير[3] ـ بعد أن ذكر أن نجدة قتل جمعاً كثيراً، وسبا من قدر عليه من أهل القطيف ـ: أقام بالقطيف، ووجه ابنه المطرح في جمع إلى المنهزمين من عبد القيس، فقاتلوه بالثُّوَيْرِ، فقتل الْمُطَرَّحُ بن نجدةَ وجماعة من أصحابه،

---

(١) «انساب الأشراف» ٤٥١. (٨) «معجم البلدان» رسم (القطيف). (٣) «الكامل» ـ ٣٥٢/٣ ـ.

وأرسل نَجْدَةُ سَرِيَّةً إلى الْخَطِّ فظفر بأهله، ويورد البلاذريُّ خبر قتل المُطَرَّحِ بن نجدة ويضيف: وقال في ذالك حَمَّالُ بْنُ سلمة الشاعر:

إنْ تَقْتُلونَا بِالْقَطِيْفِ فَإِنَّنَا ... قَتَلْنَاكُمُ يوم الثُّوَيْرِ وَصَحْصَحَا
وَإِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا وَكِيْعاً وَعَاصِمًا ... فَإِنَّا قَتَلْنَا طَارِقاً والْمُطَرَّحَا

ويبدو أن الثُّوَيْر هذا من المواضع الواقعة في منطقة البحرين وكذا صَحْصح الذي ذكر ياقوت أنه فيها، وليس كما قال صاحب كتاب «تاج العروس» (١): الثوير ماء بالجزيرة من منازل تغلب له يوم معروف، قُتل فيه المطرَّحُ وجماعة من النجدية، وفيها يقول حماد بن سلمة وأورد الشعر، وقال: كذا في «أنساب البلاذري». انتهى، وهذا الكلام ملفق من نصين أحدهما قول ياقوت عن الثوير، والثاني خبر قتل المطرح وهذا عن البلاذري.

وليس من المعقول أن يبلغ فَلُّ المنهزمين من عبدالقيس الجزيرةَ الفراتية، مجتازاً بلاد العراق، فيلحق به جيشُ نجدة هناك، والبصرة تحت حكم آل الزبير وهي تتأهب لغزو نجدة، وأَخْذِ الثأر منه.

لا شكَّ أَنَّ نجدة تأثر لقتل ابنه، ولهزيمة جيشه، ولهذا ـ على ما ذكر البلاذريُّ (٢) ـ: وجَّه رجُلاً من عكل يقال له ذَوَّاد إلى الخطِّ فظفر بهم، ثم أورد رجزاً لِسُوَيْد بن كراع العكليّ سيأتي فيما بعد. والخط هو ما يوالي البحر من بلاد البحرين، بامتداد المنطقة كلها، ومن الخط الْقَطِيف وعَيْنَيْن (الجُبَيْل) والْعُقَيْر وغيرها.

أقام نجدة في البحرين، ولكن ابن الزبير لم يكن ليتغاضى عن حركاته، التي كان منها في أول أمره أن استولى على العير القادمة من البصرةِ بأموالٍ لابن

---

(١) رسم (ثور).
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥١ ـ وورد فيه: أن ذواداً هذا وجماعة من أصحابه تخلوا عن نجدة عند لقائه ومن معه بجيش عبدالله بن عمير الليثي.

الزبير، وها هو قد أصبح على مقربة من تلك البلاد، فبادأهُ التحرك، ففي سنة سبع وستين ولَّى ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة، ويبدو أنه أمره بمهاجمة نجدة في البحرين، فبعث حمزةُ جيشاً بقيادة عبدالله بن عُمَيْرٍ اللَّيثي (الأعور) في أربعة عشر ألفا، وعند ابن خلدون [1] في عشرين ألفاً، ولكن هذا الجيش هُزِمَ، ويروِي البلاذُرِيُّ ومن تابعه كابن الأثير [2] : أن مصعب بن الزبير، وهو أمير البصرة هو الذي عقد لعبدالله بن عمير الليثي على قتال نجدة في البحرين سنة تسع وستين، كذا ورد عند البلاذري، أما ابن جرير فيذكر في حوادث سنة سبع وستين ـ لا تسع وستين ـ خبرَ عَزْل ابن الزبير أخاه مصعباً عن البصرة، وبعثَ ابنه حمزة والياً عليها، وانه حدث منه ما دفع الأحنفَ بنَ قيس ليكتب إلى ابن الزبير طالباً إعادةَ مصعب، وأضاف ابن جرير: وحمزَةُ الذي عقد لعبدالله بن عمير الليثي على قتال النجدية بالبحرين، وذكر في سنة ثمان وستينَ ردَّ مصعب إلى العراق أميراً.

من هنا يتضح أمران أولهما: الخطأ في تحديد الخبر بسنة (تسع) وأن الصواب سنة (سبع) ولعل منشأ هذا تصحيف.

والخطأ الثاني: أن الذي بعث ابن عمير لقتال نجدة هو حمزة بن عبدالله بن الزبير.

ويسوق البلاذُرِيُّ ومن تابعه الخبرَ على هذا النحو [3] : وأقام نجدةُ بالبحرين، فلما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث إليه عبدالله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفا ـ ويقال عشرين ألفا ـ ويقال:

---

(١) «تاريخ ابن خلدون» ج ٣ ص ٣١٤ ـ مع أنه لَخَّص أخبار نجدة من تاريخ ابن الأثير.
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥١ ـ و «الكامل» ـ ٣٥٢/٣ ـ.
(٣) «أنساب الأشراف» ـ ٤٥١ ـ المخطوطة الدمشقية.

إن حمزة بن عبدالله بن الزبير الموجِّهُ له حين ولي البصرة، فجعل ابن عمير يقول: اثبت يا أبا الْمُطَرَّحِ فإنَّنا لا نَفِرُّ!! وقدم ونجدةُ بالقطيف، ونزلَ على مِيْلٍ من عسكره، وصَيَّرَ البحر خلفه، والأَثقالَ أمامه، وأناخ الإبِلَ بالْأَثْقال، وقال: لَأَخُذَنَّ نَجْدَةَ أَخْذاً، وحضَّ نجدة أصحابه، فرغبهم في الشهادة والجنة، وزهدهم في الدنيا، واعتزل قوم من أصحابه منهم ذوَّادُ العُكْلِيُّ فلم ينهضوا معه، فقال نجدة: إن اخوانكم هاؤلاء أَحَبُّوا البقاء، وثبت نجدةُ فيمن بقي معه، وأتى ابْنَ عمير في عسكره، وهو غارٌّ، فقاتلهم طويلا، وأصبح ابنُ عُمير فهاله أمر من رآى في عسكره من القتلَى والْقَطْعَى والْجَرْحَى، وتشاغل ومن في عسكره بموتاهم وجَرْحَاهُمْ، فأتاهم نجدة، فحمل عليهم، فلم يلبثوا أَنِ انهزموا، فلم يَلْوِ أَحَدٌ منهم على أحد، وحوى نجدةُ العسكر، وأصاب جواريَ لابن عُمَيْر، وفيهن أم ولد له، فعرض نجدة عليها أن يردَّهَا عليه، فقالت: لا حاجةَ لي فيمن فَرَّ عَنِّي، وورد ابن عمير البصرة فارًّا فقال الفرزدق:

مَا فَرَّ مِنْ جَيْشٍ أُبَيْرَ بِرَايَةٍ ... فَيُدْعَى طِوالَ الدَّهْرِ إلاَّ مُنَافِقَا
تَمَنَّيْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ ... تَرَكْتَ لَهُمْ دُوْنَ النِّسَاءِ السُّرَادِقَا
وَأَعْطَيْتَ مَا تُعْطِي الْحَلِيْلَةُ بَعْلَهَا ... وكُنْتَ حُبَارَى إِذَا رَأَيتَ الْبَوارِقَا

وقال العجَّاجُ حين قتل عمرُ بنُ عبيدِالله بن معمر أَبَا فُدَيْكٍ:

لَقَدْ شَفَاكَ عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ ... مِنَ الْحَرُوْرِيِّيْنَ يَوْمَ الْعَسْكَرِ
وَقْعَ امْرِئٍ لَيْسَ بِوَقْعِ الْأَعْوَرِ

يعني عبدالله بن عمير في حرب نجدة. انتهى كلام البلاذري.

وفي «ديوان الفرزدق» (١) : أن عبدالله بن الزبير كتب إلى حمزة وهو بالبصرة

---

(١) ٥٨٦ ـ ط. الصاوي.

يأمر بأن يوجه عبدالله بن عمير الليثي [1] إلى قتال النجدية بالبحرين فانهزم، وكان ابن عمير رأس المحتسبة في الفتنة، فلم يزل قاعداً في منزله، لا يركب استحياءً من هزيمته:

تَمَنَّيْتَ عَبْدَ الله أَصْحَابَ نَجْدَةٍ فَلَمَّا لَقِيْتَ الْقَوْمَ وَلَّيْتَ سَابِقَا

ثم ثلاثة الأبيات المتقدمة مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

وليس من شك بأن ابن الزبير تأثر بهزيمة جيشه، وأنه لن يهدأ له بالٌ دون الانتقام، متى قدر على ذالك، ومعروف أن نجدة استولى على البحرين (الأحساء) وولى اليمامة عمارة بن سُلْمِيٍّ المعروف بالطويل، وأصبحت له قوة يستطيع بها إرهاب من يناوئه، وابن الزبير - رحمه الله - لم يكن ممن يستميل أبناء البادية بالعطاء لكي يعيد بهم الكرَّةَ لمحاربة نجدة، كما حدث مع بني عامر بن كعب وغيرهم في وقعة (المجازة)، وقد أصبح نجدة الآنَ بعيداً عنهم، ولا مطمع لهم في اليمامة، وأبناء البادية يصدق عليهم المثل (كَالْقِرَلَّى إِنْ رَأَى خَيْراً تَدَلَّى، أَوْ رَأَى شَرّاً تَعَلَّى) [2]، ولا مطمع لهم لدى ابن الزبير لقلة موارده، وإمساك ما في يده، ولقد أدرك أن أقوى خطر يتهدده من البحرين، فكان أن اتخذ من البصرة قاعدةً للإغارة على نجدة، كما قال اليعقوبي في «تاريخه» [3] عن مصعب بن الزبير: كان يوجه بخيْلٍ بعد خيل، وجيشٍ بعد جيش إلى نجدة فيهزمهم، فاضطر ابن الزبير في آخر الأمر إلى المهادنة، كما سيأتي، والسماح لنجدة بأداء الحج.

---

(١) عبدالله بن عمير بن عمرو بن مالك الليثي الكناني أخو عبدالله بن عامر بن كريز لأمه «فتوح البلدان» - ١/ ٤٤١ - وهو من قواد الفتوحات الإسلامية كان من أمراء عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة ٢٩ هـ ولَّاه سجستان، فأثخن فيها إلى كابل، كما ذكر ابن جرير - ٤/ ٢٦٤ - وذكر ابن جرير أيضاً أنه ممن شكى والي خراسان سنة ١٠٣ إلى عمر بن هبيرة فعزله وولَّى غيره - ٦/ ٦١٩ - وهذا يدل على أنه عاش طويلاً.

(٢) والْقِرَلَّى: طائر يسمىَّ مُلَاعِبَ ظِلِّهِ إذا أبصر في الماء ما يستطيع حمله من السمك أو غيره انقضَّ عليه كالسهم، فأخرجه من قعر الماء، وإن أبصر في الهواء جارحاً من الطيور مَرَّ في الأرض منخفضاً وأصل المثل من أسجاع ابنه الخس: (كُن حَذِراً كَالْقِرَلَّى). (١٨) - ٢/ ٢٧٢ -.

وبعد أن استولى نجدة على البحرين تمكن فيما يبدو من إنشاء قوة بحرية، يحافظ بها على هذه المنطقة الواسعة المتاخمة للبحر، ويغزو الجهات القريبة منها، فقد ذكر ابن الأثير[1] وغيره أن مما نقم عليه أصحابه أنه سَيَّر سَرِيَّةً بَحْراً وَسَرِيَّةً بَرًّا، فأعطَى سَرِيَّةَ البحر أكثرَ من سَرِية البر.

ولقد أصبح من السهل عليه غَزْوُ عُمَان فبعث جيشاً إلى تلك البلاد، واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفي، وكان عياذ بن عبدالله قد استولى على عُمَان وهو شيخ كبير، وصار ابناه سعيد[2] وسليمان يُعَشِّرَان السفن ويجبيان البلاد فقاتلهم عطية فقتل عِياذاً، واستولى على البلاد، وأقام بها أَشهراً، ثم خرج منها، واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم، إلَّا أن الْأَمرَ لم يستقم له، فقد قَتَلَهُ سعيد وسليمان ابنا عياذ وأهل عُمَان، وعادتْ عُمَان إلى ما كانت عليه.

وفي سنة ٦٨ هـ صالح نَجْدَةُ ابنَ الزبير، وقال البلاذُرِيُّ: ويقال في سنة سبعين، وهو الثَّبْتُ فحج في أكثر من ثمان مئة رجل، ويضيف البلاذُري وابن الأثير: وقيل ألفين وست مئة.

وقال ابن كثير نقلاً عن ابن جرير - في حوادث سنة ٦٨ -: وفيها شهد موقفَ عرفة أربعُ راياتٍ متباينة كلٌّ واحدة منها لا تأتَمُّ بالأُخرى، الواحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه، والثالثة لبني أمية، والرابعة لعبدالله بن الزبير، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية، ثم نجدة، ثم بنو أمية ثم دفع ابن الزبير، فدفع الناس معه، وكان عبدالله بن عمر

---

(١) - ٣٥٤/٣ -.

(٢) كذا عند البلاذري - ٤٥٢ -: عياذ بن عبدالله، وذكر السالمي في «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» - ج ١ ص ٦١ - أن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبيد بن الجلندا كان القيِّمَان في عُمَان حين استعمل عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف على العراق، وذكر لهما مجاولات مع ما يرسله الحجاج من جيش للاستيلاء على عمان، وأخيراً هُزِمَا فسارَا إلى أرض الزنج حيث ماتا هناك.

فيمن انتظر دَفْعَ ابن الزبير، ولكنه تأخر دفْعُهُ فقال ابن عمر: أَشْبَهَ بتأخُّـرِهِ دَفْعَ الجاهلية!! فدفع ابن عمر، فدفع ابن الزبير، وتحاجـز الناس في هـذا العام فلم يكن بينهم قتال [١] .

والخبر في «طبقات ابن سعد» وفي «تاريخ ابن جرير» في حوادث تلك السنة بنص [٢] : قال محمد بن عمر حدثني شُرَحْبِيلُ بن أبي عَوْنٍ عن أبيه قال: وقفتْ في سنة ٦٨ هـ بعرفات أربعةُ ألويةٍ: ابن الحنفيـة في أصحابـه في لِواء، قـام عند حَبْل المُشَاةِ، وابن الزبير في لواء، فقام مقام الإمام اليـوم، ثم تقدم ابن الحنفيـة بأصحابه حتى وقفوا حِذَاءَ ابنِ الزبير، ونجدة الحروري خلفهما، ولـواء بني أمية عن يسارهما، فكان أولُ لواء انفض لواء محمد بن الحنفيـة، ثم تبعه نجـدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير واتبعه الناس. انتهى.

ويبدو أن نجدة حَجَّ مرة أخـرى في سنة ٦٦ هـ إذا صـح ما ذكـر خليفة بن خياط في «تاريخه» [٣] ويقال: إن حجه الأخير كان سنة ٦٩ هـ. وذكـر الْأَزْرقيُّ في «أخبـار مكة»: أن الشِّعْبَ الـذي بين حِـرَاءَ وبين جبـل سقر يقـال له شِعَب الخوارج، وذالك لان نجدة الحرورِي عسكر فيه عام حج. انتهى، ويعرف هذا الشعب اليوم بـ (خريق العُشر).

وبعد أن صدر عن الحج سار إلى المدينة، فلما بلغ موضعاً كان يعرف قـديماً باسم (نَخْل) ويعـرف الآن باسم (الحِنَـاكِيَّةِ) علم أن أهـل المدينـة وفيهم بعض الصحابة ومنهم عبدالله بن عمر، قد تأهبوا لقتاله فرجع [٤] .

وسار إلى الطائف، فانقاد له أهلها، بعد أن أتاه عاصم بن عروة بن مسعود

---

(١) «البداية والنهاية» ـ ٨/٢٩٤ ـ.
(٢) «الطبقات» ـ ٥/١٠٣ ـ و«تاريخ ابن جرير» ـ ٦/١٣٨ ـ.
(٣) ـ ص ٢٦٣ ـ الطبعة الثانية و«الكامل» لابن الاثير ـ ٣/٣٥٣ ـ.
(٤) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ و«تاريخ ابن الاثير» ـ ٣/٣٥٣ ـ.

الثقفي، فبايعه عن قومه، فلم يدخل نجدة الطائف، ولما عاتب الحجَّاجُ عاصمَ ابنَ عروة ـ بعد ذالك ـ على مبايعته لنجدة وقال له: ياذَا الْوَجْهَينِ بايَعْتَ نجدة!! قال: إيْ والله، وذُوْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ!! أعطيتُ نجدةَ الرضا ودفعته عن قومي وبلدي.

واستعمل نجدةُ الحازوق الحنفي ـ وهو حُزَاق ـ على الطائف وما يتصل به من السَّرَاةِ إلى تَبَالَة، وكان نَجْدة قد بلغها، ثم شخص عنها ـ على ما ذكر البلاذري ـ.

ثم أرسل أحد قواده وهو سعد الطلائع إلى نجران، فاستولى عليها، ورجع نجدة بعد ذالك إلى البحرين [1].

وذكر البلاذريُّ وابن الأثير أن نجدةَ سار إلى صنعاء في خِفٍّ من الجيش، فبايعه أهلها، وظنوا أن وراءه جيشاً كثيراً، فلما لم يَرَوْا مَدَداً يأتيه نَدِمُوا على بيعته، وبلغه ذالك فقال: إنْ شئتم أَقَلْتُكُمْ بيعتكم، وجعلتكم في حِلٍّ منها وقاتلتكم، فقالوا: لا نستقيل بيعتنا، فبعث إلى مخاليف اليمن فأخذ منهم الصدقة وبعث أبا فُدَيْكٍ إلى حضرموت فجبا صدقات أهلها [2].

ولم أَرَ فيما بين يَدِي من تواريخ اليمن من ذكر ذالك، إلَّا أن الخزرجي ذكر في «العسجد المسبوك» [3] بعد ذكر ولاة ابن الزبير على اليمن قال: وفي أيام أبي النجود مولى عثمان قدمت الحرورية صنعاء وذالك سنة ٧٢ هـ، فجمع وهبْ بن مُنَبِّهٍ الناسَ لقتالهم، فقال له الناس: ليس لنا بقتال الخوارج طاقة ثم ذكر مصالحتهم على مئة ألف دينار استعان أهل صنعاء بأهل المخاليف على جمع هذا المال، فهل هاؤلاء نجدة وقومه؟! ولكن هذا لا يتفق مع زمن نجدة.

إلَّا أن يحيى بن الحسين بن القاسم [4] حدد الحادثة بسنة ٦٧ هـ، وقال فيها: ظهرت الحرورية بِعُمَانَ، وقصدوا صنعاء، ثم ذكر ما أورده الخزرجي.

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ المخطوطة الدمشقية و «الكامل» ـ ٣/٣٥٣ ـ. (٢) المصدر المتقدم.
(٣) ـ ص ٢٢ ـ. (٤) «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» ـ ج ١ ص ١٠٧ ـ.

خضوع البادية لحكم نجدة

امتدَّ حكم نجدةَ بحيث شمل شرقَ الجزيرة، وجنوبها وغربها، باستثناء المدينتين الكريمتين، أمَّا من الناحية الشمالية، فيبدُوْ أنَّها لقربها من مقرِّ الخلافة - وهي وإن لم تكن مستقرَّةً أثناء حكم نجدةَ - إلَّا أنَّها تتأهب لتستعيد نفوذها وقوتها، ومن هنا فلعلَّ نجدة لم يتوغَّلْ في تلك الجهةُ حَذَراً وخشية من أن تتخذ الخلافة العُدَّةَ لمناوأته من عرب الشمال، فهم ذَوُو صلة قوية بها كبني كَلْبٍ وطَيٍّءٍ لقربهم من بلاد الشام، ولمصاهرتهم لبيت الخلافة[1].

وقد حاول نجدة بسط نفوذه على ما قرب من بلاده من تلك الجهة، على ما يفهم من إشارات أوردها ابن الكلبي في كتاب «النسب الكبير»[2] وفي «جمهرة النسب» منها قوله في كلامه على بني حُيَيٍّ بن عمرو بن سِلْسِلَةَ من طيٍّءٍ: ومن بَنِي حُيَيٍّ بن عمروٍ بَهْدَلُ بن مالك بن الطفيل بن مِنْتَفِ بن أوس بن حُيَيٍّ كان رئيس بني مَعْنٍ يوم لقوا رسلَ نجدة الخارجي بِالْأَجْفُرِ، فقتلوهم، وذكر أن نُوَيْرَةَ بن حصن قتل تسعة من الخوارج يوم الْأَجْفُرِ، وأن زيدَ بنَ حِبَالِ بن بشر ابن جابر كانت معه رَايَتُهُمْ يوم نجدة، وكان أميرهم زياد بن حِسْل بن وبرة بن عدي بن جابر بن حُيَيٍّ، وصاحب ابن عصام بن بشر بن جابر بن قرط قتل من أصحاب نجدة اثنا عشر رجلاً، وسعد بن حباب بن حوط بن عبدالله بن قرط كان إمامهم أيام نجدة. انتهى.

---

(١) بنو كلب أصهار عثمان - رضي الله عنه - زوجته نائلة بنت الفُرَافِصة الكلبية المعروفة بوفائها له وموقفها يوم الدار، وهم أصهار معاوية بن أبي سفيان، أخوال ابنه يزيد، أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن نفاثة بن عدي بن زُهَيْر بن حارثة الكلبي، وبلاد كلب كانت تمتد من الجوف (دومة الجندل) حتى دمشق، وتجاورهم قبيلة طَيٍّءٍ في بلاد الجبلَيْنْ (منطقة حايل) ورمال عالج (النفود الكبير) ومن شعر ميسون أُمِّ يزيد:

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأَرْوَاحُ فِيْهِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ من قَصْرٍ مُنِيْفِ

(٢) - ج ١ ص ٢٠٨ - تحقيق العظم و «مختصر جمهرة النسب» - ٢٦٣ - مخطوطة راغب باشا و «الإصابة» - ٣/٤٦١ - و «أنساب البلبيسي» رسم (الأوسي) وهامش مخطوطة مكتبة الحرم المكي من كتاب «اللباب» لابن الأثير (بنو حصن).

وقد نقل البلاذري عن ابن الكلبي[1] ما نصُّه: لِقَيَتْ رسلُ نجدة لطلب الصدقة بَهْدَلَ بن مالك بن الطُّفَيْل بن حَبِيْب بن مِنْتَفٍ الطائي، ومعه رجال من طيٍّءٍ فاقتتلوا، فَقَتَل نُوَيْرة بن بحيرٍ الطائيُّ منهم بالأَجْفُرِ سبعة خوارج، وكانت رايةُ طيّءٍ يومئذ مع زيد بن حبال بن بشر الطائي، فَقُتِلَ يومئذ عبس بن سُحَيٍّ بن الأغر الطَّائي، ونافذُ بنَ زُهَيْر بن ثعلبة الطائي، وله يقول الْمَعْنِيُّ الطائي:

يَاعَيْنُ بَكِّي نَافِذاً وَعَبْساً يوماً إذا كَانَ الْبَرَاءُ نَحْساً

قال: وكان أميرهم في الحرب زياد بن جدّ بن وَبْرَة، قتل من الخوارج اثني عشر وكانوا يقاتلون أياماً. انتهى.

لقد توغل نفوذ نجدة في شمال الجزيرة حيث بلغ ٱلأَجْفُرَ الواقع شرق جَبَلَيْ طَيٍّءٍ، وبصرف النظر عن عدم استطاعته تثبيت قدمه في تلك الجهة، إلَّا أن هذا يدل على انتشار سيطرته على أكثر قبائل الجزيرة.

والْأَجْفُرُ ـ بضم الفاء ـ جمع جَفْرٍ: الهُوَّة المنخفضة من الأرض، والأجفر هذا كانت تتنازعه قبائل ثلاث: بنو يربوع من تميم، الذين تمتد بلادهم من القَصيم حتى تبلغ الأَجْفُرَ، وبنو أسد الواقعة بلادهم غرب الأَجْفُر وشرقه، وقبيلة طَيٍّءٍ التي يقع الأَجْفُرُ في المنطقة التي انتشرت فيها فيما بعد، وكان الأجفر من أشهر منازل طريق الحج الكوفي فيما بين زَرُود ـ في رمل الدهناء ـ وفَيْدَ المنزلة الواقعة شرق جَبَل سَلْمَى، فهو يبعد عن فَيْدَ بستين كِيلاً شرقاً وهو الآن من أشهر هُجَرِ قبيلة شَمَّرُ، ويقع شرقي مدينة حائل بنحو مئة وخمسين كيلاً (بقرب خط الطول: ٠٠/٤٣° وخط العرض: ٣٩'/٢٧°).

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ المخطوطة الدمشقية.

ومعروف أن أبناء البادية بصفةٍ عامـة ليسوا سـريعي الانقياد والـطاعة لِأيٍّ حاكم، ما لم يدركوا أن لهم مصلحة في ذالك، فعـرب الشمال ـ وصلتهم ببـلاد الشـام أقـوى من صلتهم بغيـرهـا من البـلاد ـ يـرون مصلحتهم في انقيــادهم وخضوعهم لولاة تلك البـلاد، أما بـادية الجـزيرة فَلَعَـلَّ خضوع أكثـرهم لحكم نجدة بسبَبِ ما لاقوه من الحيفِ والظلم من الولاة في العهد الأموي، ولهذا كان أكثرُهم زُبَيْرِيَّ الْهَوى[1]، إلَّا أن ضعف حكم ابن الزبـير كان من أسبـاب عدم التعلق بـه، ومع ذالـك فإنَّ كثيـراً من القبائـل ممن لم يَنْقَـدْ في أول الأمـر لحكم نجدة، ولكن تلك القبائل بعد أن أدركت ثبات ذالك الحكم استسلمت للقوة، وعلى أمل أن تتخلص مما قاسته من قَهْر وظلم. يضـاف إلى هذا أن نجـدة ـ فيما يبدو ـ ما كان يبدأ بالقتال، وإنمـا كان يبعث رُسُـلاً لطلب الـزكاة ـ كما يفهم مما وقع لرسله مع أهل الأَجْفُر وَأَهْل طُوَيْلعٍ ـ وَأَنَّ عُمَّالَه قد أدركوا ما كانت تعانيه البـادية من ظلم جُبَـاة الزكـاة، وتجاوزهم القـدر الواجب استيفـاؤه، وهـذا مما لا يقره نجدة.

ذكر البلاذُريُّ وغيره أن نجدة بعد هزيمة جيش ابن الزبير في البحرين سنـة ٦٨ بعث إلى البوادي من يجمع زكواتها، فكانوا يدعون القوم فإذا أجابوا أخـذوا الصدقة منهم[2] ومعروف أن أقرب البوادي من البحرين بَنُو تَمِيم، فقد انتشـروا في هذه المنطقة وزحزحوا عنها بني بكر بن وائل إلى الشمال، ولم يبقَ سوى بطون قليلة منهم مع عبدالقيس، استقروا في مدن السواحل وما بقربها، وانتشرت بنـو تميم فيـما عداهـا بحيث سيطرت عـلى المنطقـة كلها من رمـال يَبْرِيْنَ حتى سـواد العراق، ويبدو أن نجدة لم يجد مقـاومة من هـاؤلاء إلَّا ممن كان عـلى مقربـة من البصرة، التي لا تزال تحت حكم مناوئه ابن الزبير، وأن هاؤلاء امتنعوا عن دفـع

(١) «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام ـ ٤٣٧ ـ ترجمة الراعي ـ.
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ و «الكامل» ـ ٣/٣٥٣ ـ.

زكواتهم، على ما يفهم من قول البلاذُري وابن الأثير[1]: فقاتل أصحابَه بنو تميم بكاظمة، وكاظمة هذه تقع شمال مدينة الكويت على مسافة تقطعها السيارة بأقل من ساعتين، وكانت ميناء من أقدم موانئ الخليج، بحيث كان الساحل يعرف بسيف كاظمة، وفيها بلدة معمورة بالتجار وغيرهم، كما ذكر ذالك صاحب كتاب «بلاد العرب»[2] ونصه: وكاظمة على ساحل البحر، وبها حصن وسلاح قد أُعِدَّ للعدو، وبها تجار، ودور مبنية، وعامتهم تميم.

وبلوغ نفوذ نجدة كاظمة التي تبعد عن البصرة نحو مسيرة مرحلتين للإبل يدل على قوته، وعلى ضعف مقاومة ابن الزبير الذي لا تزال البصرة تحت حكمه في ولاية أخيه مصعب، ولا يُفَصِّلُ البلاذري ومَنْ تابعه ممن اطلعت على كلامه من المؤرخين ما حدث مع بني تميم في كاظمة، ولكنه يكتفي بقوله: فأعان أهل طُوَيْلِعٍ بني تميم، وأهل طويلع إذ ذاك من بني تميم الذين كانوا منتشرين في المنطقة من سَفَوانَ شمال كاظمة إلى يَبْرِيْنَ، أكثر من مسيرة شهر، وعرضاً من الساحل إلى ما وراء الدهناء[3] إلَّا أن نجدتهم لقومهم لم تكن ذات أثر، بل كانت وبالاً عليهم. قال البلاذري وابن الأثير[4]: فأعان أهلُ طويلعٍ بني تميم، فقتلوا من الخوارج رجُلاً، فأرسل نجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم، وقتل منهم نَيِّفاً وثلاثين رجلاً، وَسَبَى، ثم إنه دعاهم بعد ذالك فأخذ منهم الصدقة. انتهى.

وإذَنْ فإنَّ أعظم قبيلة في شرق الجزيرة ـ وهي تميم ـ قد خضعت لحكم نجدة، كما هزم في وقعة المجازة أعظم قبيلة في وسط البلاد، فأصبح من السهل عليه أن يسيطر على القبائل الأخرى.

---

(1) «أنساب الأشراف» ٤٥٢ و«الكامل» ٣/٣٥٣.
(2) ـ ص ٣٢١ ـ.
(3) «بلاد العرب» ـ ص ٣٥١ ـ.
(4) «أنساب الأشراف» ص ٤٥٢ و «الكامل» ٣/٣٥٣.

وطويلع هذا كان قديماً من أشهر مناهل بني تميم في شرقي الصَّمَّانَ على طريق حَجْرٍ إلى البصرة، هو المنصف بينهما، ولوقوعه في ذالك الطريق متوسطاً في منطقة تُعَدُّ من أخصب المراعي متى جادها الغيب، ومن أرغبها إلى البادية، كان من أشهر مناهل شرق الجزيرة، وأَسْيَرِهَا ذِكْراً، وقد حدث من أهله تمرد عن دفع الزكاة في العهد الجاهلي، حيث قتل أهلُهُ من بني تميم عامِلَ ملك الْحِيْرَةِ من قبل الفرس عَمْرِو بن هند، حين بعثه ساعياً لجباية زكواتهم، ثم قذفوه في أحد آبار طويلع، وصَبُّوا عليه الحجارة وهم يرتجزون:

يَـاأَيُّهَـا الْمَـائِحُ دَلْـوِي دُوْنَكَـا

ولكن ابن هنـد انتقم منهم بمؤازرة بني يَشْكُرَ من بكـر بن وائـل أعـداء التميميين، وقوم ذالك العامل [١].

وطـويلعٌ الآنَ يعرف بـاسم (الضَّبْعِيَّات) يقـع في الشمال الغـربي من وَبْـرة (ثبـرة قديمـاً) في أسفلِ وادي الشَّيِّطِ (الـرَّيَّان) بقـرب (خط الـطول ١٤′/٤٧° وخط العرض ٥٨′/٢٧°) [٢] وقد استعيض عن طـويلع (ثبرة) فتـرة من الزمن حتى درس، وجهل اسمه القديم.

وقد يتساءل القارئ عن موقف بني عـامر الـذين كانت منهم المبـادرة الأولى بملاقاة نجدة، ولا شك أن هاؤلاء اضطروا إلى المسالمة بعد أن رأوا أن لا طاقـة لهم بحربه، مـع خضوع أقـوى قبيلة في شرق الجـزيرة لحكمـه، وأن حالـة ابن الزبير بلغت من الضعف درجة لا يستطيع إعانتهم، وإمدادهم بما يحتـاجون من قـوة، فقد ذكـر البلاذري [٣] : أن نجـدة بعد أن صـالحـه أهـل الـطائف وَجَّـه

---

(١) «معجم ما استعجم» رسم (طويلع).

(٢) انظر عن (طَوَيْلع) المعجم الجغرافي ـ قسم المنطقة الشرقية.

(٣) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ المخطوطة الدمشقية.

حاجب بن خميضة يقبض الصدقات من بني هلال وبني نُمَيْر فمنعوه إياها، فقاتلهم فَقُتِل منهم رَجُلانِ تولىًّ قتلهما رجلان من بني كِلاب، فطالبوا بدمهما، فهرب الكلابِيَّانِ إلى اليمن. وبنو هلال بن عامر هاؤلاء بلادهم تقع في عالية نجد تتصل بِمُرَّان شمالاً وتمتد من منازل قومهم من العامريين إلى بيشة جنوباً.

أما بنو نُمَيْر بن عامر فبلادهم من أقرب منازل القبائل إلى اليمامة حيث تنتشر في غرب إقلِيْم السِّرِّ إلى عِرْضِ شَمَام (عرض القويعية).

ويتضح مما تقدم أن القبائل التي تتاخم بلادها اليمامة في الأفلاج والعقيق (وادي الدواسر) من بني كعب، ثم من بني عامر، قد أخلدت إلى السكون والمهادنة بعد أن تلقت الضربة الأولى في وقعة المجازة.

أما بنو كلاب أحد البطون الكبيرة من بني عامر فقد كانت صلتهم بالمدينتين الكريمتين أقوى من صلة غيرهم من العامريين، ولا شك أنهم أدركوا من ضعف حكم ابن الزبير ما دفعهم إلى الاستسلام والخضوع، كما يفهم مما حدث لأحد شعرائهم وهو طَهْمَان بن عمرو الكلابي [1]، وكان هو وقومه ينزلون في عالية نجد شرق أودية تُرَبَةَ والْخُرْمَةِ ورَنْيَةَ بمنطقة حَوْضَى وما حولها، فقد أَسَرَهُ نجدة في أحد غزواته، واتخذه دليلاً، وقد حاول أن يفر أثناء الليل فأخذ راحلة من خيار الإبل، وهرب، إلاَّ أنهم اتبعوه على الخيل فأدركوه وأعادوه، وأمر نجدة بقطع يده لإتهامة بسرقة، على أن أنه يفهم من شعره أن قطع يده لم يكن من عمل نجدة [2]، وأَسْرُهُ واتخاذه دليلاً يدل على خضوع قبيلته، وشعره يعبر عن حقده على أهل حجر والخضارم [3] ـ وهم قوم نجدة ـ:

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر ـ ترجمة طهمان الكلابي ومختصره لابن منظور ـ ج ١١ ص ٢٢٠ ـ وفيها: أن عبدالملك جعل له مئة من أيمان بني حنيفة فمات قبل ذالك.

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية المعربة» ـ ج ٥ ص ٥٢٥ ـ مادة (تهمان) تحريف (طهمان).

(٤) «معجم البلدان» رسم (الخضارم).

يَـدِيْ يـا أَمِـيْرَ المؤمِنِين أُعِيْـذُهَـا بِحَقْـوَيْـكَ أَنْ تُلْقى بِمُلْقَىً يُهِيْنُهَـا
ولاَ خَيْرَ فِي الـدُّنْيَـا وكَـانَتْ حَبِيْبَـةً إِذَا مَـا شِـمَـالٌ زَايَلَتْـهـا يَمِيْنُهـا
وَقَـدْ جَمَعَتْـنِي وَابْنَ مَـرْوَانَ حُـرَّةٌ كِـلاَبِـيَّـةٌ فَـرْعٌ كِـرامٌ غُصُـوْنُها
وَلَـوْ قَدْ أَتَى اْلأَنْبَـاءُ قَـوْمِي لَقَلَّصتْ إِلَيْـكَ اْلَمطَايَا وَهْيَ خُـوصٌ عُيُوْنُهَا
وانَّ بِحَجْـرٍ وَالْخَضَـارِمِ عُصْبَـةً حَـرُوْرِيَّـةً حُبْنـاً عَلَيْـكَ بُـطُونُها
إِذا شَبَّ مِنْهُم نَـاشِيٌْ شَبَّ لاَعِـنـاً لِمَـرْوَانَ وَاْلَمْلعُـونُ مِنْهُـمْ لَعِيْنُهـا

ومثله في ذالك مثل الراعي النميري، إذْ يقول متملِّقاً الخليفة عبدالملك بن مروان ويشكو السعاة ـ بعد زوال عهد نجدة ـ:

إِنِّي حَـلَفْـتُ عَـلَى يَمِـيْنٍ بَـرَّةٍ لاَ أَكْـذِبُ الْيَـوْمَ الْخَلِيْـفَـةَ قِيْـلاَ
مَـا زُرْتُ آلَ أَبِي خُـبَيْـبٍ وَافِـداً يَـوْمـاً أُرِيـدُ لِبَيْعَتِي تَـبْـدِيْـلاَ
وَلاَ أَتَـيْتُ نُـجَـيْـدَةَ بْـنَ عُـوَيْـمِـرٍ أَبْغِي الْهُـدَى فَيَزِيْـدَنِي تَضْلِيـلاَ[1]

وماذا ينتظر أن يقول طهمانُ والراعي وأمثالهما عن نجدة وقومه، غير ما فيه تَـزَلُّفٌ وتقرُّبٌ إلى أعـدائهم من الأمويـين؟! ولو كـانت الْكَرَّةُ لأولئـك لما تـورع الشاعرانِ وغيرهما من قول ما هو أسوأ في حق الأمويين مِمَّا قالُوا عن أعدائهم.

ومن الصعب أن يتقبل أبناء البادية أيَّ وَضْع من الأوضاع قبـل أن يدركـوا حقيقته، ومدى استفادتهم منه، وعَهْدُ نجدة كان من القِصَرِ بدرجـة لم تُمَكِّنْ من وضـوح أهدافـه وغايـاته، إلاَّ أنـه استطاع إخضـاع أكـثر القبـائِل، فـانقـادت واستسلمت إمَّـا ترقُّبـاً لزوال مـا سبق أن شعرت بـه من ظلم وحيف في العهـد السابق، أو خضوعاً لقوة لم يستطيعوا مصارعتها.

لقد انضوَتْ جلُّ مناطق الجزيرة تحت نفوذ نجدة، ففي الجنوب حيث بعث

---

(١) «ديوان الراعي النميري» ـ ص ٢٣٣ ـ تحقيق راينهرت فايبرت.

أحد أعوانه أبا فُدَيْكٍ فجبا زكاة أهل حضرموت [1] ، كما جبا عماله صدقات بوادي غرب الجزيرة من بني عامر، بني هلال وغيرها، وبعث لذالك إلى قبائل غطفان في غرب الجزيرة فأرادت الامتناع، فقاتل بعضها فهزمهم قال ياقوت عن نجدة [2] : بعث داود بن الضُّبيب مصدِّقاً إلى بني ذُبْيان وعبس فقاتلته بنو جَذِيْمَة من عَبْسٍ بِجلْبٍ ـ ماءٌ لهم ـ فأصابهم، فقال في ذالك رجل من عبس :

ألم تَر جِلْباً قَدْ تَغيَّر بَعْدَنَا ... وَسَالَ دماً شَرْقِيُّه ومُغَارِبُهْ

وكائِنْ تَرَى بَيْنَ الزُّوَيَّة والصَّفَا ... مُجَرَّ كَمِيٍّ لَا تُعفَّى مَسَاحِبُهْ

فَلَا ظَفِرَتْ أَيْدِيْ جَذِيْمَةَ إنْ نَجتْ ... أُقَيْشٌ وهُمْ قُوَّادُهُ وَمَقَانِبُه [3]

---

(١) «أنساب الأشراف» ص ٤٥٢ ـ و«الكامل» ٣/٣٥٣ ـ وابن خلدون ـ ٣/٣١٤ ـ.

(٢) «معجم البلدان» رسم (جلب).

(٣) بنو أُقَيْش من عُكْلٍ ، ويبدُو أنهم ممن آزر نجدة، فقد سبق أن ذَوَّاداً العكلي كان قائد السرية التي أرسلها إلى (الخط) في البحرين، فظفرت بأهله.

الاختلاف على نجدة

يدرك الباحث في أحوال نجدةَ منذ اعتزاله لنافع بن الأزرق، بعد انضمامه لمناصري ابن الزبير في الدفاع عن محاصرة مكة حتى القضاء عليه، أنه لم يكن على وفاق تامّ مع قادة أتباعه، مما يحمل على الاعتقاد بعدم الاتفاق بينهم، لا من حيث تصريفِ الأمور فحسب، بل في الأهداف والغايات، فإذا كان اولئك القادة ممن ينتحلون نحلة الخوارج، ويسعون لكي يحققوا الغايات التي تقوم عليها أسس تلك النحلة، وهم لذالك يتقيدون في جميع تصرفاتهم بمبادئها، فإن مما عرف عن نجدة - حتى قبل مبايعة القوم له سنة ست وستين - أنه قد بدأ بانكار بعض تلك الأسس، كما يتضح من كتابه الذي وجهه إلى نافع بن الأزرق[1]، وكان الاختلاف بينهما في أمور جوهرية، يراها نافع وأتباعه، ويخالفهم فيها نجدة، منها تحريمهم التقية، وامتحانهم المهاجر إليهم، وموقفهم من القاعدين عن القتال فهم لا يعذرونهم[2]. ثم لما انضم إلى أبي طالوت وقد سبى هو ومن معه الشامِيِّينْ الذين أسكنهم معاوية (الخضارم) - في الخرج - للقيام بعمارتها حراثَة وزراعةً، وكان أبو طالوت قد عَدَّ الشاميين رقيقاً، فقسمه في أصحابه، وأقام على ذالك أشهراً حتى أتاهم نجدة بأربعين راحلة محملة مالاً كانت خرجت من البصرة يراد بها ابن الزبير في مكة، فأخذها نجدةُ، وأتى بها أبا طالوت وقومه في الخضارم فقال: اقتسموا هذا المال، وردُّوا هذا الرقيق، فَدَعُوْهُمْ كما كانوا يعملون الأرض ويعمرونها، فإن ذالك أَردُّ وأنفع[3]. وتصرفُ نجدةهذا يدل على بُعْدِ نظر بخلاف ما عرف عن اولئك من عدم الاهتمام بأمور الدنيا.

---

(١) تقدم هذا الكتاب ص ٣٤.

(٢) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥١ - (النسخة المخطوطة).

(٣) نفس المصدر - ص ٤٥١ -.

ولنجدة مع أتباعه مواقف أخرى أبرزتْ جوانبَ من مخالفته لهم في أصول مذهبهم، مما يحمل على الجزم بأنه في تصرفاته معهم أثناء المدة التي تولى قيادتهم فيها ما كان على وفاق معهم، وإنما كان يتخذ منهم أداةً لتحقيق ما يطمح إليه.

وما كنت لأَقِفَ موقِفَ المدافع عن رجل وُجِّهَتْ إليه سهام النقد - بل خناجر التجريح - طيلةَ ثلاثة عشر قرناً، من علماء أجلاء، ومؤرخين ثقاة، فوُصِمَ بالمروق من الدين، وأنه خارجي، ذو نحلة يعرف أتباعها بـ (النَّجْدِيـة) ذات أصول وقواعد لا يقرها الدين الإسلامي الحنيف، بل لم يتورع بعض المخالفين لما دعا إليه الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تطهير تعاليم الدين، مما ألصق بها من البدع والخرافات - لم يتورع بعضهم من إيجاد رابطة بين هذه الدعوة الكريمة وبين مذهب من سموهم بالخوارج، ما كان موقفي هنا موقف المدافع عن نجدة، وقد قَدِمَ على ما قَدَّمَ من عمل، ولاقَى ربًّا لا يخفى عليه من أعمال عباده خافية، ولكنني هنا - وقد حاولت أن أعالج - على قدر إدراكي - جانباً تاريخياً ذا صِلةٍ قوية بأمتنا وببلادنا، أرى على ضوء ما اتضح لي مما اطلعت عليه من المصادر أن في تاريخ الأمة - بصفة عامة - ثغراتٍ واسعةً، أحدثتها ظروف وأحوال أَضفت على حقائق حوادث ذالك الزمن، وعلى وقائع تاريخِهِ حجباً كثيفة أَخْفَتْهَا، وأبرزُ تلك الحجب ما لحكومات الأزمان الماضية من محاولات في طمس كل ما يمس تصرفاتهم، أو يبدي جوانب عيوبهم، والمؤرخ المنصف كالقاضي العادل، الذي لا يصدر حكمه في أية قضية حتى يسمع ما لدى كل واحد من الخصمين من حجة، ولكن أَنَّى للمؤرخ من معرفةِ ما لدى الجانب الآخر، وقد حُجِبَ عنه بمختلف الوسائل، ومن هنا أتى الخلل الذي لا يزال بحاجة إلى الاصلاح، ومن ذالك التوسع - لدى متقدمي المؤرخين - في إطلاق كلمة (الخوارج) على كثير ممن جأر بالشكوى مما يلاقي من عسف الحكام

العتـاةِ وظلمهم، أو من حاول إزالـة ذالك الـظلم بوسـائل مشـروعة، ودوافـع حسنة، ولكنه سقط فريسة لقوى غاشمة، أضفتْ عليه رداءً من الأوصـاف التي تبرزه بأبشـع مظهـر، وما أرى نجـدة إلاَّ من هاؤلاء، إذ لم يتضـح لي من خلال استجلاء ما عرفت من جوانب حياته ـ بقدر وسعي ـ ما أُحِسُّ من إدراكه بقناعة تامة من أن الرجل قد (خرج) عن شرعة الإسلام بنحلة خاصة ابتدعها، تغايـر ما أجمع عليه المسلمون من أصول دينهم، بل رأيتـه ـ في كثير من أحـواله ـ يسـير على هدى تلك الأصـول، ويرجـع ـ فيما يجهـل منها ـ إلى علماء فيهـا ممن يعدون قدوة يعول عليهم في معرفتها، من أصحاب المصطفى ـ عليه الصلاة والسـلام ـ كعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر ـ فقد روى البلاذري[1] أن نجـدة كتب إلى عبدالله بن عمر يسأله: هل سارُوْا بين يدي النبي ـ ﷺ ـ بالحربـة واللواء؟ وعن الـرجل يغشى المـرأة في الحيض؟ فقال: سلوا ابن عبـاس فقال: يـرحم الله أبـا عبدالرحمن أين كان يوم حُنَيْنْ؟ قد سِيْرَ بين يـدي رسول الله ـ ﷺ ـ مـرجعه من حُنَـين. وأما الـذي يغشى المـرأة في الحيض في أولـه فـدينـار، والـذي يغشى في الكُدْرة فنصف دينار. فبعث إليـه نجدة: فـإن لم يجد؟ قـال: يُقَوَّمُ الـذي يلزمه طعاماً، ويصوم لكل مُدٍّ يوماً. ثم يضيف البلاذري ـ بدون ذكر الراوي ـ: وقال ابن عبـاس: قاتله الله، يقتـل المسلمين ويسـأل عن المحقرات!! ومـا أرى هذه الجملة ثابتةً عن هذا الصحابي الجليل، الذي لا تأخذه في سبيل إبداء الحق لومةُ لائم، وما الذي يمنعه من أن يقولها لنجدة نفسه، وهو كثيراً ما يَـرْجع إلى رأيـه، فقد أراد منع المِيْرَةِ عن أهل الحرمين حتى كتب إليه فأطلقهـا، وكان يستفتيـه في أمور أقل من القتل، وكان بـين الرجلين من الصلة مـا يحمل عـلى الاعتقاد بـأن نجدةَ لا يُقْدِمُ على مخالفـة ابن عباس، وأن ابنَ عبـاس لا يتوانى في بـذل النصح

---

(١) «أنساب الأشراف» ص ٤٥٢ المخطوطة الدمشقية.

لنجدة فيما يتعلق بعظائم الأمور قبل محقّراتها، ويبدو أنه عوتب في ذالـك فقال: لـولا أن يقع في أُحْمُـوقَةٍ مـا كتبت إليه[1]، ولعـل مما يـوضـح مبلغ الصلة بـين الـرجلين مـا رواه ابن جرير[2] أن نجدة أثناء حَجِّهِ كان معه عكرمـة، مولى ابن عبـاس، بل نقل الحافظ[3] ابن حجر عن ابن لَهِيعة: أن عكرمة كـان أتى نجدة فـأقام عنـده ستة أشهر، ثم أتى ابن عباس فسلم عليه فقال ابن عباس: قـد جاء الحـديث. ولا شك أن اصطحابه إياه ليتلقى عنه أحكام الحج، وأن عكرمة ما كان ليفتات عـلى سَيِّدِه فيصـاحب رجلاً يكـرهه، وعكـرمة هـو هـو من حيث العلم والتقى والورع، وقد كـان يفتي الناس في عهـد مولاه عبـدالله بن عباس ـ وهـو هو عِلْماً وتقى وصلاحاً ـ كان عكرمةُ يفتي بأمره. ودَعْك مما أُلصق به بعـد ذالك من أنـه يرى رأي الخوارج، وأن أهـل المغرب أخـذوا هذا عنـه[4]. فلو ساغ قبـول كل وَصْمَة تنسب إلى عالم لم يسلم من ذالك أَحَدٌ من العلماء في مختلف العصور.

ولعل في عرض مـا عرِف عن نجـدة مما أخـذه عليه متشـدِّدُوا أصحابـه من الأمور التي خالفهم بها، ما يوضح أن الرجل لم يكن على وفاق معهم في كثير من آرائهم التي لا تتفق مع ما عليه جماعة المسلمين. فمن ذالك:

١ ـ أن الخوارج يستبيحون سَبْيَ من خالف مذهبهم واسترقاقـه، وإن كان مسلماً، والإسـلام يعلِّقُ الاسترقـاق بالكفـر، وقد حـدث أن أحد أتبـاعه أثنـاء اتجاهه إلى الـطائف، ويدعى عبـدالرحمن بن بخـدج[5]، سبى بنتا لعبـدالله بن

---

(١) «النهاية» لابن الأثير و«لسان العرب» رسم (حمق) وانظر فيهما: (أنس) و (فطر).

(٢) تاريخ ابن جرير: ٦/١٣٩.

(٣) «تهذيب التهذيب» ـ ٧/٢٦٧ ـ.

(٤) نفس المصدر.

(٥) بخدج: وقع اختلاف في ضبط هذا الاسم فـابن دريد في «الاشتقـاق» ـ ٣٤٧ ـ قال عن بني حنيفـة: ومن رجالهم حسـان وعبدالرحمن ابنا محدوج مفعول من الحدج مركب من مراكب النساء وصاحب «تاج العروس» يقول: ومما فـاته بُخْـدُج وهو بالضم وفي انساب البلاذري: بُخدج بن ربيعة بن سمير بن عاتك بن قيس من بني عامر بن حنيفة. انتهى، وفي مخطوطـة البلاذري (بُخْدُج) ونسبه في «جمهرة النسب» لابن الكلبي: عبدالرحمن بن بخدج بن ربيعة بن سمير بن عاتك بن قيس بن سعد بن الحارث بن سعد بن عامر بن حنيفة.

عمرو بن عثمان بن عفان، كانت عند ظئر لها، فاشتراها نجدة من ماله بمئة ألف درهمْ استنقاذاً لها من السبي، وضمها إليه، فقال بعض أصحابه: إن نجدة ليتعصَّب لهذه الجارية فامتحِنوه، فسأله بعضهم بيعَهَا منه فقال: قد أعتقت نصيبي منها فهي حُرَّةٌ! قال: فزوجني إياها، قال: هي بالغ وهي أَمْلَكُ بنفسها، فأنا أَستأمِرُهَا. فقام من مجلسه ثم عاد فقال: قد استأمرتها، فكرهت الزواج. ثم ردها إلى عبدالملك بن مروان حيث قومها من قريش[1]. وأما مَا ذكر بعض المؤرخين بصيغة التمريض: (وقيل: إنَّ عبدالله بن الزبير كتب إليه: والله لئن أحدثت فيها حدثاً لأطأن بلادك وطأة لا يبقى بها معها بكرِيٌّ[2]) فما كان ابن الزبير إذْ ذاك في حالة من القوة والقدرة تمكنه من تهديد نجدة، فهو شبه محصور بمكة أثناء الحادثة التي وقعت بعد حج نجدة سنة سبعين - كما أوضح البلاذري [3] ذالك - وقد سبق لنجدة أن هزم أقوى جيش لابن الزبير في وقعة القَطيف، وإنما كان الدافع لنجدة في حسن معاملته لتلك الفتاة ما يتصف به من كرم وإِباء وشِيمة عربية، وهذا هو ما فعله مع جاريـةِ ابنِ عُمَيْر قائد جيش ابن الزبير، الذي هزمه في وقعة القطيف، فقد أصاب أم ولد لذالك القائد، فعرض عليها أن يردَّها على مولاها فقالت: لا حاجةَ لي فيمن فَرَّ عَنيِّ!!.

٢ - وروى البلاذري [4] عن أبي الحسن (المدائني) أن نجدة كان استخلف على البحرين هِمْيَانَ بن عَدِيٍّ السدوسي، فلما وافى مالك بن مسمع بلدة (ثاج) بعد وقعة (الجُفْرة) [5] كتب هميان إلى نجدة: إنه قد ورد علينا قوم

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» - ج ٢ ص ٢٧٢ - و «أسماء المغتالين» في «نوادر المخطوطات» - ١٧٩ - و «أنساب الأشراف» - ١/٧١ - و «الكامل» لابن الأثير - ٣/٣٦٣ -.

(٢) و (٣) «أنساب الأشراف» - ص : ٤٥٢ -.

(٤) المصدر نفسه - ص ٤٥٣ -.

(٥) ثاج: بلدة معروفة في وادي المياه (وادي الستارَين قديماً) بمنطقة الأحساء انظر عن تحديد موقعها «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» - قسم المنطقة الشرقية - والجفرة موضع في البصرة، عَرَّفه صاحب «معجم البلدان» بما سيأتي قريباً.

لهم شرف قديم لو قدموا على أبي بكر وعمر لعرفا مكانهم، فإنْ رأيتَ أن أعطيَهُم من سهم المؤلفة فَعَلْتُ. فكتب إليه نجدة: ليس في عطية المؤلفة وقتٌ معلوم، فأَعْطِهِم ما ترى أن يُعْطى مثلهم، فأعطاهم كُلَّ ما كان في بيت المال، ثم لحق بهم، وحمل نجدة مالكاً على ناقة، وحمل ابنه على فرس فكان ذالك مما أنكروا عليه. وذكر ابن حبيب [1] من الأسباب التي أغضبت أصحاب نجدة، أنه أمر لمالك بن مِسْمَعٍ ـ وكان هرب إليه من مصعب، فأعطاه مئة ناقة، وأنه أعطى عبيدالله بن زياد بن ظبيان ـ أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكَابَةَ ـ وكان قد هرب إليه أيضاً مثل ذالك.

وفي «النقائض» [2]: فأما مالك بن مِسْمَعٍ فإنه بعد ثورة خالد بن عبدالله بن أَسِيدٍ بالبصرة، مِنْ قِبَلِ عبدالملك ضدَّ مصعب هرب فلحق بثاج من أرض البحرين، لحق بنجدة الحروري فأكرمه، وأعطاه مئة من الإبل، فقالت الخوارج: تعطي منافقاً مئة من الإبل وقد عرفت حاله؟ فقال: إنني أحببُت أَنْ أَتَأَلَّفَهُ، وقد أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المؤلفةَ قلوبهم، فلم يزل مالك عند نجدة حتى قتل مصعب، وبعد ذالك عاد إلى أصحابه. ويلاحظ أن ابنَ مِسْمَع وابنَ ظبيان تربطهما بنجدة رابطة النسب فالأول من بني قيس بن ثعلبة [3]، وهاؤلاء يجمعهم في بني حنيفة قوم نجدة جدّهما صعب بن علي بن بكر، والقبيلتان مع ذالك مختلطتان في الدار، وابن ظبيان[4] من بني تميم الله بن

---

(١) «أسماء المغتالين من الأشراف» في «نوادر المخطوطات» ـ ١٧٩ ـ.

(٢) ـ ١٠٩٢ ـ.

(٣) هو مالك بن مسمع بن شهاب بن قَلْع بن عمرو بن عبّاد بن ربيعة ـ وهو جَحْدَر ـ بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ـ «جمهرة النسب» لابن الكلبي ـ ٢/٢٥٨ ـ تحقيق العظم ـ كان رئيس بكر بن وايل في موقعة الجمل سنة ٣٦ مع طلحة وأصحاب الجمل ـ «تاريخ ابن جرير» ـ ٤/٥٠٥ ـ وإليه التجأ مروان بن الحكم بعد انهزام يوم الجمل، فأنزله في داره وحفظ له بنو مروان ذالك ـ «ابن جرير» ـ ٤/٥٣٦ ـ وقد أُسِر مع آخرين فقتل سنة ١٠٢، بعد قتل يزيد بن المهلب الخارج على يزيد بن عبدالملك ـ «تاريخ ابن جرير» ـ ٦/٦٠٠ ـ.

(٤) ابن ظبيان هو عبيدالله بن زياد بن ظبيان بن الجعد بن قيس بن عمرو بن مالك بن عائش بن مالك بن تيم الله بن=

ثعلبة وصلتهم بحنيفة كصلة إخوتهم بني ثعلبة. وليس من شكٍّ أن هذه الصلة في النسب كان لها أثر في موقفه مع الرجلين، يضاف إلى هذا أنهما وإن كانا من أتباع عبدالملك بن مروان، إلاَّ أن موقف نجدة من عبدالملك لا يزال غير واضح، ولعله كان يميل إلى مهادنته.

٣ ـ ومما أخذ على نجدة مما خالف به أصحابه أنهم يرون قتل من تَبِعَهُمْ تَقِيَّةَ. قال البلاذريُّ وابن الأثير[١] : كان أبو سنان حيان بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقيَّةً، فشتمه نَجْدَةُ، فهمَّ بالفتك به، فقال له نجدةُ: أَكَلَّفَ الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا. قال: فإنما علينا أن نحكم بالظاهر. ويُوْرِدُ البلاذري[٢] الخبر بأبسط مما هنا ولكنه يسمي الرجل أبا سنان الحْيَّ[٣] بن وائل، ويقول: فبعث إليه نجدة مَنْ ناظره فقال: أكلف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا. قال: فإنما علينا أن نحكم بما ظهر. فقبل منه، ورجع إلى نجدة.

٤ ـ وذكر البلاذريُّ وابن الأثير[٤] وغيرهما أن سبب خلاف عطية بن الأسود الحنفي على نجدة، أنَّ نجدة وجه سَرِيَّةً بَرًّا، وسَرِيَّة بحْراً، ففضل سرية الْبَحْرِ بالعطاء، فنازعه عطية حتى أغضبه، فشتمه نجدةُ فغضب وأَلَّب الناس عليه، وقد كان كَلَّمَ نجدة في رجل فأعطاه فرساً فقال: ألا ترونه يعطي على الشفاعة؟!.

= ثعلبة بن عُكَابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل قال ابن الكلبي: كان فاتكاً شاعراً وهو الذي قتل مصعب بن الزبير. وقيل: لم يقتله وانما احتزَّ رأسه، وبعد ذالك حدث منه ما سبب هربه إلى عُمَان، ولكن صاحب تلك البلاد عرف من تلونه وعدم ثباته ما دفعه إلى أن يقتله مسموماً كما ذكر البلاذري.

(١) «أنساب الأشراف» ص: ٤٥٢ «الكامل في التاريخ» ـ ٣/٣٥٤ ـ.

(٢) «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣/٣١٥ ـ (حيي بن وائل).

(٣) «أنساب الأشراف» ص ٤٥٢ ـ والمخطوطة الالمانية ج ١١/٧٤.

(٤) المصدر نفسه و «الكامل في التاريخ» ـ ٣/٣٥٤ ـ.

٥ ـ ويضيف البلاذري ومن تابعه[١] : وكُلِّمَ في رجل في عسكره شرب الخمر، فقال: هو شديد النكاية، وقد استنصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمشركين.

٦ ـ وكتب عبدالملك بن مروان إلى نجدة، يدعوه إلى طاعته وبيعته على أن يهدر له ما أصاب من الدماء والأموال، وأن يوليَهُ اليمامة وما حولها، فكان هذا مما طَعَنَ به عليه عطية قائلاً: ما كاتبه عبدالملك حتى علم منه إدْهَاناً في الدِّيْن، فخرج عطية إلى عُمَان [٢] . وذكر الأشعري [٣] : أن نجدة كاتب عبد الملك مراراً.

٧ ـ وقال ابن الأثير[٤] : ونقموا عليه أشياء خرى، فخالف عليه عامةُ من معه.

تلك أهم المآخذ ـ بل كل ما أرجع إليه متقدِّمُو المؤرخين ممن اطلعت على كلامهم أسباب الاختلاف بين نجدة وأتباعه عليها، ولعل الذي يعني الباحثَ منها في المقام الأول براءةُ نجدة مما وُصِمَ به من أنه خارجي بالمعنى الذي يفهم منه مفارقة ما عليه جماعة المسلمين، من اعتقاد وعمل في أصول الدين وفروعه، مما أجمعوا عليه، فقد كان موقفه واضحاً تجاه تلك الأمور المختلف فيها بينه وبين أصحابه، مما ينفرد عنه أصحابه باعتقادها. أو كما قال المبرد[٥]: ـ عن الإباضيَّة: بأن قولهم هو أقرب الأقوال إلى السنة و (النجدية) في ذالك الوقت يقولون بقول ابن إباض. انتهى، بل لعل المتعمق في دراسة أحوال نجدة في اختلافه مع أتباعهِ يتضح له رأيٌ آخر هو أقرب إلى الصواب مما ذكر المبرد، الذي هو في قضايا الأدب واللغة أعلى مكانة منه في المباحث الدينية، واختلاف

---

(١)و (٢) «أنساب الأشراف» ٤٥٢ و«الكامل» ٣/٣٥٤.
(٣) «مقالات الإسلاميين» للأشعري ـ ١/١٦٣ ـ.
(٤) «الكامل» ـ ٣/٣٥٤ ـ.
(٥) «الكامل» ـ ٣/٦٢ ـ.

الفرق الإسلامية، وذالك الرأي هو عدم مخالفة (النجدية) لأهل السنة في الأصول والاعتقاد.

ومن الممكن إرجاع بواعث الاختلاف بين نجدة وأصحابه إلى تلك الأمور التي أوضحها المؤرخون، ولكن من غير الواضح عَدُّها أسباباً حقيقية له، وإنما الأسباب في رأيي - يمكن إرجاعها إلى جذور أعمق في الاختلاف - أهمها:

أولاً : أن نجدة لم يكن يوماً من الأيام منذ مبايعتهِ حتى القضاء عليه - متفقاً مع ما عليه قادة أتباعه في العقيدة والنِّحْلة، وإنما كان يُظْهر لهم خلاف ما يبطن، محاولاً اجتذابهم إلى صَفِّهِ، ليصرفهم عن وجهتهم إلى خير منها، ولكنه كان في ذالك تعوزه صفات القائد الحكيم، وإن تحلَّى بأبرز صفات القيادة من كرم وشجاعة، وسمو مكانة في قومه.

ثانياً : ان أشهر قادة جيشه من أقاربه البكريين الذين يسامونه شرفاً، وكان من بين هاؤلاء ذوو تطلع لأعلى المراتب، ممن لا يرى لنجدة فضلاً عليه، وهو مع ذالك قد يَقْسُو في معاملتهم إلى درجةٍ نفرتهم منه واحداً بعد واحد، وأوغرتْ صدورهم بالحقد والبغضاء، فَأَلَّبُوْا عليه، فقد كان سريعَ الانفعال حين يوجه إليه أيُّ نقد لبعض تصرفاته، يتضح هذا بأمثلةٍ منها:

١ - موقفه مع عطية بن الأسود الحنفي، وهو من أوائل المنضمين إليه حين خالف ابن الأزرق، ثم من المبايعين له بعد خلع أبي طالوت، ثم أصبح من كبار قادة الجيش، حيث وكل إليه نجدة التوجه إلى عُمَان بعد الاستيلاء على البحرين، وهزيمةِ الجيش الزبيري بقيادة عبدالله بن عمير في وقعة القطيف، فاستولى عطية على عُمَان بعد قتل حاكمها وولَّى عليها حاكماً من قبله، وذالك مما

مدح الفرزدق به بني حنيفة إذ قال[1]:

وهم منْ بَعِيْدٍ في الحروبِ تناولوا عِيَاذاً وعبدَالله والْخَيلُ تُجْذَبُ
بِذِي الغاف من وَادِي عُمَانَ فأصبحتْ دماؤهم يجري بها حيث تُشْخَبُ

ولما راجع نجدةَ ـ بعد عودته من تلك البلاد ـ في أمر تفضيل سريَّةِ البحر على سرية البَرِّ، غضب نجدة حتى شتمه، فأثار غضبَه وحقدَه، فأخذ يؤلِّب الناس عليه [2]، ثم انصرف عنه مغاضباً له، فذهب إلى عُمَان فلم يتمكن من دخولها، فركب البحر حتى بلغ كِرْمَانَ من بلاد فارس، ثم سِجِسْتَانَ حيث طارده جيش المهلَّب من قبل والي العراق لعبدالملك، الحجَّاج بن يوسف، فهرب إلى السند، فأُدْرِك في قَنْدَابِيْلَ، فقتل.

٢ ـ وعبدالرحمن بن بخدج الحنفي [3]، كان من قواد جيش نجدة حين توجه إلى الطائف، وهو الذي سبا ابنة عمرو بن عثمان بن عفان، ويبدو أنها كانت بين حاضنيها لما كانت صغيرة، في بادية الطائف، وقد خلَّصها نجدة من رقِّ السبي، وحدث بينه وبين أتباعه بشأنها من الخلاف ما تقدم ذكره، ولعل من بين مخالفي نجدة في أمرها ابن بخدج الذي تولَّى كِبْرَ هذا الأَمر، فقد ذكر البلاذري [4] أنه فارق نجدةَ ناقماً عليه ـ ولم يوضح السبب ـ قال: فأتى فارس، فعلم به واليها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ، فكانت نهاية أمره أن قُتِلَ، في خبر فصله البلاذري [5].

٣ ـ ومن مشاهير قادة جيش نجدة أبو سنان حيي بن[6] وائل اليشكري،

---

(١) «ديوان الفرزدق» ـ ١/٨١ ـ طبعة الصاوي.

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٢ ـ والمخطوطة الألمانية ج ١١/٧، ٧٢، ٧٤ ـ.

(٣) هو عبدالرحمن بن بخدج بن ربيعة بن سمير بن عاتك بن قيس بن سعد بن الحارث بن عامر بن حنيفة «جمهرة النسب» لابن الكلبي ـ ٢/٢٦٩ ـ.

(٤) و (٥) «أنساب الأشراف» ص ٤٥٣ والمخطوطة الالمانية ١١/٧٧.

(٦) عند ابن الأثير (حيان) وابن خلدون (حيي) ولعلها هي الصواب كما في المخطوطة الدمشقية من «أنساب الأشراف» وفي المخطوطة الألمانية (حر) واراها تصحيف (حيي).

وهو من ذوي قرباه، فبنو يشكر إخوة بني حنيفةَ في النسب، يجمعهم عليُّ بن بكر بن وائل، إذ يشكر بن علي وحنيفة بن لجيم بن صعب بن علي، وهم جيرانهم في الدار، وكان أبو سنان أحد قادةٍ أُسْند إليهم نجدةُ التوجه للاستيلاء على بلاد البحرين، ثم كان قائد جيش شارك في وقعة (المجازة) وكان ذا عُرَامٍ وشدَّة، كما يفهم من قوله:

إما أقاتلُ عن ديني على فَرَس ... ولا كذا رجُلٌ إلا بأصحاب

لقد لقيتُ إذَنْ شرًّا وأدركني ... ما كنت أزعم في قومي من العاب

ويروى: (في خصمي من العاب). ولكنه - مع ماله من صلة وسابقة وقَدْرٍ - ناله من حِدَّةِ نجدة ما نال غيره. فقد راجع الرجل بشأن التّقِيَّةِ منكراً لها، فثار عليه ونهره وشتمه - كما يقول البلاذري [1] - ثم بعث إليه بعد ذالك من ناظره، فهل زال أثر الإهانة من نفسه؟

إنَّ القلوبَ إذَا تنافَرَ وُدُّهَا ... مِثْلُ الزُّجَاجةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

٤ - وعَجَبٌ موقفُ ذَوّادٍ العُكليِّ [2] فقد بعثه نجدةُ قائداً لإحدى السرايا إلى (الخط) [3] فظفر وانتصر، وقال في ذالك سُوَيد بن كُرَاعٍ الْعُكْليُّ:

صبَّحتِ (الْخَطَّ) بنا صَبَاحَا ... تَحْمِلُ مِنْ عُكْلٍ فَتىً وَضَّاحَا

مَهْرِيَّةٌ تَرَى بِهَا مِرَاحَا [4]

وبعد عودته قدم جيش ابن الزبير لمحاربة نجدة وقومه، حتى بلغ القطيف

---

(١) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥٣ - والمخطوطة الألمانية ١١/٦٦.

(٢) بنو عكل هاؤلاء من الرِّبَاب المعدودين في تميم، وتميم أخوال نجدة. و (ذَوَّادُ) كذا ورد الاسم مضبوطا في المخطوطة المغربية من «أنساب الأشراف» وفي تاريخ ابن الأثير وغيره (داود) وأراه تصحيفا.

(٣) الخط يطلق على كل سيف البحرين ما بين عمان إلى البصرة، ومن قراه القطيف والعُقَيْر وقطر، والمقصود هنا الساحل القريب من القطيف شمالاً وجنوباً.

(٤) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥١ والمخطوطة الألمانية: ١١/٦٦.

حيث يقيمون، فنزل ذالـك الجيش على مِيْـلٍ منهم، وجعل البحـر خلفه، ومـا معه من الأثقال أمامه، حتى ضَيَّقَ الخناق على القوم، ولما هَبُّوا لملاقاته كان ذَوَّاد - أحد قادتهم - ممن خذلهم، فلم ينهض معهم مع قـوم آخرين [١] . ولكن نجـدةَ اكتفى بأن تركهم قائلاً: إنَّ إخوانكم هاؤلاء أَحَبُّوا البقاء، وثبت فيمن بقي معه حتى تم النصر. أَتُـرَى تَخَلُّفَ ذَوَّاد ومن معـه عن مشـاركـة إخـوانهم في جهـاد أعدائهم في حالة رضا منهم واختيار؟ لا أعتقد أن هذا القائد الشجاع يرضَى بأن يكـون في عداد (الْقَعَـد) الـذين لا يعـذرهم هـو ومن يـدين بِنِحْلَةِ (الخـوارج) ولا يقبل أن يُوْصم بـالجبن والضعف، وخذلان قـومه في أشـدِّ المواقف حـرجا، وأحوجهم إلى العون والمناصرةِ.

٥ - وهذا الذي استخلفه نجدة عـلى ولاية البحـرين، بعد الاستيـلاء على تلك البلاد، والعودة إلى بلاده، وهو هِمْيَـانُ بن عَدِيّ السَّـدُوْسيُّ، وهو من ذوي قـربى نجـدةَ نسبـا، وداراً، فسـدوس هـاؤلاء هم أبنـاء ثعلبـة بن عُكَـابـة بن صعب بن علي بن بكر بن وائـل، يجتمعون مـع حنيفة بِـالأب الثالث صعب بن علي، ولا تزال قَرْيَةُ بني سدوس تعرف بهم [٢] ، وتقع على مقربةِ من موقع بلدة نجدة (أُبَاض) التي درست، لقد وفد على هذا الوالي السدوسي مالك بن مِسْمَعٍ أحد سادة قومه البكريين، ومعه آخرون منهم، بعد مشاركتهم في وقعة (الْجُفْرَة) في البصـرة مـع جيش عبـدالملك لحـرب مصعب بن الـزبـير، وهـزيمـةِ ذالـك الجيش[٣]، فكتب هميـان إلى نجدة مـا تقدم ذكـره، وأجابـه نجدة مـوافقاً عـلى

---

(١) «أنساب الأشراف» ٤٥١ والمخطوطة الالمانية ٦٦/١١.

(٢) كانت تعرف قديماً باسم الْقُرَيَّة - قُرَيَّة بني سَدُوس، ثم عـرفت أخيراً بـاسم (سدوس) وأصبحت الآن مـدينة لهـا تاريـخ قديم حافل.

(٣) الجفرة موضع في البصرة، كـان عبدالملك بن مـروان أرسل جيشـاً لمحاربـة ابن الزبـير بقيادة خـالد بن عبـدالله بن أسيد الأموي، وكان لعبد الملك شيعة في البصرة منهم مالك بن مِسْمع، فـاجتمع جيش خـالد بهم في الجفـرة التي عرفت فيـما بعد بجفرة خالد في سنة سبعين أو قبلها أو بعدها بيسير، وكانت الحرب أربعين يوماً بين الفريقين فانهزم جيش عبدالملك وهـرب مالـك بن مسمع إلى (ثـاج) بعد أن فُقِئت عينـه، ولحق بنجدة، فـأقام عنـده إلى أن قتل مصعب - عـلى ما ذكـر صاحب «معجم البلدان».

اعطائهم ما يعطى مثلهم.

فماذا فعل هذا الوالي الأَمين؟! : لقد أعطى قومه كل ما في بيت المال ثم لحق بهم [(١)].

أجل! لقد هرب العامل (وخَلَّى الدارَ تَنْعَى من بناها) بعد أن أوقر ركاب بني عمه بما يحويه بيتُ مالها من كل غالٍ خفيف، ولحق بهم، والأَسوأ في الأمر أنه انضم إلى أعداء سيدهِ الذي ائتمنه على ولايةٍ تعد أغنى الولايات التي تحت حوزته. وآخر العهد به يوجهه الحجاج قائدَ جند أُمدَّ بهم عاملَ سِجِسْتَان، ثم انضم إلى ابن الاشعث في ثورته التي قضى عليها الحجاج. إن هميان في تصرفه مع نجدة كأصحاب نجدة الآخرين الذين نفرهم منه ما يتصف به من نزق وطيش بعد أن أقبلت عليه الدنيا في عنفوان قوته ومقتبل عمره، حيث لم يكمل الأربعين منه، ولم يتمرس بَعْدُ بتجارب الحياةِ، يضاف إلى ذالك الاختلاف في المقاصد والغايات، فإذا كان من بين اولئك المخالفين لنجدة من على مذهب الخوارج، فقد اتضح مما تقدم أن نجدة لا يدين بهذا المذهب، ولا شك أن من بين أتباعه كثيراً من ذوي المطامع والرغبات، فحين أبصروا تقلص وسائلها باستقرار أوضاع الحكم، سارعوا للانصراف عنه كحالة هِميان، وتلك أحْوال أمثاله في كل زمان ومكان.

مما تقدم يتضح أن الاسباب التي أرجع المتقدمون من المؤرخين إليها بواعث الاختلاف بين نجدة وأتباعه هي في مجملها مما يؤيد القول بأنه كان على خلاف مع المنتمين من أتباعه إلى مذهب الخوارج، منذ أن تولى الأمر، ومردُّ هذا الاختلاف عدم انتمائه إلى ذالك المذهب، ويزيد هذا إيضاحا الموقف بينه وبين

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ ص ٤٥٣ ـ والمخطوطة الألمانية ج ١١/ ٧٦.

عبـدالملك بن مروان، إذ لم يَبْـدُ بين الـرجلين ـ فيـما عُـرِف من أخبـارهمـا ـ من أسباب العداوة وبواعثها مثل ما حدث مع الثوار الآخرين، كعبـدالله بن الزبـير في الحجـاز، والأزارقة (الخـوارج) في العراق، بـل يُلْمَحُ من أفعـال نجـدة مـع عبـدالملك مَيْلُه إلى المصافـاة والمسالمـة، حيث بعث إليه الفتـاة العثمانيـة بعد أن استنقـذها من سبي أصحـابه، ووالى إرسـال الكتب إليه،ثم آوى فُـلاَّلَ جيشـه المنهزمين من وقعة يوم (الجُفْـرة) بينهم وبين مصعب، ثم عـزم بعد أن تخـلَّى عنه أصحابه في آخر أمرِهِ على اللحاق به، فلم يُمَكَّنْ من ذالك بل عُوْجِلَ بالقتل.

نهايــة نجــدة

إن مما يبعث العجب من أمر هذا الشاب المغامر، الذي لم يتجاوز عمره بعد الأربعين عاماً، كيف استطاع في خلال سبع سنوات ـ من سنة ٦٦ هـ إلى سنة ٧٣ هـ ـ أن يُنْشِئ في هذه الجزيرة المترامية الأطراف، مملكة واسعة تضم أكثر اقطارها، ولم يَخُضْ مبتدئا في سبيل ذالك حروباً، ولم يُثِرْ فِتَنًا، وإنما كانت البلاد تنقاد له بسهولة ويسر، مما يدل على أنه كان إنساناً مسالماً، كان يبعث إلى الجهات بجباة الزكوات، فإن وجد استجابة وإلاَّ اضطر إلى الحرب، وحين يدرك عندما يفكر في الاستيلاء على جهة ما، أن أهلها سيحاربونه لا يقدم على ذالك كما فعل مع أهل المدينة.

يروي ابن جرير[1] في حوادث سنة ثمان وستين حين حج نجدة ـ والحجاج تلك السنة فِرَقٌ لا يجمعهم إمام ـ عن سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال: خِفْتُ الفتنة فمشيت إليهم جميعاً، يقصد ابن الزبير وابن الحنفية، ونجدة ووالي بني أمية إلى أن ذكر: أنه جاء إلى نجدة فوجد عنده عِكرمةً غلام ابْنِ عباس، فاستأذن له قال: فدخلت فعظَّمْتُ عليه، وكلمته كما كلمت الرجلين فقال: إمَّا أَنْ نَبْتَدِئَ أحداً بقتال فلا، ولكن من بدأ بقتال قاتلته. انتهى، وهذا يدل على أن الرجل ما كان محباً لقتال أحد مالم يكن البادئ.

ولعل أعظم عَدُوٍّ له تصدى لمقاومتِهِ وحَرْبِهِ هو عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ بموالاة ارسال الجيوش من البصرة[2] لقتاله وهو في البحرين، وقبل ذالك بمساعدة القبائل العامرية في وقعة (المجازة) على ما أشار إليه ياقوت[3]، فكان موقفه معه موقفاً يدل على كرم ونُبْل، فقد ساعده أثناء مهاجمة جيش يزيد ومحاصرته في مكة، وبعد أن هَزم نجدةُ الجيشَ الذي وجهه لقتاله في البحرين ـ

(١) «تاريخ ابن جرير» ـ ٦/١٣٩ ـ. (٢) «تاريخ اليعقوبي» ـ ٢/٢٧٢ ـ. (٣) «معجم البلدان» رسم (المجازة).

قطع الْمِيْرَةَ عنه ـ فلما كتب إليه عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ ثُمَامة بن أُثَال لما أسلم قطع الْمِيْرَةَ عن أهـل مكة وهـم مشـركون، فكتب إليـه رسول الله ـ ﷺ ـ: إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاَّهـا لهم، وأنك قـطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فَخَلَّى نجدة عن ذالك[1].

هكذا كان موقفه مع من كان بالأمس يحاول ـ مـا استطاع ـ القضـاءَ عليه، فلما انتصر وبلغ أمره ما بلغ من القـوة، وأقام تلك المملكـة العريضـة الطويلة، وحلَّ في قومه أرفع منزلة بحيث كان يدعى (أمير المؤمنين)[2] كـان موقفـه ذالك الموقف المعبر عن شهامة وصفاء سريرة من كُلِّ حقد أو ضغينة.

لئن كان عجيباً أمر هذا الشاب الذي انتهت بـه مغامـرته بعـد إنشاء هـذه المملكة الطويلة العريضة في مدة قصيرة إلى حالة محزنة، فـأعجب من أمره هـذه الفئام من الناس، من مختلف سكـان أقاليم تلك المملكـة، الذين انقـادوا بتلك السرعة المذهلة لثائر ليس بذي نحلة دينية يَدْعُـو إِلَيْها، ولا بـذي عصبية قبليـة يؤيدها ويسعى لسيطرتها، ولا بذي قوة تستطيع قهر مَنْ عاداها.

وَدَعْك مِمَّا قيل من أنه خارجي قام بدعوة دينية عُرِفَ أتبـاعُها بـ (النجـدية) فما أكثر ما ألصق وصف (الخارجي) في ذالك العهد وبعـده ـ بكل من لم يخضـع للظلم والاستعباد من الثوار، فقد مَرَّ بك في مكان آخـرَ بأَنَّ نجـدةَ لم يكن يومـاً ما ـ منذ مبايعته إلى يوم قتله ـ ذَا عقيْدة متميـزة عما يعتقـده غيره من المسلمـين، بحيث يصح أن يطلق عليها ذالك الاسم الخاص ليوصف مُعْتَنِقَهـا بالمـروق من الدين.

---

(١) «الكامل» لابن الأثير ـ ٣/٣٥٣ ـ و «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣/٣١٥ ـ.

(٢) «الكامل» للمبرد ـ ١/٥٦ ـ عن تلقيب نجدة بـ (أمير المؤمنين) قال قدامة بن جراد بن جَمْرَة من بني قريـع من بني سعد من تميم وكان شاعراً يهجو نجدة ـ «أنساب الأشراف» ـ ج ١٢ ص ٤٥٥ ـ نسخة دار الكتب رقم ٤٨٥٦:

مـتى تلـق الحريـش حريش سَعْـدِ ... وعبّاداً يقـودُ الدارعيـنا

تَبَـيَّنْ أن أُمَّـكَ لم تُـوَرِّكْ ... ولَمْ تُرْضِـعْ (أمـير المؤمنيـنا)

ويبقى التساؤل عن حالة اولئك الذين سرعان ما استمالهم لطاعته والانقياد لحكمه، لا بالقسوة والحرب بل بالدعوة الحكيمة المؤثرة.

ليس من شك بأن من أقوى الأسباب في ذالك فراغ تلك الأقطار الواسعة في فترة قيام نجدة من دولة قوية، ومن قبل ذالك إهمالُ الدولة القائمة لأحوال هذه البلاد، وعدم عنايتها بتصريف شؤونها، منذ انتقال قاعدة الدولة من المدينة واتخاذ مدينة دمشق قاعدة للدولة الجديدة، وانصرافها إلى الاهتمام بعالم جديد ذي صلات قوية بتلك القاعدة البعيدة، وهو انصرافٌ قد يقال بأنَّ له ما يبرره منذ اتساع الفتوحات الإسلامية وشمولها ممالك واسعة في الشرق والغرب، مع ما تتمتع به هذه الممالك من وفرة في مواردها الاقتصادية، وما تتطلبه من الدولة من عناية والتفات يتلاءمان مع ما هي عليه من كثرة السكان، وما تتمتع به تلك البلاد من خصب ورخاء ويسر في أحوالها، مما تجد هذه الدولة التي تُعَدُّ ناشئةً أنها في أشد الحاجة إليه، ومن هنا أحس سكان هذه البلاد من آثار انصراف الدولة عنهم ـ في أول أمرها ـ ما دفعهم إلى التطلع إلى حالة أحسن مما هم عليها، وهذا مما حملهم على سرعة الانقياد بسهولة ويسر، لهذا الحاكم الجديد، الذي قد يكون له من معرفته بأحوالهم، وإدراكه جوانب مما كانوا يتذمرون منه، ما كان خير عون له في استجابتهم، وانضوائهم تحت حكمه، قبل أن تثبت دعائم هذا الحكم، أو تتضح معالمه، بل لا يزال أشبه بـ (مشيخة قبلية) من (المشيخات) التي طالما خضع أولئك القوم لنفوذها منذ أقدم عصورهم، ولا يزالون يخضعون، إذ لم يتمتعوا بحكم خير منه، يتلاءم مع ظروف حياتهم التي لم تتغير بعد عما كانت عليه مما ألفوه واعتادوه في تلك العصور على تعاقبها.

وكان استيلاء نجدة على تلك البلاد سهلاً ولكن ٱلأَمْرَ انفرط من يده بسرعة مذهلة حين تفرق عنه أصحابه ـ كما تقدم ـ.

ولقد كان من آخر من خالف عليه أبو فُدَيْكٍ ـ عبدالله بن ثور ـ من بني سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان مُقَرَّباً لدى نجدة، إذ كان أحدَ قواد جيشه إلى حضرموت بحيث جَبَا صدقات أهلها[1]، وكان من أقرب الناس إليه نسباً وداراً كما سيأتي.

وبلغ الأمر أن قوماً من أتباع نجدة كانوا فارقوه لأمور نقموها عليه، ثم استتابوه عنها فحلف ألا يعود، ثم ندموا على استتابته وتفرقوا، ونقموا عليه أشياء أخرى فخالف عليه عامة من معه، وانحازوا حين ولوا أمرهم أبا فديك[2].

لم يقف أمر القوم عند حد تنحية نجدة عن رئاسته عليهم واختيار غيره، بل أرادوا به شرًّا، ويصفُ ابن الأثير نهاية مأساته فيقول[3]: ولكن القوم صمموا على قتله، فتفرق عنه الناس مما اضطره إلى الاختفاء في إحدى قرى هجر، فعلم أبو فديك وقومه فلجأ إلى أخوال له من بني تميم، فاستخفى عندهم، ويفصّل البلاذري تلك المأساة بقوله في «أنساب الأشراف»[4]: وأتى أبو فديك (أُبَاضَ) وبرِيَّ وأصحابه من نجدة، وقيل لأبي فديك: إنك إن لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك، فألحَّ في طلبه، وكان نجدة مستخفيًا في قرية من قرى هجر، ويقال: بين حجر وجَوٍّ ـ وكان للقوم الذين أخفوه جاريةٌ يخالف إليها رَاعٍ لهم، فأتاها ليلاً، وقد غسل نجدة رأسه، ودعا بطيب، فأخذت الجاريةُ من الطيب شيئاً فَمَسَّتْهُ، فسألها الراعي عن أمر الطيبِ، فأخبرته خبر نجدة، وغدا الراعي إلى أصحاب أَبِي فُدَيْكٍ فَدَلَّهم على مكانه، فطرقوه فنذر بهم فأتى أخواله من بني

---

(1) «أنساب الأشراف» ـ ترجمة نجدة ـ المخطوطة الدمشقيَة ص ٤٥٣ والمخطوطة الالمانية و«الكامل» لابن الأثير ٣/٣٥٣ ـ. و «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣/٣١٤ ـ.

(2) المصادر المذكورة.

(3) «الكامل في التاريخ» ـ ٣/٣٥٤ ـ.

(4) ص ٤٥٣ الدمشقية.

تميم، فاستخفى عندهم، وقال: آتي عبدَ الملك فأضع يدي في يده. فقالوا: لك عندنا زَادٌ وحُمْلَان، قال: فأَعْهَدَ إلى أمِّ المطرَّحِ عهداً. فأتاها، فنذروا به (١)، فأذنوا أصحاب أبي فديك بموضعه، فسبق إليه رجل من بني عُقَيْلٍ من الفُدَيْكيَّة، فخرج نجدة مصلتا بالسيف فضنَّ به العُقَيْليُّ عن القتل، فنزل عن فرسه ومشى معه، وقال: إن فرسي هذا فرس لايُدْرِكُه شيءٌ، فلعلك تنجو عليه، فإن الخيل طالعةٌ عليك، فقال: ما أُحِبُّ البقاء، وقد تعرضتُ للشهادة في مواطن ما هذا الموطن بِأَخَسِّها. وغشيه الوازع أخو أبي فديك لِأُمِّهٍ، وأبو طالوت، وأبو هاشم مولى بني زِمَّانَ ـ واسمه راشد ـ في ثمانية عشر رجلاً، وَجَّهَهُمْ [أبو فديك] لقتل نجدة فطعنه أبو هاشم، ويقال: طعنه رجل من بني عَدِيٍّ بن حنيفة، وضربه القوم فقتلوه. ثم أورد في رثائه قول رجل من جَرْم:

أَبَعْدَ أَبِي الْمُطَرَّحِ يَوْمَ حَجْرٍ ... يَقُوْمُ بِسُوْقِهَا أَبَداً مُجِيْرُ
فَلَيْتَ سُيُوفَكُمْ يَاأَهْلَ حَجْرٍ ... أَتَاهَا يَوْمَ نَجْدَةَ مُسْتَعِيْرُ
فَأَصْبَحتِ الْيَمَامَةُ بَعْدَ عِزٍّ ... أَذَلَّ رِقَابَهَا الْأَسَدُ الْعَقِيْرُ
فَلِمْ تَسْتَبْدِلُوا مِنْهُ ابْنَ ثَوْرٍ ... فَقَدْ ضَاعَتْ بِكَاظِمَةَ الثُّغُوْرُ

ويسترسل البلاذري قائلاً: وكان نجدة ذا شجاعة وسخاء، فقال نَصْرُ بن سَيَّار يوماً لرجل من بني حنيفة: من كان سيدكم؟ قالوا: مُجَّاعَةُ. قال: ما أدري ما مُجَّاعتكم من عصيدكم!! (٢)، لا والله ما كان قطُّ أكرمَ كرماً، ولاأعظم سُؤدُداً من نجدة، وهو الذي يقول:

وإِنْ جَرَّ مَوْلَانَا عَلَيْنَا جَرِيْرَةً ... صَبَرْنَا لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ الدَّعَائِمُ

---

(١) (أنذرهم): علم بهم (نذروابه): (علموا بمكانه).

(٢) الجَّاعَةُ والمجَّاع في اللغة: حِسَاءٌ رقيق من الطحين والماء، ومثله العصيدة، ومراد الحنفي مُجَّاعة بن مُرارة من سادات بني حنيفة المشهورين من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسائل تجاهل هذا، واراد المعني اللغوي للكلمة.

ولا شك أنَّ قتله أثار سخطاً بين القوم، وفيهم من ذوي قرباه، ومن غيرهم، وهذا من الأمور الطبيعية، ولكن مما يلفت النظر في الأمر أن يتأثر من ذالك بعض أنصار أبي فديك إذ حاول فتًى من قوم أبي فديك، ويدعى مسلم بن جبير قَتْلَ أبي فديك، فطعنه بسكِّينْ طعناتٍ لم تجهز عليه، بل شُفِيَ منها، وقتل هذا الرجل الذي وصفه البلاذُرِيُّ بأنه من أهل الحجاز، وأنه قال:

وَخَالَفْتُ قَوْمِيَ فِي دِيْنِهِمْ خِلَافَ صَباً حِينَ جَاءَتْ جَنُوْبا

أُرَجِّي الْإِلٰهَ وغُفْرَانَه وَتَرْجُوْنَ دِرْهَمَهُمْ والْجَرِيْبَا

- معناه: خلاف صباً جنوباً.

ولم يذهب دم نجدة هدراً، فقد ذكر البلاذري [1] أن الحنفي الذي يقال إنه طعن نجدة بقي زمناً، فلقيه حصين بن نجدة بدمشق، فقتله فوجدوه مقتولاً فأتهموا حصيناً بقتله، فحبسوه ثم أُخرج.

ويحدد ابن جرير تاريخ قتل نجدة بسنة اثنتين وسبعين فيقول [2]: وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي. وكذا ذكر ابن الاثير، ويغرب الذهبي [3] فيقول: نجدة بن عامر الحنفي من رؤوس الخوارج مال عليه أصحابُ ابن الزبير فقتلوه بالجمار، وقيل: اختلف عليه أصحابه فقتلوه في سنة ٦٩ هـ.

أما ابن كثير فقد ذكر أنه قتل سنة إحدى وسبعين [4]، ولكنه نقل قبل ذالك في موضع آخر من كتابه ما تقدم عن ابن جرير [5] أن خروج أبي فُدَيْكٍ وقَتْلَ نجدة كان سنة اثنتين وسبعين.

(١) «أنساب الأشراف» - ١١ المخطوطة الدمشقية وج ١١ وج (ترجمة نجدة) من المخطوطة الألمانية.
(٢) «تاريخ ابن جرير» - ٦/١٧٤ -.
(٣) «تاريخ الاسلام» - ٣/٨٨ -.
(٤) «البداية والنهاية» - ٨/٣١٧ -.
(٥) المصدر السابق - ٨/٢٣٤ -.

وفي «لسان الميزان» لابن حجر أن نجدة قتل سنة سبعين.[1]

ولعل أرجح الأقوال أنه قتل سنة اثْنَتَيْنِ وسبعين كما يفهم مما ذكر ابن جرير وابن الأثير [2] أن من حوادث تلك السنة غَلبة أبي فديك على البحرين وذلك بعد قتل نجدة.

فكأَنَّ مدة حُكْمِه قاربت سبع سنوات، حيث بويع بعد أبي طالوت سنة ستّ وستين وقتل على يدي أبي فديك سنة اثنتين وسبعين.

أما قول اليعقوبي [3] : أن نجدة أقام خمس سنين وعماله في البحرين واليمامة وعُمان وهجر، وطوائف من أرض العرض، فلعله يقصد بعد استيلائه على هذه النواحي كلها، وما زاد على الخمس لم تستقر له الأمور بعد.

وكان عمره يوم قتل ستًّا وثلاثين سنة، فقد ذكر البلاذري ومن تابعه أنه بويع سنة ست وستين وهو ابن ثلاثين سنة. وتقدم أنه قتل سنة اثنتين وسبعين.

أين قتل نجدة:

ويفهم مما ذكر ابن الأثير أن نجدة قتل في البحرين حيث ورد في تاريخه [4] : وكان مستخفياً في قرية من قرى (هجر) ولكن وقع في «تاريخ ابن خلدون» [5] وكلامه فيما يبدو ملخص من تاريخ ابن الأثير: وكان مستخفياً في قرية من قرى (حَجْر) ومعروف الفرق بين الموضعين، فهجر ـ بالهاء ـ يراد به الأحساء، و (حَجْر) ـ بالحاء ـ المدينة التي كانت قاعدة اليمامة، وعرفت فيما بعد باسم (الرياض).

---

(١) ترجمة نجدة.

(٢) حوادث سنة ٧٢.

(٣) «تاريخ اليعقوبي» ـ ٢/٢٧٢ ـ.

(٣) «الكامل في التاريخ» ـ ٣/٣٥٤ ـ.

(٤) ـ ج ٣ ص ٣١٥ ـ طبعة (دار الكتاب اللبناني) بيروت.

ولا شك أن كلمة (هجر) في «تاريخ ابن الأثير» تصحيف (حجر) يوضح هذا ما تقدم في كلام البلاذريّ من قوله [1] : وكانَ نجدةُ مستخفياً في قرية من قرى (حجر) ويقال: بين (حَجْر وجَوّ) وجَوٌّ هنا هو جَوُّ الخضارم في الخرج، فهو القريب من (حَجْر) ويزيد هذا إيضاحا قول ياقوت[2] : قُرينُ نَجْدَةَ - كأنه تصغير قَرْنٍ - باليمامةِ، عنده قُتِل نجدةُ الحروريُّ.

إذَنْ كان الموضع في اليمامة، وليس في البحرين حيث تقع بلاد هجر.

وبعد قتل نجدةَ لم يستقم الأمر لأبي فُدَيْكٍ، فقد عمدتْ كُلُّ جِهةٍ من الجهات التي كانت خاضعةً لحكم نجدةَ إلى التمرد، قال ابن الأثير[3] : ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه، فطمع فيهم الناس، فأما الحازوق فطلبوه بالطائف فهرب، فلما كان في العقبة في طريقه لحِقَهُ قوم يطلبونهُ فرموه بالحجارة حتى قتلوه وهذامن كلام البلاذُرِي - وسيأتي -.

وذكر ابن الكلبي في «النسب الكبير»[4] وعنه نقل أبو عبيد في كتاب «النسب» وابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» في ذكر نسب بني سُلَيْمٍ من دَوْس: أن عبدَالله بن النعمان كان سَيِّدَهُم في السراة، وهو الذي قتل الحازوق الحنفي، أوغل فيهم، ولهم شعاب مُنْكَرَةٌ فَأُخِذَ عليه في شِعْبٍ منها فَرُضِخَ هو ومن معه بالحجارة، وذكر ابن حبيب[5] : أن ابنة حُزَاق دخلت على عبدالملك بن مروان فقال لها: أَقَتلت دَوْسُ أباك؟ قالت: قتلوه في الجبل ولو أصحروا ما قاموا له!! فقال المحرِزُ بن أبي هريرة الدوسي: هم والله في السهل أقتل منهم في الجبل!! فقال لها عبد الملكْ: أنشديني ما قلتِ في أبيك. فقالت:

أُسائِلَ رُكْبانَ (الْيَمامَةِ) هَلْ رأَوْا ... حِزَاقاً وَعَيْني كَالْحَجاةِ مِنَ الْقَطْرِ [6]

---

(١) «أنساب الأشراف» - المخطوطة الدمشقية ص ٤٥١.
(٢) «معجم البلدان» رسم (قرين).
(٣) «الكامل في التاريخ» - ٣/٣٥٣ -.
(٤) نسب قبيلة دوس.
(٥) «المنمق» - ٢٣٣ -.
(٦) الحَجَاةُ: نفَّاخَة الماء التي تعلوه إذا أصابه القطر.

فَمَنْ يَغْتَنِمْ أَنْعَـامَ فَيْحٍ وَمُصْمَتـاً ... وقَتْـلَ حُزَاقٍ لَمْ يَـزَلْ عَـالِيَ الـذِّكْـرِ
فَـإِنْ لَمْ أَنَـلْ مِنْ دَوْسَ ثَـأْرِي بِفِتْيَةٍ ... مَصَالِيْتَ لَمْ يَكْسُرْهُمُ حَرَبُ الدَّهْـرِ
فَـإِنَّ قُـرَيْشـاً كَـانَ مَقْتَـلُ حَـازِقٍ ... مِنِ اخْوَتِهِمْ فَاطْلُبْ بِهِ قَاطِنَ الْحِجْرِ

ويـروي البلاذري [١] خـبر مقتل الحـازوق على هـذا النحو: وأقـام عمال نجـدة في النواحي حتى وقـع الاختلاف بينـه وبين أصحـابـه، فـاجتـرأ النـاس عليهم، فأما الحازوق فطلبوه بالطائف فهرب، فلما كان في عقبة في طريقه إذْ قوم يطلبونه، فرمـوه حتى قتلوه وهو يقـول: أتقتلوني قِتْلَةَ الزُّنـاة؟ ليبارزني منكم من شاء، وأخذوا فرسه، فقالت أخته ـ أو ابنته ـ تبكيه:

أَعْيَنَيَّ جُودَا بِالـدُّمُوعِ عَـلَى الصَّدْرِ ... عَلَى الْفَارِسِ الْمَقْتُولِ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ
فَـإِنْ تَقْتُلُوا الْحَـازُوْقَ وابْنَ مُـطَرِّفٍ ... فَـإِنَّـا قَتَلْنَـا حَـوْشَبَـا وأَبَـا جِسْرِ
أُقَلِّبُ عَيْنِي فِي الـرِّكَـابِ فَـلاَ أَرَى ... حُـزَاقاً بِعَـيِنْ كَـالْحَجَـاةِ مِنَ الْقَـطْرِ
وَمَنْ يَغْنَمِ الْعَـامَ الْوَشِيْـكَ وَلاَحِقاً ... وَقَتْـلَ حُزَاقٍ لاَ يَـزَلْ عَـالِيَ الـذِّكْـرِ

ـ في أبيات [٢] ـ ويبدو أن أهل الطائف حـاولوا قتله، فهـرب إلى السَّرَاةِ، فقتله الدوسي على ما ذكر ابن الكلبي. ويضيف البلاذُريُّ بعد قـول ابن الكلبي عن الحازوق: وكان قد أوغل في بلاد الأزد ـ فقال عبدالله بن الزبير ـ حين بلغـه قتـل الحازوق: إن الأزد هم الأسْـد، قتلوا الحـازوق، وإن من خثعم سَلْمَى أو تدرون مَنْ هي؟ هي امرأة كانت في الجاهلية، وانتهى الكلام غير تامٍّ.

وممن قتل من وُلاةِ نجدة عامله على صدقات بني جَرْمٍ، وبنو جَـرْمٍ هاؤلاء

(١) «أنساب الأشراف» المخطوطة الدمشقية ـ ص ٤٥١ ـ والألمانية ـ ١١/٧٢ ـ.
(٢) وفي «اللسان» حزق ـ بعد بيت: اقلب طرفي....:

فلو بيـــــدي ملك اليمامـــــة لم تـــــزل ... قبائـــــل يَسْبِينَ العقائـــــل من شكـــــر

قال ابن بري: هو لخرنق ترثي أخاها حازوقا وكان بنوشكر قتلوه وهم من الأزد، وبنو شكر هاؤلاء كانوا مخالطين لدوس في المنزل انظر: «العرب ـ س ٣ ص ١٨٣ ـ وما بعدها.

كانت بلادهم تمتد من الْعَقِيْق (وادي الدواسر) حتى تتصل بجنوب العارض، حيث كانوا يجاورون بني هِزَّان في أودية بُرَيْكٍ ومُطْعِمٍ (وادي الحلوة) والْمَجَازَةِ، وتحالفت القبيلتان المتجاورتان وقد أشار البلاذري إلى هذه الصلة فقال [1] - بعد إيراد رثاء الجرمي نَجْدَة: وكان الجرمي وقوم معه من بني جرم نزلوا قريباً من ذِي المجاز [2]، فأغار عليهم بنو قُشَير، فأصابوا لهم أموالاً، فلما ظفر نجدةُ ببني كَعْبٍ رَدَّ على الْجَرْمِيِّيْنَ ما أُخِذَ منهم، - كذا قال - وفاتَه ما بَيْنَ جَرْم وبين بني هِزَّان من صلات قوية جِوَاراً وحِلْفاً، وما بين هِزَّان وبين بني حنيفة من الصلات القربى في النسب والجوار.

وقد تَصَدَّى أحدهم وهو ناجيةُ الجرمي لقتل عامل نجدة، وعُرف هذا القاتل بمُعَوِّدِ الفِتْيَان، لقوله بعد أن قتل العامل ويُدْعَى سَعْدَ الطلائع [3]:

أَلَا لَيْتَ هِنْداً غَيْرَ أَنْ لَا يَشُقَّهَا	رَأَتْنِي وَسَعْداً حِينَ غَابَ الطَّلَائِعُ
وَلَمَّا عَلَانِي بِالْقَطِيعِ عَلَوْتُه	وَفِي الْكَفِّ صَافٍ كَالْعَقِيْقَةِ قَاطِع
يَخِرُّ وَيَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَتَارَةً	تَمَسُّ لِحَانَا الأَرْضَ والْمَوْتُ كَانِعُ
فَطَارَ بِكَفِّي نَصْلُهُ وَرِئَاسُهُ	وَفِي عُنْقِ سَعْدٍ غِمْدُهُ والرَّصَائِعُ
أُعَوِّدُهُ الْفِتْيَانَ بَعْدِي لِيَفْعَلُوا	كَفِعْلِي إِذَا مَا جَارَ فِي الْحُكْمِ ظَالِعُ
يُنَاشِدُنِي سَعْدٌ بِخُلَّةِ بَيْنِنَا	وَسِرْبَالُ سَعْدٍ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
وَسَائِلَةٍ بِالْغَيْبِ عَنِي وَسَائِلٍ	بِنَاجِيَةَ الْجَرْمِيِّ كَيْفَ يُمَاصِعُ

وسعد الطلائع كان عاملاً لنجدة على ما يلي نجران على ما ذكر البلاذري [4]، ومن نقل عنه، ويظهر أن ولايته كانت تشمل العقيق [5]

---

(١) «أنساب الأشراف» ص ٤٥١ الدمشقية. (٢) الصواب (المجازة) وتقدم إيضاح هذا.

(٣) «الوحشيات» - ص ٢٤ - و «المؤتلف والمختلف» للآمدي رسم (معود الفتيان).

(٤) «أنساب الأشراف» - ١١/ ٧٣ -.

(٥) كلمة (العقيق) يقصد بها كل وادٍ يَعُقُّ الأرض بقوة جريانه، وفي بلاد العرب أَعِقَّةٌ معروفة منها هذا الوادي الذي يعرف=

المعروف قديماً باسم عقيق جرم (وادي الدواسر) وقد ذكر البلاذري أن سبب قتل سعد هذا أنه أراد من ناجية الجرمي الزكاة فمنعه إيَّاهَا فقاتله، فقتله ناجية[1] .

قد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: كيف يعمد هذا الجرمي لقتل عامل نجدة، وجرم هؤلاء كانوا يساكنون بني هِزَّان في (المجازة) البلدة التي هب نجدة بقومه للدفاع عنها، حينما غزتها بنو عامر، كما تقدم هذا؟! ولكن طبيعة الناس - هي هي - إنهم دائماً مع القوي، فإذا أحسوا منه ضعفاً كانوا عليه، بعد أن كانوا معه، وهكذا كانت الحال بالنسبة إلى نجدة وعمَّاله، أو كما قال القَطاميّ:

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائلون له ... ما يشتهي، ولأُمِّ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ!

وويل لمن زلت به قدمه، فَقَلَّ أن يجد راحِمًا!

= الآن باسم (وادي الدواسر) وقديماً العقيق، وعقيق جَرْمٍ ثم عقيق بني عُقَيْل باسم القبيلتين المعروفتين، وعقيق تَمْرَةَ باسم القرية المعروفة في أسفله.

(١) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥٢ -.

ثورة أبي فُدَيْك ونهايةُ أمْرِهِ

لاتتضح الفائدة من التاريخ بدون إدراك الصلة بواسطتـه بين مـاضي الأمة وحاضرها، ولهذا فـإن من أول ما ينبغي لمن يُعْنى بـه إيضاحَ الـوسائـل التي تُبَيِّنُ تلك الصلة، لكي تَتِمَّ الاستفـادة مما يـورد من وقائعـه ويقص من أخباره، وكُلَّما كانت صلة الحاضر بالماضي عميقةً كانت الفائدة أجل وأعظم، ولهذا فسأحـاول إبراز ما أستطيع إبرازه من ذالك.

من المعروف أن بني حنيفة تتوسط في الدار هذه البلاد فـ (حَجْرٌ) الواقعة في بلادها هي القاعدة، وكما ذكر المتقدمون عن هـذه المدينـة أنها كانت لبني حنيفـة وفيها من كلٍّ القبائل، وعندما نزلت حنيفةُ هذه البلاد انضمت إليها فروع كثيرة من بني بكر بن وائل، يجتمعون معها في النسب، ومن تلك القبائل بنـو قيس بن ثعلبة، الذي جاوروا بني حنيفة في الدار، قال صاحب كتاب «بلاد العرب»[1] ـ يذكر بعض منازل بني قيس بعد أن ذكر عِرْضَ بني حنيفة الوادي المعـروف الآن باسم (الباطن) ـ قال: ثم عن يسار ذالك أسفل من ذالـك منحدِراً من الـوادي إذا استقبلت الجنوب نُمَيْلَةُ ونُمَارُ، وهو بطن وادٍ فَمُـهُ يفرغ في العِـرْضِ ، وأعلاه يـذهب مُغَرِّبًـا وفيه من كـلٍّ، وأكـثر نُمَيْلَةَ لبني قيس بن ثعلبـة وقـال: أتت بنـو قيس بن ثعلبة عُبَيْداً فقـالوا لـه: انْفَحْ لنـا مما أَصَبْتَ ـ أي هَبْ لنـا ـ فجعل لهم قـريةً، فسميت (مَنْفـوحـة) من أجـل قـولهم (انْفَـح)، وهي بـين حَجْـرٍ ومهبِّ الجنوب على طريق جَوٍّ مِنْ حَجْرٍ، وهي من سوق حَجْرٍ على ميلين.

وقال الهمداني[3] بعد ذكر وادي لِحَاء قال: أسفله لبني يشكر وأعلاه لِضَـوْرٍ من قيس بن ثعلبة، فَمُصْعِداً ثم ترجع إلى بطن الْعِرْضِ فالْفَارِعَـةُ فالْمَـوْصِلُ[4]

---

(١) ـ ص ٣٦٠ ـ.

(٢) هو جو الخضارم ـ بمنطقة الخرج ـ.

(٣) «صفة جزيرة العرب» ط. دار اليمامة ـ ص ٤٨٢ ـ.

(٤) لعله ما عرف أخيراً باسم (الوصيل).

لبني يشكر، ثم المصانع لِضَوْرٍ، ثم مَنْفُوحَتانِ، وهما المنافيح لبني قيس بن ثعلبة. انتهى. من هذا يفهم أن بني قيس بن ثعلبة جاوروا بني حنيفة في أسفل واديهم الباطن، ممتدَّة بلادهم من وادي نُمَار الوادي الذي لا يزال معروفاً، حتى خالطوا بني يشكر في وادي لِحاء الوادي المعروف الواقع جنوب وادي حنيفة، وتمتد منازل بني ثعلبة حتى قرية المصانع التي لا تزال معروفة في أسفل وادي حنيفة، وتتوسط بلادهم قريةُ منفوحة التي سماها الهمداني المنافيح، وقال: منفوحتان، وبلدة منفوحة معروفة، وقد اتصل بها عمران مدينة الرياض، وكنت أعهد من دونها موقعاً يسمى (المنفوحي) فيه آثار قصر، ولعله أحد المنفوحتين اللتين أشار الهمداني إليهما، أما نُمَيْلَة فتدعى النُّمَيْلِيَّات، وتقع على الشفير الغربي للوادي (الباطن) في مفيض وادي نُمَارٍ في مدخله، على يسار الذاهب إلى وادي نُمار، وقد أوضح ياقوت[1] خبر تجاور بين بني ثعلبة وبني حنيفة، وسكنى فروع من بني بكر في هذا الوادي وما حوله، وأن عُبَيْدَ بن ثعلبة سَيِّدَ بني حنيفة قبل الإسلام لما خرج يرتاد مواقع القطر، أتى القصور والنخل وأرضا عرف لها شأناً وكانت لطسم وجديس فتحجَّرَ حَجْراً قال: فأتت حنيفة ومن كان معه من بني بكر بن وائل فنفح بني قيس منفوحة. انتهى، ومن هاؤلاء الأعشى الشاعر المشهور الذي توفي في منفوحة.

ومعروف أن بني ثعلبة هم إخوة بني حنيفة في النسب وتقدم ذكر ذالك.

من هنا كان أبو فديك وهو من بني ثعلبة هاؤلاء ممن انضم إلى نجدة ثم خرج عليه. ولا تمد المصادرُ الباحثَ بما يتوق إليه من معرفة ما يفصل أحوال أبي فديك في أول حياته، ومما يعرف منها أن اسمه عبدالله بن ثور بن سلمة وأنه من بني سعد بن قيس بن ثعلبة[2].

---

(١) «معجم البلدان» رسم (حجر).

(٢) «المعارف» لابن قتيبة - ص ٩١٤ -.

ويبدو أن أبا فديك كان ممن انضم إلى نافع بن الأزرق في أول أمره، فقد ذكر ابن جرير في خبر انضمام الخوارج إلى عبدالله بن الزبير أنهم قدموا عليه في مكة، فقاتلوا معه الجيش الذي أرسله يزيد لمحاربته، ثم افترقت كلمتهم وصاروا أحزاباً[1] قال: وتفرق القوم فأقبل نافع بن الأزرق ـ وآخرون سماهم ـ حتى أتوا البصرة قال: وانطلق أبو طالوت من بني زِمَّانَ بن مالك[2]، وعبدالله بن ثور أبو فُدَيْك من بني قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود اليشكري إلى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذالك على نجدة بن عامر الحنفي، وكان ذالك سنة أربع وستين ـ كما تقدم ـ.

من هنا يتضح أن أبا فديك انضم إلى نجدة في أول عهده.

ليس يعنيني هنا التوسع في بحث أسباب الخلاف بين الرجلين، إذ لست مقتنعاً أن كل واحد منهما كانت له نِحْلة من نِحل الخوارج تعرف إحداهما بـ (النجدية) والأخرى بـ (الفديكية) إذ لم أجد فيما رجعت إليه من المصادر ما أقتنع به بصحة ذالك، وأَنْ أَتبين من ملامح تلك النحلتين ما أطمئن وأقتنع به، ولكن يتبادر إلى ذهني أن أبا فديك وعطية بن الأسود الحنفي وغيرهما ممن انضم إلى نجدة لهم من المآرب والتطلع إلى الرياسة ما كان من أقوى العوامل في مخالفتهم نجدة، فعطية بن الأسود بعد انفصاله عن نجدة ذهب إلى عُمَان التي كان استولى عليها لما كان قائِداً لجيش نجدة، ليستقل بولايتها فلم يتمكن من ذالك، فذهب إلى بلاد فارس، وفي كرمان حاول ما أراد بحيث أنه بعد أن استولى على هذه البلاد ضرب له نقداً خاصاً عرف باسم (الدراهم العطوية)[3] وها هو أبو فديك بعد أن يخالف نجدة يتابعه للقضاء عليه إلى بلدته (أباض)

(١) «تاريخ ابن جرير» ـ ٥/٥٦٦ ـ و «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ـ ٣/٣٣٦ ـ.
(٢) بنو زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بنو عم بني حنيفة بن لجيم بن صعب ـ جمهرة النسب ـ.
(٣) «أنساب الأشراف» ـ ١١/١٤٢ ـ.

وبعد أن تم له ذالك يدرك أنه لا يستطيع الاستقرار بين قوم قتل أحد سادتهم فيتجه إلى البحرين.

ويرى بعض الباحثين أنه اتخذ من بلدة (جُوَاثا) قاعدة له، ولعله في ذالك استدل مما ذكر بعض المؤرخين من أنه هَزَم أول جيش أرسله مصعب في بلدة (جُوَاثَا).

ويختلف المؤرخون في السنة التي خرج فيها أبو فديك، فخليفة ابن خياط في «تاريخه»[1] يحددها بسنه إحدى وسبعين، ولكن ابن جرير الطبري وممن تابعه يحددونها بسنة اثنتين وسبعين[2]، ولعل هذا هو الصواب كما تقدم في قتل نجدة.

وقعة جواثا:

ذكر خليفة ابن خياط [3] أن أبا فديك (عبدالله بن ثور) لما تحول إلى البحرين وجه إليه مصعب بن الزبير جيشاً بقيادة عبدالرحمن بن الاسكاف، فالتقوا بجواثا فانهزم عبدالرحمن وأهل البصرة.

ولعل أوفى من فصل أخبار أبي فديك البلاذريُّ في كتابه «أنساب الأشراف»[4] فقد أفرد له فصلاً خاصاً سألخص المهم مما ورد فيه قال في سياق خبر جيش مصعب ما نصه: أرسل مصعب بن الزبير والي البصرة جيشاً بقيادة عبدالرحمن الإسكاف لمحاربة أبي فديك في البحرين، فلما وصل الجيش قام أبو فديك خطيباً في قومه وقال: يا معشر المسلمين إن الله قد أذهب عنكم نَزْغَ الشيطان، وأنقذكم من فتنة نجدةَ، وأنتم تناضلون عن دين الله، وقد سمعتم

---

(١) - ٢٦٧ -.

(٢) «تاريخ ابن جرير» - ٦/١٤٧ -.

(٣) «تاريخه» ص ٢٦٧.

(٤) ص ٤٩٥ المخطوطة الدمشقية.

ما أعد الله للمجاهدين في سبيله حيث قال: ﴿ والَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ فمن كان الله معه فهو المصلح المنجح، وقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ ﴾ فَاشْرُوْا أنفسكم، تنالوا الفوز كما وعدكم، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، وإياكم والفرار من الزحف فَتَبُوْءُوا بسخط من الله ويحل عليكم غضبه [1].

فلم ينتصف النهار إلا وقد انهزم جيش مصعب ويضيف البلاذري [2]: ويقال إن جيشا آخر من البصرة قدم لقتال أبي فُدَيْكٍ بقيادةِ زياد القرشي، وصحبه في ذالك جميعٌ من أهل البحرين، فسار بهم فَقَتَلَ عُمَارَةُ الطويلُ زِياداً، وتفرق أصحابه وفي ذالك يقول أحد الشعراء:

تَمَنَّعْ قَبْلَ جَيْشِ أَبِي فُدَيْكٍ ... وَقَبْلَ عُمَارَةَ الرَّجُلِ الطَّوِيْلِ
أَعَزَّ سَمَيْدَعٍ يَمْشِي إِذَا مَا ... تَتَابَعَ مِشْيَةَ الْجَمَلِ الصَّؤُولِ
وَقَبْلَ الطَّيْرِ يَنْهَشُ لَحْمَ قَوْمٍ ... بِمُعْتَرَكِ الْبَيَاذِقِ وَالْخُيُولِ
لِقَاءُ الْأَسْدِ أَهْوَنُ مِنْ لِقَاهُ ... بِهِ التَّحْكِيْمُ يُشْهَرُ بِالْأَصِيْلِ

وعمارةُ هذا هو ابن عقبة بن مليل من بني زيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، وهو الذي وَلاه نجدةِ على اليمامة بعد وقعة (المجازة) لما سار إلى البحرين [3].

وقعة مَرْدَاءِ هجر:

لما تم الأَمْر لعبدالملك بن مروان بالقضاء على مصعب بن الزبيرْ ولَّى على

---

(١) و(٢) «أنساب الأشراف» المخطوطة الدمشقية: ٤٩٦.

(٣) المصدر نفسه - ١١/ ورقة ٦٨ - وفيه: ورجع نجدة إلى اليمامة، وكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف، فخاف أن يطأ الجنود اليمامة. . فاستخلف باليمامة عمارة بن سلم من ولد الدول بن حنيفة وهو عمارة الطويل.

البصرة خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العاص، فبعث أخاه أُمية بن عبدالله في جيش بلغ اثني عشر ألفا لقتال أبي فُدَيك،ويذكر البلاذريُّ[1] أن جيش أبي فديك سبع مئةٍ، فتلاقى الجمعان بعد أن حرض أبو فديك قومه قائلاً: قد ترون عَدُوَّكُم والقليل المنصور خير من الكثير المخذول، فاستنصروا ربكم، واصبروا لعدوكم. ولكن الجيش البصريَّ لم يصبر أكثر من ساعة فانهزم، واستولى أبو فديك على معسكرهم، وكان فيه جارية لقائدهم أمية بن عبدالله اصطفاها لنفسه، وقد فر أمية على فرس فبلغ البصرة من البحرين في ثلاثة [2] أيام، ولما دخل عليه أهل البصرة لم يَدْرُوا كيف يكلمونه أَيهنِّئونه بالسلامة، أم يعزونه بالفرار؟ حتى دخل عليه عبدالله بن الاهتم فاستشرفوا له ثم قالوا: ما عسى أن يقول لمنهزم؟ فسلم ثم قال: مرحبا بالصابر المخذول، الحمدلله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك، ولكن الله عَلِمَ حاجةَ أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك. فقال أُمَيَّةُ: ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك [3].

وممن فر في ذالك اليوم حبيب بن عوف، وقال في فراره:

بَذَلْتُ لَهُمْ يَاقَوْم حَوْلِي وَقُوَّتِي ... وَنُصْحِي وَمَا ضَمَّتْ يَدَايَ مِنَ التِّبْرِ
فَلَمَّا تَنَاهَى ٱلْأَمْرُ بِي مِنْ عَدُوِّكُمْ ... إِلَى مُهْجَتِي وَلَّيْتُ أَعْدَاءكُم ظَهْرِي

وبوقعة مرداء [4] افتخر أبو النجم العجليُّ بقومه بني بكر، وهم قوم أبي فديك فقال:

هَلَّا سَأَلْتُمْ يَوْمَ مَرْدَاءِ هَجَرْ ... إِذْ قَاتَلَتْ بَكْرٌ وَإِذْ فَرَّتْ مُضَرْ[5]

(١) «أنساب الأشراف» - ٤٩٦ - المخطوطة الدمشقية.

(٢) «تاريخ الطبري» - ١٧٤/٦ -. (٣) «نهاية الارب» - ٣٥١/٣ -.

(٤) مرداء هجر من المواضع المجهولة الآن، وقد ذكر المتقدمون أنها قريبة من مدينة هجر ووصفوا موقعها بأنه رملة، ولا أستبعد أن يكون موقعها فيما بين (جواثا) وبين (البطّالية) التي قامت على أنقاض مدينة الأحساء القديمة.

(٥) «معجم ما استعجم» (المرداء).

ويبدو أنه عارض بقوله هذا أُرجوزة العجّاج [1] التي قالها في مدح عمر بن عبيدالله بن معمر رئيس الجيش الذي هزم قوم أبي فديك واثنى فيها على مُضَر وجاء فيها يصف قوم أبي فديك:

إِذْ حَسِبُوْا أَنَّ الجِهَادَ وَالظَّفَرْ إِيْضَاع بَيْنَ (الْخِضْرِمَاتِ) و (هَجَرْ) [2]
مُعَلِّقِيْنَ فِي الْكَلاَلِيْبِ السُّفَرْ

وقد اعتذر أمية عن فراره، كما فصل ذالك ابن جرير في «تاريخه» [3].

هَزيمة أبي فُدَيْك في وقعة الْمُشَقَّر:

كان انهزامُ جيشِ عبدالملك من الحوافز القوية لَهُ، لكي يتصدَّى لقتال أبي فُديك، فدعى عمر بن عبيدالله بن معمر، فأسند إليه رئاسة الجيش لمحاربة أبي فديك، فتعلل عمر بأنه قد لا يستجاب لطلبه ما يحتاج من العدد والعُدَّة من الرجال والمال، وأن أميري البصرة والكوفة قد لا يمكنانه من الاختيار في ذالك قائلا: إن بشر بن مروان والي الكوفة وخالد بن عبدالله والي البصرة يحولان بيني وبين ما أريد من النخبة، ولن يندبا معي إلا ضعفة الناس ممن لا يحامي على دين ولا حسب[4]، ولكن عبدالملك كتب إليه كتاباً قال فيه: إنه ليس لأحدٍ عليك سلطان، وإنّ لَكَ الخيار في انتخاب ما تشاء وكم تشاء. فسار عمر إلى الكوفة فأطلع واليها بشر بن مروان على كتاب الخليفة فترك له أن يختار من الرجال والمال، فاختار عشرة آلاف وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله، ولما أتى البصرة تعلل واليها في أول الأمر، ولكنه تراجع بعد ذالك فانتدب معه عشرة آلاف، ويقال ثلاثة عشر ألفا، وعليهم عمر بن موسى بن عبيدالله بن

(١) «ديوان العجاج» ـ من ص ٣ إلى ص ٥٨ ـ.
(٢) الايضاع ضرب من السير، والخضرمات يقصد الخضارم في منطقة الخرج.
(٣) ـ ٦/٢٠٠ ـ.
(٤) «أنساب الأشراف» ص ٤٩٦ المخطوطة الدمشقية.

موسى بن طلحة وعبّأ عمر جيشه جماعاتٍ، وجعل للقبائل قيادات خاصة، لكندة ولربيعة ولتَمِيْمٍ ولهمدان، ولمَذْحِج وللأسد وغيرهم، وسار بالناس حتى بلغ الوفرا [١]، فوجه خمس مئة فارس وطلب منهم أن يحفروا خندقا، ثم نزل منزلا آخر وأمرهم بحفر خندق، فلم يزل يصنع ذالك وتُحفر له الخنادق حتى أتى هجر ونزل جواثا في خندق، بينما أبو فديك في الْمُشَقَّر [٢]، وقد انضم إليه جمع من الأعراب بعد أن هزم أمية بن عبدالله.

ومع أن أَبَا فُدَيك حث أتباعه كعادته وكان فيما قال: قد أتاكم هاؤلاء القوم، فمن أَحَبَّ لقاء الله فليقِمْ، ومن أراد الدنيا فليذهب حيث شاء، فهو في حلٍّ، فتفرق عنه كثير من أصحابه بحيث لم يبق معه إلا ما بين التسع مئة إلى الألف. أما جيش عمر بن عبيدالله فقد بلغ واحداً وعشرين ألفا [٣].

وحدث اللقاء فأتى ثلاث مئة فارس من قوم عمر إلى خندق أبي فديك، فلحقهم فوارس من قومه حتى إذا انقطعوا بهم عطفوا عليهم، فقتلوا منهم أربعة، ثم صفَّ الناس وقَدَّمُ الرَّجَّالَة وخرج قومُ أَبِي فُدَيك فركزوا رماحهم، واستتروا بالبراذع، فقال أهل البصرة لِلرَّجَّالَةِ: حركوهم! فقال عباد: إن خلف هذه البراذع أذرعا شدادا، وأسيافا حدادا، وأنفسا سخيَّةً بالموت، وهم شادُّوْنَ عليكم شَدَّةً لا يقوم لها شيء. فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد، فكشفوا ميسرةَ عمر بن عبيدالله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب، ومعن بن المغيرة، ومُجَّاعة بن عبدالرحمن، وفرسان الناس، فإنهم مالوا إلى صَفِّ أهل الكوفة وهم ثابتون، فلما رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا، تذمموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير، حين مَرُّوا بعمر بن موسى بن عبيدالله

---

(١) الوفراء: موضع بقرب مدينة الكويت معروف اكتشف فيه حقل نفط عرف بهذا الأسم، فَعُمِرَ بالسكان.

(٢) من المواضع المجهولة الآن، وانظر عنه: «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» - قسم المنطقة الشرقية -.

(٣) «أنساب الأشراف» - ص ٤٩٦ - المخطوطة الدمشقية.

جريحاً [1] فحملوه، وشَدوْا على الخوارج حتى أدخلوهم عسكرهم، وأحرقوا فيه تَبْنًا وهاجت الريح، فأمالت الدخانَ في وجوههم فقتلوا ثمانيةً وأسروا ثلاثة [2] ـ فلما كان اليوم الثالث من هذا اليوم باكرهم أبو فديك بالقتال، فقال لأصحابه: إنْ قتلت فأميركم أبو طالوت [3]. وزحفوا جميعاً مستميتين، فشدُّوا على الناس، ونادى عباد: أيها الناس أنا عباد، فقال له غلامه الوازع: ياسيدي لاتقل باسمك فيقصدوا إليك، قال: ويحك إني إن لم أقل باسمي قدموا علي، وإنما إذا عرفوني لم يقدمْ عليَّ منهم أحد [4]، وبينما هم في معمعة القتال إذ سمعوا صارخاً يقول: صُرِع أميرُ المؤمنينَ ـ يعني أبا فديك ـ فأطافوا به، وأقبل عمر بن عبيدالله كأنه جمل هايج، قاصداً لمصرع أبي فديك، وحامى أصحابه حوله، فشدوا عليه بأسيافهم، فما انثنى حتى أخذ برجل أبي فديك فسحبه، والدم يسيل من كمه، فقال لهم: احتزُّوا رأسه. وبعد قتل أبي فديك التجأ بعض قومه بقصر المشقر، فأرسل إليهم ابن معمر فرقةً من جيشه حاصرتهم فيه حتى نزلوا على حكمه، فقتل كثيراً منهم.

ويحدد المؤرخون عدد القتلى بستة آلاف والأسرى بثمان مئة [5]، كما يحددون تاريخ الوقعة بسنة ثلاث وسبعين.

وبعد هذا الانتصار لجيش عبدالملك أرسل ابنُ معمر وفداً يحمل له البشارة، وكان في الوفد الصَّلَتَانُ العبديُّ الشاعر المعروف [6]، وكان من قوله

---

(١) «تاريخ الطبري» ـ ١٩٣/٦ ـ و «الكامل» لابن الاثير ـ ٣٦٢/٤ ـ.

(٢) ويقال ثمانية ـ وهذا الثبت وأسروا ثلاثة، البلاذري ـ ص ٤٩٦ ـ المخطوطة الدمشقية.

(٣) و (٤) المصدر.

(٥) «تاريخ الطبري» ـ ١٩٣/٦ ـ و «تاريخ ابن الاثير» ـ ٢٨/٤ ـ و «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣٢٢/٣ ـ و «تاريخ الذهبي» ـ ١١٦/٣ ـ.

(٦) اسمه: قثم بن خبية من عبدالقيس من بكر بن وائل.

في وصف المعركة:

ضَجَّتْ (جُواثَا) ولَمْ تَفْـرَحْ بِمَقْدَمِنَـا ... لَمَّـا قَـدِمْنَـا وَمَـاذَا يَنْفَـعُ الضَّجَـرُ
كَانَتْ لَنَا (هَجَـراً) أَرْضاً نَعِيْشُ بِهَـا ... فَـأَرْسَـلَ النَّـارَ فِي حَـافَـاتِهـا عُمَـرُ

وذكر البلاذريُّ قصيـدة لأعشى همدان يفتخـر فيها بِصَبْرِ الكوفيـين في هذه الوقعة أورد منها أربعة أبيات.

وبوقعة (جُوَاثَا)[١] هذه انتهت حركات العصيان في هذه البلاد، وانقادت للحكم الأموي.

---

(١) جواثا: بلدة كانت مشهورة في صدر الإسلام وبقيت آثارها، وتقع شرق مدينة (المُبَرَّز) بنحو خمسة عشر كيلاً، وانظر عنها «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ـ قسم المنطقة الشرقية ـ.

ولاة اليمامة بعد استتباب الأمر للخليفة الأموي عبدالملك بن مروان

١ - الحجاج بن يوسف الثقفي :

بعد أن قضى الحجاج بن يوسف على ثورة ابن الزبير في الحجاز سنة ٧٣ هـ ولاه عبدالملك البلاد وضم إليه اليمن واليمامة، فأقام الحج تلك السنة وهو وال على هذه الاقاليم[١].

وقد استمرت ولاية الحجاج إلى سنة ٧٥ هـ.

٢ - يزيد بن أبي هُبَيْرَة المحاربي :

ذكر خليفة بن خياط أن يزيد بن هبيرة كان والياً على اليمامة ثم من بعده إبراهيم بن عربي حتى مات عبدالملك[٢].

وينبغي التفريق بين يزيد بن أبي هُبَيْرَة المحاربي وبين يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة الفزاري، فالأول من قبيلة محارب والثاني من قبيلة فزارة، والأخير هذا ولد في عهد متأخر، وممن لم يلاحظ التفريق بينهما الدكتور صالح بن سليمان الوشمي[٣].

٣ - إبراهيم بن عربي :

تولّى اليمامة في عهد عبدالملك بن مروان، وامتدت من سنة ٧٦ هـ إلى سنة ٩٦ هـ، ثم أقره الوليد بن عبدالملك في الولاية[٤] حتى عزله سليمان بن عبدالملك ولكنه أعيد إلى الولاية في عهد يزيد بن عبدالملك واضيفت إليه ولاية البحرين وسيأتي الكلام عنه مفصلاً.

---

(١) «تاريخ ابن جرير» - ٦/١٧٤ -.

(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» - ٢٩٨ - الطبعة الثانية - تحقيق العمري.

(٣) انظر: «ولاة اليمامة» - ص ١٠٧ -.

(٤) «تاريخ خليفة بن خياط» - ص ٣١١ -.

٤ ـ سفيان بن عمرو العقيلي :

كان ابن عربي يترسم سياسة الحجاج في ولايته، وكان ذا صلة به، وكان الحجاج ممن أشار على الوليد بن عبدالملك بعدم تولية سليمان أخيه، وأن يجعل ولاية عهده لابنه، فحقد سليمان على الحجاج وعلى من له به صلة كابراهيم وقتيبة ابن مسلم وغيرهما، ومن هنا عزل ابراهيم بن عربي عن اليمامة وولاّهَا سفيان بن عمرو العقيلي(١) من سنة ٩٦ هـ إلى سنة ٩٩ هـ.

٥ ـ نوح بن هُبَيْرة :

عَدَّه خليفة من ولاة اليمامة في عهد سليمان بن عبدالملك.

ولما تولّى الخلافة عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أراد اختيار من يسند إليهم الأعمال في البلاد من ذوي الصلاح فكان من ولاته في اليمامة.

٦ ـ زرارة بن عبدالرحمن :

ذكر خليفة بن خياط في «تاريخه» أنه والي اليمامة في عهد عمر بن عبدالعزيز(٢) ولعله زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن فهو من رواة الحديث الثقات.

٧ ـ عمرو بن عبدالله الأنصاري :

وهذا من ولاة عمر بن عبدالعزيز، وهو عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة محدث تابعي ذكره ابن حبان في الثقات، روى عنه مسلم عن عمه أنس بن مالك حديثاً في تكثير الطعام، واستعمله عمر بن عبدالعزيز على عُمَان(٣)، وذكر أبو زرعة أنه كان عامل عمر بن عبدالعزيز على اليمامة(٤).

---

(١) «تاريخ الخليفة»

(٢) المصدر السابق ـ ٣٢٣ ـ.

(٣) «تهذيب التهذيب» ـ ٨/٦٣ ـ.

(٤) «تاريخ أبي زرعة» ـ / ١ ص ٦٥٢ ـ.

وذكر ممن روى عنه الأوزاعي، ومعروف أن الأوزاعي قدم اليمامة في بعث من الجند فروى عن عالمها يحيــى بن أبي كثير وغيره.

٨ ـ المهاجر بن عبدالله الكلابي:

قال خليفة بن خياط عن اليمامة في عهد هشام بن عبدالملك: ولَّاهـا هشام المهاجِرَ بن عبدالله من بني أبي بكر بن كلاب، فمات المهـاجر فـولاها ابْنَـهُ حتى قتل الوليد[١].

٩ ـ علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي:

تولى من قبل والي العراق يوسف بن عمـر الثقفي[٢]، وفي عهده ثـار أهل اليمامة بعد قتل الوليد بن يزيد قال ابن الأثير: لما قتل الوليد بن يـزيد كـان على اليمـامة عـلي بن المهاجـر استعمله عليهـا يـوسف بن عمـر فقـال لـه المهـير بن سُلْمِي بن هلال أحد بني الدوْل بن حنيفة: اتـرك لنا بـلادنا. فـأبى، فجمع لـه المهير، وسار إليه وهو في قصره بقاع حَجْرٍ، فالتقوا بالقاع فانهزم عـلي حتى دخل قصره، ثم هرب إلى المدينة، وقتل المهير ناساً من أصحابه، وكان يحيــى بن أبي حفصة نهى ابن المهاجر عن القتال فعصاه فقال:

بَــذَلْتُ نَصِيْحَتِيْ لِبَـنِي كِـلَابِ   فَـلَمْ تَقْبَــلْ مَشُــوْرَاتِي ونُـصْحِـي
فِـداً لِبَنِيْ حَنِيْفَـةَ مَنْ سِـوَاهُـمْ   فَـإِنَّهُمْ فـوارسُ كُـلِّ فَـتْـحِ

وقال شقيق بن عمرو السَّدُوْسي:

إِذَا أَنْتَ سَــأَلْتَ الْمُهَــيْرَ ورَهْــطَهُ   أَمِنْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ والْخَوْفِ والذُّعْرِ
فَتًى رَاحَ يَـوْمَ الْقَاعِ رَوْحَـةَ مَـاجِـدٍ   أَرَادَ بِهَـا حُسْنَ السَّمَاعِ مَعَ الْأَجْرِ

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ٣٥٩/ ٣٦٧ ـ.

(٢) «الكامل» لابن الأثير ـ ٤/ ٢٧٢ ـ.

وهذا يوم القاع، وتأمر المهير على اليمامة، ثم إنه مات واستخلف على اليمامة عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدُّوْل، فاستعمل عبدالله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الْفَلَجِ .

وحدثت وقعات بين بني حنيفة وبين أهل الفلج (الأفلاج) سيأتي الكلام عنها مفصلاً.

١٠ ـ المثنى بن يزيد بن عمر بن هُبيرة:

عينه أبوه عمر بن هُبَيْرَة وكان والياً على العراق لمروان آخر خلفاء بني أمية، والمثنى من فزارة وهي من بني قيس عيلان، ولهذا مال مع سكان الأَفْلاج، قال ابن الأثير[١] : فتعصب المثنى لأنه قيسي لبني عامر فضرب عدة من بني حنيفة وحلقهم فقال بعضهم:

فإنْ تضربونا بالسياط فإننا ... ضربناكمُ بالمرهفات الصوارم

وان تحلقوا منا الرؤوس فإننا ... قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم

وقال ابن جرير[٢] في حوادث سنة ١٣٣ ـ عما كان من أحداث أبي العباس السفاح ـ: ثم وجه زيادَ بن عبيدالله بن عبدالمدان الحارثي، وقد وَلّاه على المدينة ومكة والطايف واليمامة، وَوَجَّهَ زِياد من المدينة ابراهيم بن حسّان السلمي ـ وهو أبو حماد الأبرص ـ إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة وهو باليمامة فقتله، وقتل أصحابه.

---

(١) «الكامل» لابن الأثير ـ ٢٧٢/٤ ـ.

(٢) «تاريخ ابن جرير» ـ ٤٥٩/٧ ـ.

أول والٍ لليمامة (نَجْد) بعد استقرار الحكم

لا تُمِدُّ المصادر التي بين أيدينا الباحث بالكثير مِمَّا يتطلع إليه لمعرفة أحوال أمراء هذه البلاد في هذا العهد، وإنما يجد لمحات وإشارات مقتضبة قد يتلمس بها طريق سيره، ولهذا لم تفصح تلك المصادر عن أول والٍ لليمامة (نَجْد) بعد استقرار الحكم الأموي في عهد عبدالملك بن مروان بعد القضاء على الثورات التي انتشرت في البلاد قبل قيامه، ولولا أن خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ـ وهو من أقدم المؤرخين ـ كان ممن عُني بذكر الولاة في عهد الدولة الأموية لجهل الكثير منهم، ولهذا نجده وهو يتحدث عن ولاة عبدالملك سنة وفاته، فيورد من عرف منهم ثم يقول[1]: (اليمامة يزيد بن هُبَيرة، ثم إبراهيم بن عَرَبِيٍّ الليثي، حتى مات عبدالملك). انتهى، ومفهوم كلامه أنَّ يَزيد أول من تَولَّى تلك البلاد في الحقبة المذكورة.

وحين يتتبع الدارس ما بين يديه من مصادر قد لا يجد لهذا الوالي ذِكْراً، باستثناء مصدر واحد لم يتمكن الباحثون حتى الآن من الاستفادة منه كاملاً، وهو كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري، فقد ذكر هذا الوالي في مواضع منه، منها قوله في ترجمة عبدالملك بن مروان[2]: ثم ولَّى عبدالملك المدينةَ أبانَ بنَ عثمان، وولى عبدُ الملك اليمامةَ يَزيدَ بن هُبَيْرة الْمُحَارِبِيَّ، ثم إبراهيم بن عربي.

وقال في الكلام على نسب قبيلة محارب بن خصفة ـ وهذا من القسم الذي لم يطبع بعد، ما نصه: منهم يزيد بن هُبَيْرة بن أُقَيْش بن جَذِيْمَة بن كُلْفَة بن خُفَاف بن مُعَاوية بن مُرّ بن بكر[3] ـ وكان شريفاً ـ وقد ولي ولايات، وهو أبو دَاوُوْد الذي يقول له عبدالله بن الحجاج الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد بن

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٢٩٨ ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ.

(٢) ـ ج ١١ ص ١٨٩ ـ تحقيق وليم أهلورد.

(٣) وبكر هو ابن عميرة بن علي بن جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

ذبيان[1]:

لِتَذْهَبْ إلىَ أَقْصى مَنَادِحِها جَسْرُ ... فَلَيْسَ إِلَيْهَا في مُبَاعَدَةٍ فَقْرُ

رأيتُ أَبَا دَاوُوْد في مُحْدَثَاتِها ... زَعِيماً على قَيْسٍ لَقَدْ أَبْرَحَ الدَّهْرُ

يَقُودُ الْجِيَادَ الْمُسْبَقَاتِ كَأَنَّمَا ... نَمَاهُ زُهَيْرٌ لِلرِّيَاسَةِ أَوْ بَدْرُ

وولي يزيد بن هُبَيْرة اليمامة لعبدالملك بن مروان، وله يقول جرير بن عطية بن الخطفا[2]:

وأرى الْإِمَامَ إذَا تَبَيَّنَ نَاكِثاً ... أَوْ نَاكِثِيْنَ رَمَاهُمُ بِيَزِيْدِ

وله يقول الأشهب بن رُمَيْلَة[3]:

أَبْلِغْ أَبَا داوود أَنِّي ابْنُ عَمِّهِ ... وأَنَّ الْبَعِيْثَ مِنْ بَنِي عَمٍّ سَالِمِ

أَيُوْلَجُ بَابُ الْمَلْكِ مَنْ لَيْسَ أَهْلَهُ ... وَرِيْشُ الذُّنَابَى قَبْلَ رِيْشِ الْقَوَادِمِ

سالم حاجب يزيد بن هبيرة، فجعل البَعِيْثَ مثله، وقال فيه ابن أقرم النُّمَيْرِيُّ شعراً لم نثبته، وكان في جيش أبان بن مروان، وكان أبو داوود مكيناً عنده، فخرج من غير أن يشفع فيه، وكان سأله ذالك. انتهى، والجملةُ الأخيرة غير واضحة، ولعل مما يزيدها إيضاحاً قول البلاذري فيما تقدم من الكتاب[4]: وأما أبان بن مروان فولي فلسطين لأخيه عبدالملك، وكان الحجاج بن يوسف على شُرَطِهِ، وهو الذي يقول فيه ابنُ أَقْرَمَ النُّمَيْرِيُّ، وكان أبان أخذه فأفلت منه:

---

(١) هو عبدالله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جِحاش بن بَجَالَة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان «جمهرة النسب» ـ ٤٢٧ ـ وانظر أخباره في: «الأغاني» ـ ١٣/ ٤٥٩ ـ.

(٢) «ديوان جرير» ـ ص ٧٠١ ـ تحقيق الدكتور نعمان طه، ولم يرد في الديوان غيره.

(٣) الأشهب بن رُمَيْلَةَ وهي أمه، أبوه ثور بن أبي حارثة بن عبدالمنذر بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك التميمي «جمهرة النسب» ـ ٢٠٧ ـ وانظر: «طبقات فحول الشعراء» ـ ٧/ ٤٩ ـ والبعيث لقب واسمه خِدَاش بن بشر من بني مجاشع من تميم سيأتي ذكره وقد ورد البيتان منسوبين للفرزدق (ديوانه ص ٨١٨ ط. الصاوي) وقبلهما وقال لأبي داود يزيد بن هبيرة المازني.

(٤) ـ ج ٥ ص ١٦٦ ـ.

طَـلِيْـقُ اللهِ لَمْ يَمْـنُـنْ عَـلَيْـهِ   أَبُــو داوودَ وابْــنُ أَبِي كَـبِــير

أبـو داوود يزيـد بن هبيرة المحـاربي، وابن أبي كبير رجـل من ولد أبي كبـير المُنْهِبِ بن عَبْد بن قُصَيٍّ بن كلاب. انتهى، فكأن الأمر يتعلق بهذا الشاعر.

ومما ذكر البلاذري عن هذا الوالي لما قدم إلى اليمامـة أميراً عليهـا بعد قتـل مصعب بن الزبير من قبل جيش عبدالملك بن مروان، خرج عليه خارجي يقـال لـه سَوَّارُ بن عُبيـد، فخرج إليـه بـأهـل اليمـامـة فقتله. وأنـه تـزوج امـرأة من آل قيس بن عـاصم، فـأُدْخِلتْ عليـه، وقـد أُلْبِسَتِ القصب والثيـاب الـرقـاق فقال[١]:

لَـلِبْسُ عَـبَـاءَةٍ وتَـقَـرُّ عَـيْـنِي   أَحَـبُّ إِلَيَّ مِنْ لِـبْسِ الشُّـفُـوْفِ
وَبَـكْـرٌ يَتْـبَـعُ الْأَظْعَـانَ صَـعْبٌ   أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنْ بَـغْـلٍ زَفُـوْفِ
وَبَـيْـتٌ تَخْـفِـقُ الْأَرْوَاحُ فِـيْـهِ   أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنْ قَصْرٍ مُـنِـيْـفِ

وولى بعده ابراهيم بن عربي.

وأورد البلاذري[٢] في موضع آخر من كتابه ما نصه: وقالت امرأة من ولـد طِلْبَةَ تزوجها يزيد بن هُبَيْرة المحاربي أو غيره وحملها إلى اليمامة:

لقـدْ كُنْتُ عَن حَجْرٍ بَعِيْداً فَسَاقَنِي   صُروفُ النَّوَى والسَّابقَاتُ إلَى حَجْرِ
يَقُـوْلُـوْنَ فَـرْشٌ مِنْ حَـرِيْـرٍ وإنَّمَـا   أَرَى فَرْشَهُمْ عِنْدِي كَحامِيَةِ الجَمْـرِ
وإنِّي لأَسْـتَحِيِي تَمِـيْـماً وغَيْـرَهَـا   لإِنْكَـاحِهِمْ إيَّـايَ عِنْـدَ بني جَسْرِ

وينبغي التفـريق بين يَـزِيد هـذا، وبين سَمِيِّـهِ يـزيـد بن عمـر بن هُبَيْـرة الفزاري، الوالي الأموي الذي قتل في أول عهد بني العباس، فهذا فزاريٌّ وذاك

---

(١) لعله تمثل بهذه الأبيات فقائلتها: ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية بن أبي سفيـان ـ انظر تـرجمتها في: «تـاريخ دمشق» لابن عساكر ـ قسم النساء ـ.

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ج ١٢ ص ٣١٩ ـ مخطوطة دار الكتب.

محاربي، وهذا الفزاري كان ذا شهرة في عصره، بحيث يلقب بـ (شيخ العرب) وخطب إليه هشام بن عبدالملك، ابنته لابنه معاوية بن هشام، فأبى أن يزوجه [1]، وكان والياً على العراق، فولى ابنه المثنى على اليمامة، فلما قُتِل امتنع المثنى باليمامة، فوجه إليه زياد بن عبدالله بن عبد الْمَدَان - والي مكة والمدينة، والطائف واليمامة من قبل السفَّاح - وجَّهَ إليه إبراهيمَ بن حسان السُّلَمِي، أبا حماد الأبرص، فقتله وقتل أصحابه [2].

وممن لم يفرق بين ابن هُبَيْرة المحاربي وابن هُبَيْرة الفزاري صاحب كتاب «ولاة اليمامة» [3] فقد قال: وذكر خليفة بن خياط من ولاة عبدالملك بن مروان على اليمامة قبل إبراهيم بن عربي يزيد بن هُبَيْرة. ولم أعثر على أخبار لولايته اليمامة في هذه الفترة، وتبين لي أن يزيد بن هُبَيْرة ولد عام ٨٧ هـ/ ٧٠٥ م أي بعد وفاة عبدالملك بن مروان بسنةٍ، ويزيد بن هُبَيْرة لا يردُ له ذكر في خلافة بني أمية إلَّا عند آخرهم مروان بن محمد حيث جمع له العراقَيْن. انتهى.

ويبدو أن يزيد بن هُبَيْرة كان ذَا معرفةٍ باليمامة وأحوالها، يتضح هذا أن عشيرته وهم بنو جَسْرِ بن محارب كانوا حلفاء في بني ربيعة بن عامر بن صعصعة على ما ذكر البلاذري [4]، وبنو عامر هاؤلاء إخوة بني كعب بن ربيعة، الذين منهم بنو عُقَيْلٍ، سكان العَقِيق (وادي الدواسر) وبنو جعدة، وبنو قشير سكان إقليم الأَفْلَاج، وبنو العجلان وغيرهم من الفروع المنتشرة في جنوب اليمامة، ولا شك أن حلفاءهم بني جَسْر بن محارب كانوا يقيمون بجوارهم، وأنهم انتقلوا من قومهم التي كانت بلادهم في عالية نجد غرب وادي الْجَرِيب بقرب

---

(١) «تاريخ ابن جرير» - ٣/٣٣ و ٧١ - حوادث سنة ١٣٢.

(٢) المصدر السابق - ٦/١١٢ - و «الكامل» لابن الأثير - ٤/٣٤١ - و «تاريخ الإسلام» للذهبي - ٤/٣٤١ - و «العبر» لابن خلدون - ٣/٣٧٩ -.

(٣) - ص ١٠٧ -.

(٤) في الكلام على نسبهم في القسم الرابع الذي لم يطبع. وانظر لصلة بني جسر بن محارب ببني ربيعة بن عامر بن صعصعة (مجمهرة خداش بن زهير) في «جمهرة اشعار العرب».

إخوتهم في النسب من بني سُلَيْم، وفروع غطفان وغيرهم - انتقلوا بقرب بلاد حلفائهم من بني عامر في اليمامَة.

والظاهر أن مدة ولاية يزيد كانت قصيرة، وأن عبدالملك بن مروان رآى أن يَكِل ولاية اليمامة إلى إنسان يكون أقوى آصِرَةً من يزيد، وأكثر صلة به، فقد كانت اليمامة ولا تزال في عهد عبدالملك مطمحاً لكثير من بني أمية من عهد معاوية، فمروان فمن بعده، من حيث الاستفادة من خيراتها بعمرانها بالزراعة، ولا سيما منطقة (الخضارم) في الْخَرْج، التي سبقت لمحات موجزة عن عمرانها القديم، منذ عهد معاوية، وفي عهد عبدالملك مكَّنَ مواليه من آل أبي حَفْصَةَ من الاستقرار فيها، حتى وَلَّى فيها على اليمامة كلها صاحب ديوانه إبراهيم بن عربي، ولعل ذالك حين استقام الأمر لعبدالملك سنة ٧٤ هـ بعد أن قَضَى على ما حدث في المملكة من اضطراب، فكان أن اتجه لإصلاح الأمور الإدارية لاختيار ولاة الاقاليم ممن يثق بولائِهِم وإخلاصهم للبيت الأموي، ولقد عرف عبدالملك بإبراهيم بن عربي وفاءه وولاءه لذالك البيت منذ عهد جدته التي أرضعت مروان، ثم حمته أُمُّهُ من الثوار في عهد عثمان بن عفان، حيث أخفته في بيت القراطيس بعد أن طُعِن، ثم كان من إبراهيم ما كان في إسعاف الوليد وحمايته من القتل، أثناء المصاولة مع عمرو بن سعيد الأشدق، فعرف فيه عبدالملك من الإخلاص، ومن الكفاءة والمقدرة، أثناء قيامه برئاسة ديوانه ما حمله على أن يوليه اليمامة (نجداً) وأن يطلق يده في تلك الولاية.

وقد يتساءل القارئ: ولماذا عين ابن هبيرة هذا الوالي الذي من قبيلة لا تربطها باليمامة وسكانها سوى رابطة الحلف مع العامريين؟ والجواب: أن الأمويين ساروا على سياسة إسناد ولاية كل قطر من الأقطار في الغالب إلى غير أَهْلِهِ، باستثناء الحرمين الشريفين في بعض الفترات لقوة صلتهم بأهلهما، ولهذا

فلا يستغرب أن يعين مُحَارِبِيٌّ حليف لبني ربيعـة العامـريين عـلى ولاية اليمـامة، ومعـروف ما بـين العامـريين وبـين سكان اليمـامةمن بني حنيفـة، وغيـرهم من أسباب الخلاف، التي كثيراً ما كانت سبباً في ايقاد نار العـداوة والبغضاء، وليس خبر وقعة (المجازة) التي هزم فيها العامريون ببعيد عن الذهن.

ومن هنـا فإن تعيـين ابن هُبَيْرة واليـاً على اليمـامة يتفق مـع مـا سـار عليـه الأمويون الذين كانوا ينظرون إلى سكـان هذه البـلاد بصفة عـامة نـظرة تنم عن كراهة لمواقفهم مما حـدث من الثورات التي وقعت بـين عهد معـاوية وبـين عهد استقرار الأمر لعبد الملك بن مروان.

ولاية ابن عربي على البلاد

من هو ابن عربـــي؟

مـا أحرصني عـلى أن تكون هـذه الصورة التي أقـدمها لإبـراهيم بن عـربي واضحةَ المعالم، بارزة السمات، ولكن مصادر التاريخ التي لدي تبخل عليَّ فـلا تمدني إلَّا بإِشارات مقتضبة عن حياة ذالك الوالي.

ولولا أن الشعر ـ وهو ديوان العرب ـ حفظ فيها حفظ طرفاً من أخباره، وأن من أثر معاصرته للشاعرين الفحلين الفرزدق وجرير أنهما ذكراه في شعرهما لَنُسيَ ونسيتْ أخبـاره، ككثيـرين غيـره من ولاة هـذه البـلاد، وإذا كـان الحـافظ ابن عساكر ـ مؤرخ الشام، ذو الحفاوة البالغة بـإيضاح أحـوال كل من دخـل مدينـة دمشق حسب علمه ـ لم يذكر عن ابن عربي في مؤلفه الحافـل «تاريـخ دمشق»[1] إلَّا قوله: ابراهيم بن عدي[2](؟) ذكر أبو محمد عبدالله بن سعد القطربـلي، فيما قـرأته بخـطه قال: روى الْعُتْبِيُّ قـال: حدثني أبي، عن عـوانة عن إبـراهيم بن عدي (؟) قال: رأيت عبدالملك بن مروان، وأتته أمور أربعـة في ليلة، فما رأيتـه تنكَّر ولا تغير وجهه، قَتْلُ عبيدِالله بن زياد بالعراق، وقَتْلُ حُبَيْش بن دلجة القيني بالحجاز، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم، وخـروجُ عَمْرِو بن سعيـد إلى دمشق. انتهى، والحافظ ابن عساكر هُوَ هُوَ في الحفظ وسعةِ الاطلاع، والحرص على أن يسجل لمن يترجمهم ممن دخلوا مدينة دمشق كُلَّ ما يصل إلى علمه عنهم ـ إذا كان هذا موقف هذا المؤرخ الذي قد يجـود على بعض من يتـرجمهم بعشرات الصفحات، فكيف بغيره من المؤرخين، الذين هم أقل منه اهتمـاماً بـرجال بني أمية المجهولين، وهو مع ذالك قد ذكر عرضاً في ترجمة الْبَعِيْثِ الشاعر قِصَّتَـهُ مع

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» ـ ج ٢ ـ ورقة ٢٣٦ مخطوطة الظاهرية (٣٣١٧ تاريخ) ومثله في المختصر المطبوع.

(٢) يـرد هذا الاسم مصحفاً في كثير من الكتب فمـرة يصحف إلى (عدي) ويكـثر ذالك، وأخـرى (العرى) وثـالثـة (عـزيـز) وهكذا.

ابن عربي، وهِجَاءَه إيَّاهُ، أفتراه ظنَّ أَنَّ ابنَ عـربيٍّ الْمَهْجُوَّ غـيرَ ابن عديٍّ الـذي نقل عنه القصة، وأنه أهمِلَ ابنَ عربي واليَ اليمـامة، فلم يتـرجمه وهـو أشهر من رجل لا يعرف من حاله سوى معاصرته لعبدالملك، ووصفه له بالرزانة والجلد، الذي أفرد له تلك الترجمة الموجزة؟ لا ليس الأمر كذالك بـل إنَّ ابن (عدي) في تاريخ الحافظ ابن عساكـر الذي روى عنـه خبر عبـدالملك هو ابن (عـربي) والي اليمامة، الذي ساق خبره مع الْبَعِيث الشاعر، وقد تصحف اسمه عليـه أو على من تقدمه، أو من جاء بعده. و (ابن عربي) ممن دخل دمشق مراراً، بل أقـام بها في أول عهد عبدالملك، ولكنه لم يترجم في «تاريخ دمشق» أكثر مما ذكرت.

لقد كان الحكم الأمويُّ في أول عهده بحاجة إلى استعمال كل الوسائل التي تثبت دعائمه، وكانت البلاد في أعقاب ثورة جعلت الأمويين ينظرون إليها نظرة كراهية ونفور، لاعتقادهم بعدم إخلاص أهلها للحكم الجديد.

يقـول ابن سلاَّم[1]، وبعـده البـلاذريُّ[2]: كـانت قَيْسُ زُبَيْـرِيَّـةً، وكـان عبدالملك ثقيل النفس عليهم. ومعروف أن قبائل قيسٍ هم أغلب سكان نجـد في ذالـك العهد، ولهـذا فلابُـدَّ لهذا الحـاكم الأموي الجـديـد من استعمـال مـا يستطيع استعماله من وسائل القوة لتثبيت الحكم الجديد.

ولقد أزالت الدولة الجديدة أقوى رابطة بينها وبـين القبائـل النجديـة بطرق مختلفة، منها اعتمادها على العنصر القحطاني، من ألفافِ القبائل التي كانت تمتد بلادها من شمال الحجاز حتى بلاد الشام ـ كما تقدم إيضـاح هذا ـ ومنهـا محاولـة إضعاف القبائل العدنانية كإزالة نفوذ شيوخهـا بعدم الاعتمـاد عليهم في معرفـة أحوالها، واسناد أمورها إلى (عرفاء) تختارهم الـدولة نفسهـا، إلى أن عمدت إلى

---

(١) «طبقات الشعراء» ـ ٥/٣١٩ ـ.

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ٥/٣١٩ ـ.

اختيار والٍ لتلك البلاد لا تربطه بها أية صلة، ثم هَيَّأَتْ له مختلفَ الوسائل من مال وجند وقوة، وأطلقت له حرية التصرف في أموره كما يشاء. وكانت تلك الدولة تختار لولاتها جُنْداً من أهل الشام[1]، لتقطع بذالك كل أثر من آثار الصلة بين الجند وبين أهل البلاد، من تعاطف ورحمة.

لا غَرْوَ والحالة كما أَوْضَحْتُ ـ أن يتمكن إبراهيم بن عربي من تثبيت الحكم الجديد في بلاد حديثة العهد بمثل ذالك الحكم، لم تَنْقَدْ يوماً مَّا لأي حكم من نوعه ممن يأخذها بالعنف والشدة.

ولا غَرْوَ أنْ يمتد حكم ابن عربي زمناً طويلاً يدل على رضا سادته عنه، بل يدل على مقدار ما له من آثار، وأعمال بارزة في توطيد دعائم ملكهم، حتى نال من ثقتهم به، ومن رضاهم عن أعماله ما مكنه من حكم تلك البلاد قرابة ثلث قرن من الزمن، في فترات متقطّعة، ولكنَّها حقبة تعد طويلة إذا قورنت بأزمان ولاة بني أمية في مختلف أقاليم مملكتهم.

ابن عربي وأسرته:

هو: إبراهيم بن عبدالرحمن بن نافع بن عربي بن مُنْكِث[2] الكناني، قال البلاذري[3]: اسم عربي عبدالرحمن، وهو من قوم يدعون عُبَيْدَ الرِّمَاح، من معدِّ بن عدنان، ولكنهم دخلوا في بني مالك بن كنانة بن خزيمة، فانتسبوا فيهم، وَعَدَّهُ خليفة بن خياط لَيْثِيًّا، وبنو ليث من كنانة ولكنهم ليسوا من بني مالك بل من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، والخُلْفُ في هذا سَهْلٌ إذا صحت النسبة إلى كنانة، ولكن سيأتي ما يضعفها، فابن الكلبيِّ ـ وهو إمام علماء النسب ـ لا يراه

(١) «الأغاني» ـ ١٩/ ٤١ ـ.
(٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي، و «شرح ديوان الفرزدق» ـ ٦٣٩ ـ طبعة الصاوي.
(٣) «أنساب الأشراف» ـ ج ١ ص ٢٢ ـ.

أصيلاً في بني مالـك بن كنانـة، إنه حـين يتكلم عن فروع ولـد معدّ بن عـدنان يذكر فيهم (عُبَيْدَ الرِّمَاحِ) ولا يصل نسبهم بـل يقول[1]: وهم في كنـانة، رهط إبـراهيم بن عربي، وابن حـزم ـ وهو ينقـل عن ابن الكلبي وغيـره يـزيـد هـذا إيضاحاً حين يورد ذكر نسبة بني عُبَيْدِ الرِّمَاح إلى معد بن عدنان بصيغة تدل على عـدم الثقة فيقـول:[2]وقيـل :وَعُبَيْـد الـرِّمَـاح بن معـد، ذُكِـرَ أنهم دخلوا في بني مـالك بن كنـانة، وفي «أدب الخـواص»[3] : وعبيد هـاؤلاء انقسموا فـرقتين: ففـرقة دخلت في مُـزَيْنَةَ، وفـرقة دخلت في كنـانة، وضبط ابن حَجـر في «تبصير المنتبه»[4] عُبَيْد ـ بضم العين، والرِّمَاح ـ بكسر الراء وتخفيف الميم ـ.

ومع انتساب إبـراهيم بن عربي إلى كنـانةَ فـإنَّه كـان مغموز النسب، روى صاحب «الأغاني»[5] : أن يحيـى بن أبي حَفْصَـة تزوج بنت زيـاد بن هَوْذة بن شمَّـاس من بني أَنْفِ الناقـة من تميم، فاستعـدى عَمَّاهَـا عبـدالملك بن مـروان وقالا: أينكح إبراهيم بن عربي وهو من كنانة وهو منك بِنْتَنَا وينكـح هذا العبـد هـذه؟ فقال عبـدالملك: بل العبـد بن العبد ـ والله ـ إبـراهيم بن عربي، وكـان مغمـور النسب في الإسـلام، وأن هـذا لأَشْـرَفُ منـه، وإن لأبيـه من البـلاءِ في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما!!

ونكاح ابن عربي في بني تميم ذكره البلاذري[6] فقال: فتزوج إبـراهيم ابنةَ طلبَةَ بن قيس بن عاصم التميمي المِنْقَرِيِّ، وكان عبـدالملك قد ولى إبـراهيم بن عربي اليمامة وأعمالها، فأوفد إبراهيم مقاتلَ بن طلبة بن قيس، أخا امرأته، إلى عبدالملك، ومعه أشراف من تميم، وعامر بن صعصعة، وكتب إلى الحَجَّـاب أن

(١) «جمهرة النسب».
(٢) «جمهرة أنساب العرب» وانظر: «نهاية الأرب» للنويري ـ ج ٢ ص ٣٠٩ ـ.
(٣) ـ ٦٣ ـ. ط دار اليمامة
(٤) ـ ٦٣٢ ـ.
(٥) «الأغاني» ـ ٩/٢٦ ـ الساسي.
(٦) «أنساب الأشراف» ـ ج ١ ص ٢٢ ـ.

يُحسنوا إذْنَهُ ويقدموه، فأذن له أول الغد[1]، فلما دخل على عبدالملك أدناه وأكرمه فقال:

وَفَضَّلَنِي عِنْدَ الْخَلِيْفَةِ أَنَّنِي عَشِيَّةَ وَافَتْ عَامِرٌ وتَمِيْمُ
وَجَدْتُ أَبِي عِنْدَ الإمَامِ مُقَدَّمَا لِكُلِّ أُنَاسٍ حَادِثٌ وقَدِيْمُ

وقال رجل من بني عَبْشَمْسٍ بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

لَوْلَا حِرٌ قَدَّمْتَهُ لِابْنِ مُنْكِثٍ مُقَلَّمُ نَابِ الإِسْكَتَيْنِ أَزُوْمُ
لَمَا كُنْتَ عِنْدَ الْبَابِ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَشِيَّةَ وافَتْ عامِرٌ وتَمِيْمُ

قال: واسم عربي عبدالرحمن، وتزوج إبراهيمُ ابنةَ عبدالرحمن بن سُهَيل بن عبدالرحمن بن عوف، ولإبراهيم عقب. انتهى.

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ ما في اسم (عربي) من غرابة، تزول عند إدراك أن هذا كان معروفاً عند العرب. قال ابن الوزير المغربي في كتاب «أدب الخواص»[2]: وقد سَمَّوْا بعربي كما سَمَّوْا بِرُوْمِي، وفي ضَبَّةَ شاعر مُحْسِنٌ يقال له رُومِيُّ بن شريك، وفي بني عبدالدار أبو الروم عبدمناف بن عمير العبدري، وممن اسمه عربي: عربي بن مُنْكِث أحدُ بني عُبَيْد الرِّمَاح بن معد بن عدنان ـ إلى أن قال ـ: وقد كان في التابعين رجل يقال له أبو سلمة بن عربي البصري، والنضر بن عربي أيضاً حَرَّاني يروي عن عكرمة، وحسين بن محمد بن عربي من أصحاب شعبة، وغير هاؤلاء ممن لم نعمد لإحصاء اسمه. انتهى. وفي المتأخرين ابن العربي الفقيه الأندلسي المشهور، وابن عربي الصوفي من دعاة الاتحاد والحلول.

---

(١) كذا في المطبوعة ولعل الصواب (في أول الوفد).
(٢) ـ ٨٩ ـ. ط دار اليمامة

أم إبراهيم بن عربـي:

وأم إبـراهيم هي فـاطمـة بنت شَـرِيـك بن عَبَـدَة بن مغيث بن الجَـدِّ بن العجلان الْبَلَوِيِّ، المعروف بشَرِيك بن سَحْماء - وهي أمه - وهو صحابي لـه ذكر في «الصحيحـين» عن ابن عباس أن هـلال بن أمية قـذف امرأتـه بشـريـك بن سحـماء، فكان هـذا أول لِعَانٍ في الإسـلام، فنزلت الآيـة الكريمـة: ﴿ وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ وكـان شَرِيـكُ أحدَ أُمَـرَاءِ الجيوش في فتـح بلاد الشـام، في عهد الخليفة أبي بكـر الصديق، وبعثـه إلى خالـد بن الوليـد لما كـان في اليمامـة ليتوجه إلى العراق، وأرسلهُ عُمر بن الخطاب إلى عَمْرو بن العاص ليغزو مصر. وَجَدُّ فاطمة عبدةُ بن مُغيث صحابي أيضاً شهد وقعة أحد [1] .

وبنـو العجلان البلويـون يُنْسبـون إلى العجـلان بن حـارثـة بن ضُبَيعـة بن حَـرام بن جُعَـل بن عمــرو بن جشم بن وَدْمٍ بن ذُبْيَـان بن هُمَيم بن ذهــل بن هَنِيء بن بَلِيٍّ، وهم بطن مع الأنصار في المدينة، حلفاء في بني زيد بن مـالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

ومن بني العجلان [2] : معن بن عدي بن الجـد بن العجلان شهـد بدْراً، وعـاصم بن عدي بن الجـد شهد بـدراً، وضَرب لـه الرسـول - صلى الله عليـه وسلم - بسهمه، وكان كُسِرِ به في الرَّوْحَـاءِ فردَّهُ، وعبـدة بن مغيث بن الجد بن العجلان شهد أحداً، وابنه شَرِيك الذي يقال له ابن سَحْمَاء، هو الذي كان فيه اللِّعَان. انتهى.

وقبيلةُ بَـلِيٍّ التي منهـا شَـرِيـكُ جَـدُّ إبـراهيم بن عــربي لِأُمِّـهِ - هي القبيلة

---

(١) انـظر ترجمة شريـك في «الاستيعاب» لابن عبـدالبر، و «أسـد الغابـة» لابن الأثـير، و «تـاريـخ دمشق» لابن عسـاكـر» و «الاصابة» لابن حجر.

(٢) «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي - ٣٠٠ - مخطوطة راغب باشا في اصطنبول.

القضاعية القحطانية التي لا تزال معروفة في بلادها عند ظهور الإسلام، في شمال الحجاز ـ كأخواتها من فروع قضاعة، المنتشرة من غرب المدينة حتى بلاد الشام، وَبَلِيٌّ في منطقة (الوجه) ونواحيها.

صفاته الخَلْقِيَّة:

كان إبراهيم بن عربي أسودَ اللون، ولهذا كان يسمى (الملك الأسود) كما وصفه مالك المذموم الذي روى صاحب «الأغاني»[1] خبره ـ وسيأتي مفصلاً ـ ومن قول مالك في مدح ابن عربي:

فَمَتَى تَلْتَقِي يَدَ الْمَلِكِ الْأَسْوَ ... دِ تَسْتَيْقِنِي بِأَنْ لاتُضَامِي

وقال الْبَعِيثُ[2] الشاعر في هجائه:

تَرَى مِنْبَرَ الْعَبْدِ اللَّئِيمِ إِذَا بَدَا ... ثَلَاثَةُ غِرْبَانٍ عَلَيْهِ وَقُوعُ

فكان ابن عربي بعد ذالك إذا صعد الْمِنْبَرَ تَذَامَرَ بِه الناس، وإذا رأى غراباً قال: لعنةُ الله على البعيث. روى صاحب «الأمالي»[3] بسنده إلى أبي عبيدة قال: كان المغيرة أعور[4] دميما، آدم، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال:

إِذَا رَاحَ فِي قِبْطِيَّةٍ مُتَأَزِّرًا ... تَقُلْ جُعَلٌ يَسْتَنُّ فِي لَبَنٍ مَحْضِ
فَأُقْسِمُ لَوْ خَرَّتْ مِن اسْتِكَ بَيْضَةٌ ... لَمَا انْكَسَرَتْ مِنْ قُرْبِ بَعْضِكَ مِنْ بَعْضِ

قالْ ابن دريد: فقلت لأبي حاتمٍ: ما أظن أحداً سبقه إلى قوله: (جُعَلٌ يَسْتَنُّ في لَبَنٍ مَحْضِ) فقال: بَلَىَ كان إبراهيم بن عربي والي اليمامة، فصعد

---

(١) «الأغاني» ـ ١٦/ ١٥٠ ـ طبعة الساسي.
(٢) «الأغاني» ـ ٥/ ١٢٢ ـ و «البيان والتبيين» ـ ٣/ ٢٢٠ ـ.
(٣) «الأمالي» ـ ١/ ٢٧٨ ـ.
(٤) أصيبت عينه ـ رضي الله عنه ـ في وقعة اليمامة على ما ذكر ابن كثير وغيره.

المنبر، وعليه ثيابٌ بيض، فبدا كفَّاهُ ووجهه فقال الفرزدق [1] :

تَـرَى مِنْبَرَ الْعَبْـدِ اللَّئِيْمِ إذَا بَـدَا ... ثـلاثَـةُ غِـرْبَـانٍ عَلَيْـهِ وُقُـوْعُ

قال: فهذا يشبه ذالكَ، وان لم يكنه.

نشأةُ ابن عربـي:

لا أعرف شيئاً عن حياة ابن عربي، في عهد طفولته، غير أن البـلاذري [2] ذكـر فيها ذكـر عنه ـ أن أمـه فاطمـة هي التي تَـوَلَّتْ تَـرْبِيَـةَ مـروان بن الحكم، ومعروف أنَّ مروان كان كاتِباً، وكان صاحب الديوان في عهد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ويظهر أنَّ إبراهيم عاش مـع مروان، وأنـه تعلم الكتابـة على يده، حتى أصبح فيما بعد يعرف بـ (الكاتب) [3] .

وتـولَّى الـديــوان لعبـدالملك بن مــروان في أول ولايتـه وقبلهــا، فعـرف بـ (صاحب الديوان) [4] فقد ذكر ابن جرير وغيره في خـبر قتل عَمْـرِو بن سعيد الأشـدق مـا ملخصـه: فضـرب عَبْـدُ لِعَمْـرِو بن سعيدٍ الأَشـدقِ الْــوَلِيـدَ بن عبدالملك، ضربةً على رأسه، فاحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بَيْتَ القراطيس، وفَقَد عبدُ الملك الوليدَ، فجعل يقـول: ويحكم!! أين الوليـد؟ لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثـأرهم! فأتـاه إبراهيم بنُ عـربي الكناني فقـال: هذا الوليد عندِي قد أصابته جراحةٌ، وليس عليه بأس.

أما وصف ياقـوت [5] له بـ (الشيـخ) إذْ قال: العُقَـيْرُ باليمـامة نخـل لبني ذُهْل بن الدُّوْلِ بن حنيفة، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي، فالظاهـر أنه سبق قلم، لندرة استعمال ذالك اللقب في عهد ابن عربي، إلا لكبير السن.

---

(١) القائل هو البعيث الشاعر خداش بن بشر المجاشعي التميمي كما سيأتي لا الفرزدق.

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ٥/٧٩ ـ.

(٣) «تاريخ ابن جرير» ـ ٤/٦٠٠ ـ.

(٤) «تاريخ ابن جرير» ـ ٤/٦٠١ ـ.

(٥) «معجم البلدان» ـ مادة العقير ـ.

صلة ابن عربي بمروان وآله :

١ ـ نشأ ابنُ عربي منتسباً إلى بني مالك من كنانة، معدوداً منهم، وبنو مالك هاؤلاء كانوا يقيمون بمكة، وكانوا يتولون النَّسيْءَ، وهو من الأعمال المتوارثة فيهم، منذ العهد الجاهلي حتى جاء الإسلام فأبطل ذالك ونزلت الآيةُ الكريمةُ ﴿ **إنَّما النَّسيْءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا يُحِلُّوْنَهُ عاماً وَيُحَرِّمُوْنَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله، فَيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ الله زُيِّنَ لَهُمْ سُوْءُ أَعْمَالِهِمْ، وَالله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ** ﴾ [١] .

ومن بني مالك هاؤلاء علقمة بن صفوان بن أمية، وقد حَالف بني عَبد شمس، وتزوج الحكم بن أبي العاص ابنتَه آمِنةً فولدت له مروانَ بن الحكم، ولعلقمة هذا دار مشهورة في مكة في الجاهلية، ثم في صدر الإسلام، حيث آلتْ إلى ابنه نافع خال مروان، وتقع بين الصفا والمروة، شارعة على المسجد، وقد تولى هذا إمْرَةَ مكة لعبدالملك بن مروان، ولهشام بن عبدالملك، ومن هنا كانت صلة بني مالك بن كنانة بآل مروان [٢] .

٢ ـ وذكر ابن الكلبي في «جمهرة النسب» أَن أم ابراهيم بن عربي فاطمة بنت شَريك بن سحماء، فلما كان يوم الدَّار يوم قُتِل عثمان بن عفان ضُرِبَ مروانُ بنُ الحكم، وسعيد بن العاص فسقطا، فوثبت فاطمةُ بنت شريك على مروان فأدخلته بيت القراطيس فَأُفْلِتَ، وكانوا يحفظون إبراهيم بن عربي ويكرمونه [٣] .

أما ابن سعد فيروي الخبر بصيغة أخرى فيقول [٤] : خرج مروان بن

---

(١) الآية الـ (٣٧) من (سورة البقرة).

(٢) «أخبار مكة» للأزرقي، و «تاريخ ابن جرير»، و «العقد الثمين» للفاسي.

(٣) «جمهرة النسب» و «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة راغب باشا.

(٤) «الطبقات الكبرى» ـ ٣٧/٥ ـ.

الحكم يوم الدار يرتجز ويقول: مَنْ يبارز؟ فبرز إليه عروة بن شييم بن البيّاع الليثي، فضربه على قفاه بالسيف، فخرَّ لوجهه، فقام إليه عبيد بن رفاعة بن رافع الزُّرَقِيُّ بسكين معه ليقطعَ رأْسَهُ فقامت إليه أمه التي أرضعته وهي جدَّةُ إبراهيم بن العربي صاحب اليمامة فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أنْ تُبَضِّعَهُ!؟ فاستحيا عبيد بن رفاعة منها فتركه.

ونحو ما قال ابن سعد ذكر ابن جرير ـ في الكلام على وقعة الدار في ذي الحجة سنة ٣٥ ـ بعد أن ساق خبر ضرب مروان على رقبته من خلفه حتى سقط ما ينبض منه عرق قال: وقام إليه عبيدةُ بنُ رِفاعة الزرقي لِيُذَفِّفَ عليه، فوثبت فاطمةُ بنتُ أُوْس جَدَّةُ إبراهيم بن عربي، وكانت قد أرضعت مروان، وأرضعت له، فقالت: إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قُتِل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح، قال: فكفَّ عنه، وذكر قبل ذالك أنها أدخلته في بيت، وأضاف ابن جرير: فما زالوا يشكرونها لها، ويعرفون ذالك لآل عربي، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد [١].

وذكر البلاذري أن أم إبراهيم بن عربي هي التي تولَّتْ تربية مروان بن الحكم.[٢]

٣ ـ ويذكر ابن جرير وغيره يداً أخرى لإبراهيم بن عربي على آل مروان، حين يتحدث عن قيام عبدالملك بن مروان ـ وهو خليفة ـ بقتل عَمْرو بن سعيد الأشدق الذي خلع طاعته سنة ٦٨، ويذكر ما جرى من المناوشة بين أتباع عمروٍ هذا وبين أتباع عبدالملك فيقول [٣]: فضربَ عبّدٌ لعمرِو بن سعيد الوليدَ بنَ عبدالملك ضربةً على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ـ ٤١٣/٣ ـ.

(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ٧٩/٥ ـ.

(٣) «تاريخ ابن جرير» ـ ٤١٣/٣ و ٦٠٠/٤ ـ و «تاريخ ابن الأثير» ـ ٣٩٩/٣ ـ.

الديوان، فأدخله بيت القراطيس، وفقدَ عبدُ الملك الوليدَ فجعل يقول: ويحكم أين الوليد؟ لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم!!، فأتاه إبراهيم بن عربي الكناني فقال: هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس.

٤ ـ وَكان إبراهيم بن عربي مع جيش محمد بن مروان الذي سيره عبدالملك لقتال مصعب بن الزبير، في جمادي الأولى سنة ٧٢ هـ. روى البلاذري وصاحب «الأغاني» وغيره [١] : أن محمد بن مروان بعد قتل إبراهيم بن الأشتر أحد قواد جيش مصعب، أمر رجلاً من أصحابه أن ينطلق إلى عسكر مصعب لينظر ما هم فيه فقال ذالك الرجل: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عربي الكناني: انطلق فإذا أنت رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك. فذهب ثم رجع إلى محمد، وقال: رأيتهم منكسرين.

وأورد ابن أبي الدنيا [٢] خبراً يدل على أن ابن عربي قد حضر الوقعة التي هزم فيها مصعب، فروى عن صاعد بن عبدالحميد عن أبيه عن إبراهيم بن عربي، وكان شاهد الأمر ـ قال: ترك الناسُ مصعبَ بنَ الزبير، حتى بقي في سبعة، فقعد على وِسَادَةٍ ساذر، فجعل يشدُّ على الناس فيكشفهم وحده، ثم يرجع فيقعد على الوسادة، حتى فعل ذالك مرارا. انتهى.

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ ٥/٣٣٩ ـ و«الأغاني» ـ ١٧/١٦٣ ـ.

(٢) «مكارم الأخلاق» ـ ٤٥ ـ و«أنساب الأشراف» ـ ٥/٣٣٩ ـ طبعة القدس سنة ١٩٣٩م.

ولاية ابن عربي على اليمامة

يبدو أن صلة إبراهيم بن عربي بهذه البلاد كانت قديمة، فقد كان مع مروان بن الحكم حينما كان يتولى ديوان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان معه في الديوان، ثم لَمَّا ولي مروان المدينة لمعاوية وكانت اليمامة مضافة إليها، كان يبعث أبا حفصة إلى اليمامة[1] ليجمع ما فيها من المال، ويحمله إليه، وهناك تزوج مولاةً لبني حنيفة، فولد له أولاد، وكانت صلة آل أبي حفصة بابن عربي معروفة منذ أن كانا يعملان في ديوان عثمان، حتى ولَّى عبدالملك بن مروان بيتَ مال اليمامة ولَّاه مروان بن أبي حفصة في الفترة التي كان ابن عربي والياً لليمامة.

وذكر ابن حجر أن إبراهيم بن عربي ولي اليمامة لمروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ حين ولي[2] مروان الخلافة ذكر ذالك في ترجمة منازل بن أبي منازل السعدي وسيأتي نص كلامه في (موقف ابن عربي من الشعراء).

ومروان ولي الخلافة ومكث تسعة أشهر[3]، ولم يستقم له الأمر، فقد كان ابن الزبير في ذالك العهد قد غلب على الحجاز والعراق، وفي اليمامة (نجد) ثار أبو طالوت الحنفي، ثم من بعده نجدة بن عامر حتى استقام الأمر لعبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين، فإذا صح ما ذكر الحافظ ابن حجر عن تولية إبراهيم اليمامة لمروان فإن ذالك في عهد ولاية مروان المدينة من قبل معاوية حيث تولاها في فترتين من الزمن من سنة ٤٠ إلى ٤٩، ثم من سنة ٥٤ إلى سنة ٥٧ كما سَبَقَ إيضاح ذالك فيما تقدم من هذا البحث، وأثناء ولاية مروان تلك بعث معاوية الآلاف من الزُّرَّاع من الشام لاستصلاح أراضي الخضارم في الخرج، والاستفادة

---

(١) «الأغاني» - ١٠/٧٤ - ط. الثقافة.

(٢) «الاصابة» - حرف الميم - القسم الثالث.

(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» - ص ٢٥٣/٢٥٤ - و «مروج الذهب» للمسعودي - ٢/١٠٨ - الطبعة الأولى.

من مياه العيون هناك للزراعة، وجرى لهاؤلاء الزراع في عهد ثورة أبي طالوت في هذه البلاد ما تقدم ذكره.

وقد يلمح الباحث جوانب من صلة مروان بهذه البلاد كما في خبر القتال الكلابي وملخصه: أن القتال واسمه عبدالله بن مجيب من بني أَبِي بكر بن كلاب ثم من بني عامر كان من الفتاك المتمردين، فقُبض عليه وسجن في المدينةَ في عهد مروان، ولكنه هرب من السجن والتجأ في جَبَل (عماية) الجبل الواقع في جنوب نجد، المعروف الآنَ باسم (حصاة قحطان) ومما قال في ذالك[1]:

ولَّما رأيتُ البابَ قدْ حِيْلَ دُوْنَهُ	وَخِفْتُ لِحَاقاً مِنْ كِتَابٍ مُؤَجَّلِ
رَدَدْتُ على الْمَكْرُوهِ نَفْساً شَرِيفةً	إذَا وُطِّنَتْ لَمْ تَسْتَقِدْ لِلتَّذَلُّلِ
وكَالِئٍ بِبَابِ السِّجْنِ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ	وَكَانَ فِرارِيْ مِنْهُ لَيْسَ بِمُؤْتَلِي
إذا قُلْتُ: رَفِّهْنِي مِنَ السِّجْنِ سَاعةً	تَدَارَكْ بِهَا نُعْمَى عَلَيَّ وأَفْضِلِ
يَشُدُّ وِثَاقِي عَابِساً وَيَتُلُّنِي	إلى حَلَقَاتٍ فِي عَمُودٍ مُرَمَّلِ
أقولُ له والسيفُ يَعْصِبُ رَأْسَهُ:	أَنَا ابْنُ أَبِي أَسْمَاءَ غَيْرَ التَّنَحُّلِ
عَرَفْتُ نِدايَ مِنْ نِدَاهُ وَجُرْأَتِي	وَرِيْحاً تَغَشَّانِي إِذَا اشْتَدَّ مِسْحَلِي
تَرَكْتُ عِتَاقَ الطَّيرِ تَحْجِلُ حَوْلَهُ	عَلَى عُدَوْاءَ كَالْحُوَارِ الْمُجَدَّلِ

وقال قبل التجائه بجبل عَمَايَة[2]:

أَيُرْسِلُ مروانُ الْأَمِيرُ رِسَالَةً	لآتِيهُ إِنِّي إِذَنْ لَمُضَلَّلُ
وَمَا بِيَ عِصْيانٌ وَلَا بُعْدُ مَنْزِلٍ	وِلَكِنَّنِي مِنْ خَوفِ مَرْوَانَ أُوْجَلُ
سَأُعْتِبُ أَهْلَ الدِّيْنِ مِمَّا يُرِيْبُهُمْ	وأَتْبَعُ عَقْلِي مَا هَدَى لِيَ أَوَّلُ
أَوَ الْحَقُ بِالْعَنْقَاءِ فِي أَرْضِ صَاحَةٍ	أَوِ الْبَاسِقَاتِ بَيْنَ غَوْلٍ وغُلْغُلِ
وَفِي صَاحَةَ الْعَنْقَاءِ أَوْ فِي عَمَايَةٍ	أَوِ الْأُدْمى مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ مَوْئِلُ

(١) «ديوان القتال» ـ ص ٧٥ ـ.

(٢) «ديوان القتال» ـ ص ٧٧ ـ.

وخبر القَتَّال يدل على شمول ولاية مروان لهذه البلاد.

وفي سنة ٧٣، استقام الأمر للأمويين بعد أن قضى عبدالملك بن مروان على ما حدث في المملكة من اضطراب فَاتَّجَه لإصلاح الأمور الإدارية باختيار ولاة الأقاليم ممَّن يثق بولائهم وإخلاصهم للبيت الأموي.

ولقد عَرفَ عبدالملك لإبراهيم بن عربي وفاءه وولاءه لذلك البيت، منذ عهد جدته التي أرضعت مروانَ أبا عبدالملك ثم حَمَتْه بعد ذالك أُمُّهُ (أم ابن عربي) من الثُّوارِ، في عهد عثمان بن عفان، حين أخفته في بيت القراطيس، بعد أن طعن، ثم بعد أن كان من إبراهيم ما كان من إسعاف الوليد، وحمايته من القتل، وعرف فيه من الكفاءة والمقدرة أثناء قيامهِ برئاسة ديوانه، فكان أن ولاه اليمامة (نجداً) وأطلق يده في تلك الولاية.

ورغم أن إدارة شؤون البلاد كانت قبل ولاية ابن عربي مرتبطةً بوالي الحجاز في ذالك العهد منذ أن استتب الأمر لعبدالملك، وأن والي الحجاز كان الحجاج بن يوسف، الذي نقل إلى ولاية العراق، فلا شك أن صلته بابن عربي صاحب ديوان الخليفة بقيت قوية، وليس من المعقول أن تنقطع هذه الصلة بعد أن ولي ابن عربي اليمامة، بل إنَّ أثر استمرارها يبدو واضحاً في سير ابن عربي في تصريف شؤون ولايته على نهج الحجاج في الشدة والصرامة، بعد أن انفصل عمله عنه من الناحية الإدارية، وأصبح ارتباطه بالخليفة نفسه، في جميع شؤون ولايته، دون الرجوع إلى الحجاج وروى البلاذُرِيُّ[1] وغيره أن عبدالملك لما وجه إبراهيم بن عربي إلى اليمامة أميراً عليها خرج عليه نوح بن هُبيرة، وكان معه من أهل الشام ألف فقتلهم.

---

(١) «أنساب الأشراف» - ٥/٣٤٧ - و ١١/١٨ -.

لقد كانت بادرة طيبة من بوادر انتصار هذا الوالي، وهي في الوقت نفسه تدل على أنه اتخذ للأمر أُهْبته، فتدرع بقوة مكنته ـ فيما بعد ـ من إخضاع البلاد وحكمها حكماً قوياً.

إلَّا أن مِمَّا يلاحظ على هذا الخبر الذي كرر البلاذري ذكره في موضعين من كتابه يعترضه اشكالان اثنان، أولهما: كون جند هذا الخارج (من أهل الشام) وهاؤلاء هم جند الدولة التي ولي ابن عربي اليمامة من قبلها، فهل كان نوح والياً قبله، ويَرُدُّ هذا أن ولاية اليمامة كانت إذ ذاك للحجاج، ومن غير المعقول أن يعارض نائبه على تلك البلاد والياً معيناً من قبل الخليفة.

ثانيهما: أنه سَيَأْتِي ذكر نوح بن هُبيرة والياً لليمامة في عهد سليمان بن عبدالملك ـ فيما ذكر خليفة بن خياط ـ أي بعد ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً، ومن المستبعد أن يعين والياً وهو ممن عارض الدولة، فحارب أحد ولاتها.

وقد طالت مدة ولاية ابن عربي في فترات متقطعة منذ عهد عبدالملك من سنة ثلاث وسبعين إلى عهد ابنه هشام سنة خمس ومئة، بل إن من المؤرخين من يجعل ولاية إبراهيم لليمامة تبتدئ من عهد مروان في سنة أربع وستين كالحافظ ابن حجر ـ كما تقدم ـ وتمتد إلى عهد الوليد على ما ذكر الحافظ ابن عساكر[1]، إلَّا أننا نرى أن ما ذكره خليفة بن خياط وهو من أقدم المؤرخين وأوثقهم هو الصحيح. فلقد ذكر في حوادث سنة وفاة كل خليفة من الأمويين أسماء عماله، فذكر ولاة اليمامة في عهد عبدالملك يزيد بن هُبيرة ثم إبراهيم بن عربي، وفي عهد الوليد أقر إبراهيم في ولايته. ثم لم نَرَ له ذكراً عند خليفة إلَّا في عهد يزيد بن عبدالملك فذكر أنه رد إبراهيم على اليمامة. ومن المعروف عن سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز أنهما عزلا كثيراً من ولاة الأقاليم،

---

(١) «تهذيب تاريخ ابن عساكر» ـ ١٢٢/٥ ـ ترجمة خَداش بن زُهَيْر، البعيث الشاعر.

فعل سليمان ذالك لدوافع خاصة، ودفع زهد عمر ـ رحمه الله ـ ومحبته للعدل إلى تولية من يثق بهم.

ولا يذكر خليفة اسم ابن عربي في الولاة بعد عهد يزيد فيما بين سنتي إحدى ومئة وخمس ومئة (١٠١ / ١٠٥) ويشير إلى أنَّ ولاية إبراهيم في عهد يزيد شملت (البحرين) ولكن مؤرخين آخرين ينصون على أن ولايته امتدت إلى عهد هشام[٨]، وأن هشاماً كتب إليه ليبعث له من خيل باهلة فرساً مشهورة من نسل الحرون، وأنه وفد على هشام بناس من أهل اليمامة[١] مما سيأتي مفصلاً.

وينبغي ألَّا يعزُبَ عن البال أن إبراهيم بن عربي ولي اليمامة، وأقام فيها تلك الحقبة الطويلة بالنسبة لغيره من الولاة، في ظروف تتطلب اتخاذ كل الوسائل لتثبيت الحكم الناشيءِ، وتوطيد قواعده، ولهذا فليس من الغريب أن نراه حين يُعْزَلُ لَايلْبَثُ أن يعاد إلى عمله، بالنظر إليه لكونه ممن أرْسَى قواعد ذالك الحكم في هذه البلاد، ولخبرته الطويلة بطباع أهلها، يضاف إلى ذالك إدراكه التام لرغبات سادته من خلفاء تلك الدولة.

ولهذا يجد الباحث أمثلة لاستقرار الولاة في أعمالهم ممن كان لهم دور بارز في توطيد الحكم الأموي، ومن أشهرهم الحجاج بن يوسف الذي مكث والياً على العراق عشرين سنة [٢]، وقبل ذالك قضى على حكم ابن الزبير في الحجاز فَأُسْنِدَتْ إليه ولايتُه مع اليمن واليمامة[٣]، وبقي سنتين حيث ولي بعده رجال ذوو صلة قوية بالخليفة كيحيى بن الحكم بن أبي العاص وأبان بن عثمان بن عفَّان وهشام بن اسماعيل المخزومي، الذي أُسندت إليه ولاية الحجاز من سنة ٧٥ إلى سنة ٨٧ هـ بعد أن نُقِل الحجاجُ سنة خمس وسبعين إلى ولاية العراق،

---

(١) كتاب «الخيل» لابن الكلبي ـ ص ١٢٤ ـ.
(٢) «ديوان الفرزدق» ـ ص ٦٣٩ ـ.
(٣) «تاريخ ابن جرير» ـ ٦/٦٩٣ ـ.
(٤) المصدر السابق ـ ٦/١٩٤ ـ.

وشملت ولايته البحرين وعُمَان، وبقيت الأمور من حيث اختيار الولاة من ذوي الحزم والقوة بصرف النظر عن كفاءتهم، وعما تتطلبه البلاد من إصلاح ورعاية طيلة عهد عبدالملك بن مروان الذي توفي في شوال سنة ست وثمانين [1]، بعد أن مكث خليفة بإجماع الناس ثلاثَ عشرة سنة، ولما تولى ابنه الوليد حاول أن يحدث تغييراً فيما كان يسير عليه أبوه من حيث اختيار الولاة فأسند ولاية الحجاز إلى عمر بن عبدالعزيز، سنة سبع وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، ولكنه فيما يبدو وَجَد من الضغوط ما دفعه إلى أن يعزل عمر بن عبدالعزيز، ومن خبر عزله الذي أورده ابن جرير في «تاريخه» [2] يتضح عدم استطاعة الوليد الخروج عن طريقة أبيه، ونصُّ الخبر في ذكر حوادث سنة ثلاث وتسعين: وفيها عُزِل عمر بن عبدالعزيز عن المدينة، وكان سبب ذالك أن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسْفِ الحَجَّاج أَهْلَ عَمَلِهِ واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأن ذالك بلغ الحجاج فَاضْطَغَنَهُ على عمر وكتب إلى الوليد: إن مَنْ قِبَلِي من مُرَّاق أهل العراق وأهل الشقاق، قد جَلَوْا عن العراق، ولجؤوا إلى المدينة ومكة، وأن ذالك وَهْنٌ. فكتب الوليد إلى الحجاج: أَنْ أَشِرْ عليَّ برجلين فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حَيَّان الْمُرِّي وخالد بن عبدالله الْقَسْرِي، فولى خالداً مكةَ، وعثمانَ المدينة، وعزل عمر بن عبدالعزيز. انتهى.

من هنا يتضح ملامح اختيار الولاة في هذه البلاد وأن ذالك الاختيار يقوم على مجرد الإخلاص للدولة دون النظر إلى ما عدا ذالك.

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ٦/٤١٨.

(٢) المصدر السابق - ٦/٤٨١ -.

أين استقر ابن عربـي؟

سبقت الإشارة إلى أن ولاية اليمامة في ذالك العهد تشمل بلاد نجد كلها، ومنطقة اليمامة وما حولها هي أكثر تلك البلاد قُرًى، وأقدمها تحضُّراً واستيطاناً، منذ عهود ما قبل الإسلام من قبل أمم بادت كَطَسْمٍ وجَـدِيس وهِزَّانَ الأولى[١] وغيرها، مما يدل على أن حضارتها كانت عريقة في القدم.

وتُعَدُّ اليمامة من أخصب البلاد حيث تتخللها كثير من الأودية المتحدرة من جبـال العارض، والأوديـة في البلاد كـالشرايـين في الجسد، وقـد كان العِـرْضُ (عرض اليمامة)[٢] وما عرف باسم (وادي حنيفة أخيراً) غزير المياه، ولهذا عُمِر منذ عهود قديمة، وممن كان يحله من العرب البائدة قبيلة طَسْم، وكانت قاعـدتها الخضراء (خضراء حَجْرٍ) التي قال عنهـا الهمداني[٣]: القـرية الخضـراء خضراء حَجْـرٍ التي التقطهـا عُبَيد بن ثعلبـة بن الـدُّوْلِ، ولم يشـرك فيهـا أحـداً، وهي حَضُورُ طَسْمٍ وجَدِيْسَ، وفيها آثارهم وحصونهم وبُتُلُهُمْ - الواحـد بَتِيْلٌ - وهـو هَنٌ[٤] مربَّعٌ مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين، قال أبـو مالـك: لحقت منها بناء طوله مئتا ذراع في السماء قال: وقيل كان منها ما طولـه خمس مئة ذراع، من أحدها نظرت زرقاءُ اليمامة إلى من نزل من جوجان من رأس الدَّام، مسيرة يـومـين وليلتـين، وكـانت جـديس تسكن الخِضْـرِمَـة[٥] وكـانت طسم تسكن الخضراء. انتهى.

ثم بعد ذالك استوطنت بنو حنيفة البلاد في خـبر أورده المتقدمـون، تشوب حقيقته الخرافـة، ومن ذالك زعمهم أَنَّ عُبيـد بن ثعلبة سيـد بني حنيفة لمـا قدم

(١) انظر عن سكنى هذه البلاد كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ». ط دار اليمامة

(٢) العرض: اسم لكل وادٍ فيه قرى ومياه.

(٣) «صفة جزيرة العرب» - ص ٢٨٤ -.

(٤) لعل صواب (هن): (حصن).

(٥) يقصد خضرمة الخرج، وهي الخضارم.

هـذه البـلاد (تَحَجَّـر) عـدداً من القصـور والبسـاتـين، ومن ثَمَّ سُمِّيَ المـوضـع (حَجْراً)[1].

وأرى أن كلمـة (حَجْر) ذاتُ صلةٍ بكلمـة (هَجْر) بـالهاءِ التي تعني بـاللغـة العربية اليمنية القديمة (المدينة) وأنها هي المعنية بقول الهمداني القـرية الخضـراء (خضراء حجر).

وقد عُرِفَتَ حَجْرُ فيما بعد بكونها قاعدةَ هذه البلاد، منذ أن ظهر الإسلام، وهي في الواقع كانت حاضرة قبل ذالك كما تقدم، وبعد استيـطان بني حنيفة في الوادي أصبحت قاعدة بلادهم، ولكنها كانت مستقرًّا ومقصداً لمختلف القبـائل الأخرى، كما قال صاحب كتاب «بلاد العـرب»[2]: حَجْرُ سُـرَّةُ اليمامـة، وهي منزل السلطان والجماعة، ومنبرهـا أحد المنـابر الأوليـة، مكة والمـدينة واليمن، ودمشق واليمـامة والبحـرين والكوفـة، وجُـلُّ أهلهـا بنـو عُبَيـد، وبهـا من كـل القبائل. انتهى.

وموقع حَجْرٍ هو موقع مدينة الـرياض[3]، فقـد قامت عـلى أنقاضهـا، على ضَفَّتِي وادِي الْوَتر (البطحاء) حيث كـانت تنتشر حدائق النخيـل حولهـا، وتُطِلُّ الحصـون التي تحميها عـلى جوانب ذالـك الوادي، الـواقع شـرق وادي حنيفـة المعـروف الآن باسم (البـاطن)[4] وعلى مقـربة منـه، وكـانت قـرى بني حنيفـة وزروعها ونخيلها منتشرة في هذا الوادي من أعلاه إلى أسفله، وكثيـراً ما كـانت القبـائل التي تحله تجـد فيه الحصنَ الحصـين، حينـما يغـزوهـا عـدُوٌّ، أو يحـاول مُدَاهمتها مُغِيْر، فتبقى آمنة في بلادها، ويرجع عدوها مهزوماً، فمسالك الوادي

(١) انظر: «معجم البلدان» رسم (حجر).

(٢) ـ ص ٣٥٧ ـ.

(٣) انظر عن مدينة الرياض كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» لكاتب هذا البحث.

(٤) يطلق أهل نجد اسم الباطن على الوادي العظيم، فهم يسمون وادي فَلْج الذي يخترق شـرقي الجزيـرة إلى قرب البصـرة، وتقع فيه مدينة الْحَفَر، يسمونه الباطن كما يسمون عرض اليمامة الباطن وهو وادي الرياض الآن.

ومنـافذه ضيقـة قليلة، بحيث تسهل حمـايتها وحـراستها، فـلا تستطيـع الغـزاة التوغلَ في الوادي، ما لم يكن على غرة أو غفلة من أهله، أو أن تبلغ قـوة أولئك مبلغاً يفوق السكان.

ومن هنا عرف سكان هذا الوادي عند العرب بالشجاعة ووصفهم القـرآن الكـريم في قـول أحـد مفسـريـه بـذالـك ﴿ سَتُـدْعَـوْنَ إِلَى قَـوْمٍ أُولِي بَـأْسٍ شَدِيْدٍ ﴾ [1] وافتخر شاعرهم موسى بن جابر الحنفي فقال:

وَجَـدْنـا أَبـانـا كَـانَ حَـلَّ بِبَلْدَةٍ ... سُوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ والْفِزْرِ [2]
وَرَابِيَـةٍ إِمَّـا الْعَـدُوُّ فـحَـوْلَهَـا ... مُـطِيْفٌ بِنَـا في مِثْـلِ دَائِـرَةِ الْمُهْـرِ
فَلَمَّا نَـأَتْ عَنَّـا الْـعَشِيْـرَةُ كُلُّهـا ... أَقَمْنَا وَحَالَفْنَا السُّيُوْفَ عَـلَى الدَّهْـرِ
فَـمَا أَسْلَمَتْنَـا بَعْـدُ فِي كُـلِّ وَقْعَـةٍ ... وَلاَ نَحْنُ أَغْمَدْنَا السُّيُوْفَ على وِتْـرِ

ومـدينة حجـر ـ وان كـانت قـاعـدة الإقليم ـ إلَّا أنها خـارجـة عن ذالـك الوادي، وواقعة في براح من الأرض، من هنا يسهل غزوها، والاستيلاء عليهـا بيسر، ولهـذا أصبحت مدينـة تجمع لفيفـاً من القبائـل، وأخلاطـاً من النـاس، ومدينة بهذه الصفة لا تستعصى على محارب.

ومع أن ابن عربي قد اتخذ من حجر قاعدة لحكمه، إلَّا أنـه فيما يبـدو أراد أن يكون ذا سيطرة على كلِّ هذه البلاد، ولهـذا فقد استـوطن في وسط الوادي، الذي تنتشر على ضِفَافِهِ وفروعه القرى، ويجتمع فيـه من السكان مـالا يجتمع في مكان آخر كثرة، فاتخذ من بلدة (العُقَيْر) مكـانَ استقرار، ولا شـكَّ أنه أعـدَّ في مدينة حَجْرٍ القاعـدة من العدة مـا يحقق تصريف الشؤون كـما يريـد، وأنه كـان يقوم بذالك بنفسه إذ المسافة بـين (حَجْرٍ) و (العُقَـيْر) قصيرة لا تتجـاوز عشرين

---

(١) الآية الـ (٤٨) من سورة (الفتح) ـ انظر تفسير هذه الآية عند ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٢) سوى: متوسطة، والفِزر: بنو سعد بن زيد مناة بن تميم يقصد أن بلادهم واقعة بين قبائل قيس وقبائل تميم.

ميلاً، وأذكر أنني قطعتها مشياً على القدم في نحو خمس ساعات.

والعُقير عند الإطلاق يقصد به الميناء الواقع شرق الأحساء على الخليج العربي، وكان من أشهر مواني الخليج في العهد الماضي [١]، وهو الميناء الرئيس للأحساء إلى عهد قريب.

أما العقير الواقع في وادي حنيفة فقد أصبح مجهولاً الآن، وكان معروفاً حدد موقعه محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي [٢] فقال: الأَبَكَّيْنِ جبلان يشرفان على رَحْبَةِ الهدَّار ثم تنحدر في النقب، وهو الطريق في الجبل، فإذا استويت تل الرحبة فهي صحراء مستوية، وفي أطرافها قطع جبل يُدْعَى زَغرب والمَرْدَغَة وذات أُسلام والنوطة وغيطلة، قال مخيِّس بن أُرْطاة [٣]:

تَبَدَّلَتْ ذَاتُ أُسْلامٍ فَغَيْطَلَةً

ثم تمضي حتى تخرج من الرحبة فتقع في العُقَيْر.

وقال ياقوت [٤]: العقير. . . باليمامة نخل لبني ذهل بن الدؤل بن حنيفة، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي الذي كان والي اليمامة في أيام بني أمية، والعُقَيْر أيضا: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة. انتهى.

فالعُقَيْرُ كما يفهم من كلام الحفصي يقع في وسط الوادي، وكذا يفهم من واقع الحال، ليستطيع الوالي وهو فيه أن يُلِمَّ بجميع أحوال سكان ذالك الوادي على السواء. وكلام الحفصي يظهر أن فيه نقصاً، وياقوت الذي نقل كلام الحفصي كثيراً ما يترك من الكلام ما لا يتعلق بالموضوع الذي يتحدث عنه، وهو

---

(١) ولما استولى بنو الزجاج على العقير في حرب القرامطة كان من أسباب ضعفهم ثم القضاء عليهم فيما بعد، انظر: «مجلة العرب» س ١٦ ص ١٦١ مقال (من تاريخ جزيرة أوال).

(٢) «معجم البلدان» رسم (رحبة الهدَّار).

(٣) مخيس: شاعر من بني سعد من تميم، مدح العباسيين في أول عهدهم انظر: «معجم الشعراء» للمرزباني.

(٤) «معجم البلدان» رسم (العقير).

لم ينقل كلام الحفصي في تحديد موقع العقير، وإنما ساقه عرضاً أثناء كلامه على رَحْبَة الهدَّار.

وَرَحْبَة الْهَدَّار: لا شك أنها هي التي يفضي إليها سيل الوادي المعروف الآن باسم (الْهُدَيْدِيْر) تصغير الْهَدَّار، في أعلى العُيَيْنَة، وفي هذه الرحبة كانت تقع بلدة (أُبَاض) التي اتخذها نجدة بن عامر الحنفي قاعدةً له ـ وتقدم الكلام عليها ـ والخارج من رَحْبَةِ الهدَّار هذه يمرُّ بالعُيَيْنَة وتعرف قديماً باسم (الْعُيَيْنْ) لبني عامر من بني حنيفة، ويبدو أنها كانت امتداداً لبلدة (أُبَاض) واستمر عمرانها بعد خراب (أُبَاض) ثم من بعدها (عَقْرباء) وقد درست هذه البلدة وعلق الاسم بروضة تقع شرقها وما يسمى الآن (الجبيلة) كان في القديم محلة من محلات (عقرباء) وكان يعرف باسم الجُبَيْل.

وبعد مجاوزة بلدة الجبيلة ينعطف الوادي ذات اليمين، ثم يتسع في رحبة واسعة، وتلتقي فيه أودية كثيرة، ويسمى الموضع هناك (الْمَلْقَى) لتلاقي تلك الأودية فيه، من الغرب أودية بلدة العمَّارية وما حولها، ويأتيه من الشمال الشرقي أودية أخرى، منها وادي الْعِرْضِ.

وفي متسع الوادي قبل مفيض أودية العمَّارية والتقائها بسيل المَلْقَى في الرحبة الواسعة مكان يدعى (الْمُغَيْدِر) تصغير (الْمَغْدَر) أي مكان الغدير، وقد يكون رَحْبَةً في الماضي، تستريض فيها مياه الأمطار، وأصبح هذا المكان معموراً فيه عيون ونخيل وزروع.

وفي شمال نخل المُغَيْدر في الرحبة الواسعة توجد آثار قُصَيْرٍ كان يعرف عند أهل تلك الناحية باسم (قصر عَقْرَان) وبعضهم ينطق القاف جيما (عجران) كالحال في اسم بلدة (العقير) ذالك القصر تختلف مواد بنائه، وشكل البناء عن مواد الأبنية الأخرى، المستعملة في تلك الجهة، فهو مبني بالطوب الأحمر مما

لا عهد لأهل هذه الجهات بالبناء به، ومبني بشكل مستدير كامل الاستدارة. ثم إنه يقع متوسطاً في الوادي، بحيث يستطيع من فيه إدراك ما يجري في جميع قراه، وهو قريب من (حَجْر) وفي ملتقى أهم الأودية التي تجتمع في أعْلَى (العرض) ولهذا فلا أستبعد أن يكون ما يدعى (قصر عقران) هو العُقَيْر، ومما يؤسف أن فلاحي تلك الناحية نقلوا آثار ذالك القصر، للانتفاع بترابه في اصلاح الأراضي بِسِبَاخِه، ومع ذالك لا يزال مكانه معروفاً عندهم.

وحَبَّذا لو قامتْ إحدى الجهات المعنية بالآثار في بلادنا بالتنقيب في هذا الموضع، للتثبت من عمرانه قديماً، وقد تهتدي إلى ما تستطيع به الحكم في الموضوع.

ولقد كان من أثر امتداد زمن ولاية إبراهيم بن عربي على هذه البلاد فترة طويلة، أَنِ اتَّخَذَ ضَيعة في هذا الوادي الذي استقر في وسطه.

وقد سبق لأمويين غيره أن اتخذوا الضياع، فكان من أولهم معاوية بن أبي سفيان حين انتزع الخضارم من ملاكها من بني حنيفة، وأحضر لها الزراع من الشام، ثم بعد ذالك استوطن آل أبي حفصة موالي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ هذه البلاد فتملكوا فيها واستقروا منذ ذالك العهد، ولا يستبعد أن تكون لهم في عهدنا بقية، وقد ذكر المتقدمون أن الثلماء ماء حفره يحيى بن أبي حفصة باليمامة وقال فيه:

حَيِّ المنازِلَ قد تقادمَ عَهْدُها ... بين المِرَاخِ إلى نَقَا ثَلْمَائِهَا

ونقل ياقوت عن الحفصيِّ وهو محمد بن أدريس قوله: الثلماء من نواحي اليمامة[1]، وذكر ياقوت أن الجديد نهر أحدثه مروان بن أبي حفصة الشاعر في

---

(١) «معجم البلدان» رسم (الثلماء).

اليمامة، كما ذكر أن الحَاتِمِيَّة نخل وقرية لآل أبي حفصة باليمامة، وأن الزباء عين باليمامة منها شِرْبُ الخضرمة والصَّعفوقة لآل أبي حفصة [1] .

وذكر صاحب كتاب «الأغاني» [2] أن الخليفة العباسي المتوكل أقطع مروان بن أبي الجنوب من آل أبي حفصة أقطعه ضيعة في اليمامة تدعى السُّيُوْح.

أما ابن عربي فقد ذكر صاحب «معجم البلدان» [3] ما نصه: السيح الماء الجاري وهو اسم ماءٍ بأقصى العِرْض وادٍ باليمامة لآل إبراهيم بن عربي. انتهى، وهو يقصد السيح لا وادي العرض، وليس واضحاً إن كان المراد بكلمة (أقصى) أعلى الوادي أو أسفله، ومن المعروف أن في أسفل الوادي سيوحاً كثيرة في منطقة الخرج، ولا يزال اسم السيح يطلق على موضع أنشئت فيه بلدة في عهدنا، وقد ذكر ياقوت أن السيوح من قرى اليمامة التي لم تدخل في صلح خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ لما قتل مسيلمة الكذاب. انتهى.

وليس من المستبعد أن يكون المقصود بالسيوح ـ فيما تقدم ـ سيوح الخرج. وأن آل إبراهيم بن عربي في عهد المتوكل انقرضوا أو ضعفوا عن عمران الموضع فأقطعه الخليفة المتوكل مروان بن أبي الجنوب.

ومهما يكن الأمر فإن هذا الوالي قد استقر في هذه البلاد، وفيها توفي، وبقيت له بقية عرفت بآل إبراهيم بن عربي على ما ذكر ياقوت، ولا أستبعد أنه نقل هذا الكلام من كتاب يحيى بن أبي حفصة، ويحيى هذا من أهل القرن الثالث الهجري [4] .

---

(١) «معجم البلدان»
(٢) ـ ١١/٥ ـ ترجمة مروان بن أبي الجنوب.
(٣) رسم (السيح).
(٤) أنظر: «العرب» ـ س ١ ص ٧٦٩ ـ (الحفصي وكتابه عن اليمامة).

ملامح لحكم ابن عربي هذه البلاد

ماذا يُنْتظر في سياسة بلاد استولت على حكمها دولةٌ قوية، سبق أَنْ كان لسكان هذه البلاد مواقف مع تلك الدولة، هي إلى العِدَاءِ والنُّفْرَةِ أقربُ منها إلى المؤازرة والميل؟ - كما سبقت الإشارة إلى هذا فيما تقدم - ثم ما الذي تطمح تلك الدولة إليه من وراء بسط نفوذها على هذه البلاد أكثر من تأمين الطرق الموصلة للمشاعر المقدسة، لما لها من مكانةٍ ساميةٍ في نفوس المسلمين، وهذا الأمر يكاد أن يكون مرتبطاً بسكان البادية، الذين لا يزال أكثرهم يألف حياة الانطلاق والتحرر من جميع القيود، ويجدون في صحاريهم الواسعة، وجبالهم المنيعة، وأمكنتهم النائية ما يُهَيِّئُ لهم ممارسةَ تلك الحياة في مأمن مما يُحاذِرون منه أو يخافون، فما هو موقف تلك الدولة حيال هاؤلاء وهي لا تزال ناشئة، وإن شئت فقل: قد فتحت عيونها - بعد أن نَأَتْ بقاعدة حكمها عن هذه البلاد - على بلاد أخرى تجد في أهلها من الاستسلام والطاعة، وفي حاصلاتها من الخير والوفرة، ما تطمح إليه، بخلاف هذه البلاد، التي أصبحت عِبْئاً ثقيلاً في نظر رجال الدولة، بكثرة ما ينجم بين سكانها من الخلافات، وما يحدث منهم من ثورات، يستنزف إخمادَها والقضاءَ عليها من الجهد والمال والرجال ما يضعف مركز تلك الدولة، وهي لا تزال بعد في دور الاستقرار، في الوقت الذي لا تفي موارد تلك البلاد المالية باليسير مما تتطلبه المحافظة على الأمن والاستقرار في ربوعها الواسعة، إنَّ الدولة لم تفكر بعد، وستمر أجيالٌ وأجيالٌ قبل التفكير فيما يصلح أحوال سكان هذه البلاد، بإيجاد مختلف الوسائل التي تؤثر في عقولهم وأفكارهم، لكي يدركوا ما في حياتهم التي ألفوها، وعاشوها جيلاً بعد جيل من مجانفة لما يجب أن تُبْنَى عليه حياة الأمم، التي تتطلع إلى البقاء والسعادة، والحياة الرغيدة.

وإذَنْ فلتكن السياسة التي تسير عليها تلك الدولةُ لتحقيق ما تهدف إليـه في هذه البلاد لا تتعـدَّى الاهتمام بشؤون الأمن، دون تعمق في البحث في بـواعث الإخلال به، ومعـرفةِ أسبـاب ذالك، لمحـاولة استئصـال جذور تلك الأسبـاب بوسائل ذات تأثير في العقول والأفكار، قبل إيقاع الضرر بالجوارح والأعضاء.

وها هو الْحَجَّاجُ، بماذا أخضع القسم الغربي من هذه البلاد؟

وهـا هو ابن عـربي، وقد عـايش الـدولـة منـذ نشـأتهـا، وشـارك في رسم سيـاستها، وعـرف الحجَّاجَ وأسلوبـه في تصريف أمـور البلاد التي أسنـدت إليه ولايتها، ومع قداستها فقـد فعل فيهـا الأفاعيـل، فماذا ينتـظر من هذا الـرجل الذي قُلِّدَ ولاية اليمامة، ويُعْنَى بها في ذالك العهد كل بلاد نجد؟.

ومكث ابنُ عربي والياً لليمامة في عهد عبدالملك، وعهـد ابنه الـوليد قـرابة ربع قرن من الزمن (من سنة ٧٣ إلى سنة ٩٦ هـ) فوطَّد دعائم الحكم الأموي، وأخـذ الناس بـالعسف والشدة، فقـد وجد بـلاداً حـديثـةَ عهـدٍ بنـظام الحكم الجديد، ومع أَنَّ قواعد الحكم الإسلامي كانت قائمـةً فيها منـذ أكثر من نصف قرن، إلَّا أن هذه البـلاد كانت قـد أَلِفَتْ حياةً تغلب عليهـا عوامـلُ التحرر إلى درجـة تصل إلى الفـوضى في كثير من الأحيـان، بل إنَّ أكـثرَ سكان تلك البـلاد كانوا يعيشون في هذا العهد كما كان يعيش آباؤهم في العهد الجاهلي، ولم تَرْسَخْ بَعْدُ تعاليمُ الإسلام في نفوسهم، ولقـد اعتادوا منـذ أن انتشر الإسلام وشملهم حكمه أن يتولى أمـورَهُمْ رجل منهم، يعـاملهم بما أَلِفُـوْهُ من أنواع المعـاملة، مما يتلاءم مع ما نشأوا عليه من صفات العزة والكرامة، ولكنَّ الدولة الْآن غيرُ دولة الأمس، التي نشرت الإسلام في الجزيرة، والتي قام حكمها عـلى أساس العـدل والمساواة.

لقد تغير الحكم، فبعد أن كان (خِلاَفَةً) تنشر بين الناس الدعوةَ إلى الخير، والمحبةَ والتآخي، وإزَالَةَ كل أسباب الظلم والقسوة، وتسعى لكل ما يؤلف بين القلوب، ويجلب الطمأنينة والراحة لجميع الناس على السواء، أصبحت تلك الخلافة (مُلْكاً) عَضُوْضاً[1]، يتصف بالعنف والقوة، واختلف في غايته وفي نظرته إلى الناس عن (الخلافة) فكانت غايته السيطرة والقهر، ونظرته للناس تختلف باختلاف قربهم من الحاكم، ومبلغ استجابتهم له، وخضوعهم لحكمه، بل ترجع إلى أبعد من ذالك، وهو سابقة هاؤلاء الناس إبَّانَ نَشْأَةِ هذا الحكم للإخلاص له، ومَدَى أنصِياعِهم لتصرفاته في ذالك الوقت.

وكانت أُوْلَى رزايا هذا الحكم أن أُسْنِدَتْ شؤونه في هذه البلاد إلى رجل من غير أهلها، خلافاً لما كان مألوفاً ومعروفاً في الماضي، إلى رجل غريب كل الغرابة عند أهلها، وبعيدٍ كل البعد عنهم، وبزوال أواصر القربى وروابط الصلة تزول أسبابُ الرأفة، وتشتدُّ القسوة باستحكام سُوءِ الظن، القائم على الجهل.

وهكذا كان الحاكم الجديد، إنَّهُ مغمور النسب، لا تربطه بأهل هذه البلاد رابطةٌ، أسودُ اللون، طُمْطُمَانِيُّ اللسان[2]، كأنه من بني (حام).

ثم هو ـ وإن تولى ديوان عبدالملك، وكتب لمروان ومعه في عهد عثمان وبعده، إلَّا أن عمله ذالك لم يمكنه من معرفة أحوال القبائل الكثيرة التي تسكن نجداً في ذالك العهد، معرفةَ من خالطها، وعاش بينها وعرفها، يضاف إلى ذالك أَنَّ اختيارَهُ لهذا المنصب لم يقم على أساس كفاءة أظهرها في عمل سابق، أو ممارسة لعمل مماثل، بل كان قائماً على مجرد مكافأته ومنفعته هو، لما قدمه لسادته من أعمال، ولما أظهره في خدمته لهم من وفاءٍ. وهكذا كان تعيين

---

(١) إشارة إلى الخبر: الخلافة بعدي ثلاثون سنةً، ثم يأتي مُلكٌ عَضُوض» أي يكون فيه عسف وظلم، و (عَضُوْض) من صيغ المبالغة.

(٢) طمطماني: من في لسانه عجمة، لا يفصح الكلام.

إبراهيم بن عربي، أو (الملك الأسود) كما يسميه بعضهم في ذالك العهد، والياً على اليمامة (نجد) فسار في تصريف أمور البلاد، وحَكَمَهَا بِالأَساليبِ التي كان يحكم بها الحجَّاجُ ولايته الواسعة، والتي يقطنها أقوام يختلفون كل الاختلاف في كل أمورهم عن سكان الجزيرة العربية من العرب، وعما أُلِفُوْهُ من حياة فيها تحرر وانطلاق، وفيها عِزَّةٌ وإِبَاءٌ، وفيها ترابُطٌ وتَآخٍ وتواصُلٌ بين مختلف سكانها.

ولعل في اختيار ابن عربي الاستقرار وسط عرض بني حنيفة وسيلةً استطاع أن يسيطر على أغلب سكان أبناء الحاضرة في هذه البلاد كلها، وأن يمسك بزمام الحكم فيها بشدة.

ومن سِمَات ذالك الحكم أنه كان يأخذ البرِيْءَ بجريرة غيره، ومعروف أن أكثر السكان من أبناء البادية، ولِمَنِ ارتكبَ فيها جُرْماً من صحاريها وقفارها وجبالها ما يستطيع الاعتصامَ به من كل جور وظلم، ولكنه لا يَعْدِمُ ابنَ عمٍّ أو حليفاً يكون قد تحضر واستقرَّ في إحدى المدن، أو أن تكون له قبيلة، تضطرها ظروف حياتها إلى التنقل من مكان إلى مكان طَلَباً لما يصلح أنعامها، فتقع في قبضة هذا الوالي، وقد أحدثَ أحدُ أفرادها أو من له بها صلة حدثاً، فيوقع العقاب على القبيلة كلها، ويأخذ المحسنَ منها بذنب المُسيْءِ سيْراً على ما كان عليه أهلُ الجاهلية قبل الإسلام، أما في صدر الإسلام فقد روى أن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسروا رجلاً من بني عُقَيْلٍ، فَمَرَّ به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا محمد عَلَامَ أُخِذْتُ وأُخِذَتْ سابِقَةُ الحُجَّاج؟ فقال: **«أُخِذْتَ بجريرة حلفائِك من ثَقِيفٍ، فقد أَسَرَتْ رجلَيْنِ من أصحابي»** فمضى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فناداه: يا محمد! يا محمد! فقال: **«مَا شأْنُك؟ . .»** فقال: إني مسلم. فقال: **«لَوْ قلتَهَا وأَنْتَ تملِك أمْرَك أَفْلَحْتَ كُلَّ**

الفلاح» وفادَى به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجلين[1]. ولكن هذا بالنسبة لقوم كانوا مُحَارِبِيْنَ أَعْداءً، ومع ذالك فقد وردت النصوص الشرعية بعد ذالك بإبطاله، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «**ولا يَجْنِي جَانٍ إلَّا على نفسه**» غَيْرَ أنَّ ابنَ عربي بل ولاة عهده كلهم ما كانوا يتقيدون في كل أحكامهم بالنصوص الشرعية، جاء في ديوان الفرزدق[2]: كانت الولاة في ذالك العهد تأخذ القبائل بجرائر العُصَاة منهم، وتُغَرِّمُهُمْ أعْطِيَاتِهِم، فعل بهم ذالك إبراهيم بن عربي، وكان على اليمامة وعلى صدقات عمرو، وحنظلة.

ثم أورد قصيدة للفرزدق في مدح الجرَّاح بن عبدالله الْحَكَمِيِّ، ويبدو منها أنه كَانَ يشكو ما فعل إبراهيم بن عربي فقد جاء فيها:

وَإِنَّـا أَهْـلُ بَـادِيَـةٍ وَلَـسْـنَـا ... بِـأَهْـلِ دَرَاهِمٍ حَضَـرُوْا الْقَـرَارَا
أُزَكِّـي عِـنْـدَ إِبْـرَاهِـيْـمَ مَـالِي ... وَأُغْـرَمُ عَنْ عُـصَـاةِ بَـنِي نَـوَارَا
فَـإِلَّا يَـدْفَـعُ الْجَـرَّاحُ عَـنِي ... أَكُنْ نَجْـاً بِغَـرْبِ الْأَرْضِ غَـارَا
فَلَوْلَا أَنْتَ قَـدْ هَـبَـطَتْ رِكَـابِي ... مِـنَ الْأَوْدَاةِ أَوْدِيَـةً قِـفَـارَا
قَـوَاصِـدَ لِـلإِمَـامِ مُـقَلَّصَـاتٍ ... يَـصِـلْنَ بِلَيْلِهِنَّ بِـنَـا الـنَّـهَـارَا

ولعله شَكَا إلى الجراح حينما كان والياً على البصرة من قبل الحجاج من سنة سبع وثمانين إلى سنة سبع وتسعين.

فالفرزدق وقومه كانت بلادهم في ذالك العهد على صلة بالبصرة حيث ينتشرون حول (كَاظِمة) الواقعة شمال الكويت وفيها قبر غالب أبي الفرزدق، ومع أن الفرزدق من ذوي الحظوة والمكانة لَدى الخليفة ورجال الدولة، إلَّا أنَّ ابن عربي لم يُعِرْ هذا أيَّ اهتمامٍ مما اضطر الفرزدق إلى الاتصال بأقرب أمير،

---

(١) «صحيح مسلم» (النذر) ـ ٣/٢٦٢ ـ و«مسند أحمد» ـ ٤/٣٤٠ ـ.
(٢) ـ ص ٢٢٨ ـ طبعة الصاوي.

لكي يبلغ شكايته للخليفة، كما شكى شعراءُ آخرون ما يلاقونه من عسف هـذا الوالي إلى الخليفة نفسه، وإلى بعض ولاته، وهذا يَدُلُّ على أن عبدالملك قد ترك لهـذا الوالي الْحَبْـلَ على الغـارب، ومكَّنَهُ من التصـرف في أمـور الـرعيـة حسب ما يهوى، ولهذا فما الذي يَضِيرُهُ من هاؤلاء الشعراء؟ إنه لا يرى ما يراه غيرُهُ مِنْ أَنْ عَـدَاوتَهُمْ (بِئْسَ الْمُقْتَنَى) بل لـه موقف آخر خلاف هذا ـ سيأتي الحديث عنه ـ.

وكان الولاةُ في ذالك العهد مع عدم مراعاة كثير منهم لما تجب مراعاته بشأن الرفق بالرعية ورعاية حقوقها حيث كانوا، يتعدون حدود الله في إيقـاع العقوبـة على من لم يرتكب جرماً، فهم قـد يتخذون من بعض الأمـور المشروعـة وسائِـلَ للعسف والاستبـداد، ومن ذالك جبـاية الـزكوات من أبنـاء الباديـة، فقد كـان يحـدث من السعـاة الـذين يبعثهم ابن عـربي لجمعهـا من القبـائـل من الحيف والقسوة والظلم ما عبَّرَ عنه كثير من شعراء ذالك العصر، بـل قد رسم ثـلاثةمن مشهوريهم أبشع صور لتلك الأفعال.

لَقَـدِ استطاع الشـاعر الـراعي النميري أن يتَّصِـلَ بـالخليفـة عبـدالملك بن مـروان، ليشكو إليـه ما يـلاقيه قـومـه من ظلم ولاة ابن عـربي، وصَـوَّرَ ذالـك بقصيدة تُعَدُّ من عيـون شعره[1]، ولا يتسـع المجال لإبـراز ما تحويه من وصف تلك الأفعال الجائرة، وما تعـبر عنه من حـزن وألم ومرارة، لقـد أقسم فيها بـأنه لا يقـول إلَّا الحق، حين يخبر عن جـور السعـاة وظلمهم، وأنهم قَـطَّعـوا ظَهْـرَ الْعَرِيف بالضـرب بالسيـاط مغلولاً، ولم يتركـوا لعظامـه لحماً ولا لفؤاده عَقْـلاً، وأنهم استصفـوا خيار المـال، بحيث تركـوا الْغَنِيَّ فقيراً، والفقـير هزِيـلاً عاجـزاً لا يجد ما يحمله إلى المكـان الذي يـأمل أن يلقى فيـه ما يقتـات به، لقـد تركـوه كَهُدْهُدٍ كُسِرَ جناحُه.

(١) تقع في أكثر من تسعين بيتاً في «جمهـرة أشعار العـرب» وفي ديوانـه من ص ٢١٣ إلى ص ٢٤٢ ـ وتقدمت بعض أبيـاتها في ص ٣٠ بعنوان (الشعر مرآة ذالك العصر).

وصور الحالة في قصيدة أخرى[1]، فذكر في خطابه للخليفة أن من أَمَـرْتَهُمْ بالعدل فينا أَزروْا بأموالنا[2]، فما أبقوا منها شيئاً ولا عدلوا، فَهُم يأخذون الزكاة مضاعفة، ويبلغ بهم الأمـرُ أنهم يأخـذون من الفقير الـذي لا تجب عليه زكـاة، ولا يجـد من المال إلاَّ نـاقةً يحلبهـا لعيالـه فيأخـذونها منهُ حتى افتقـر ذوو المـال، واصطفوا خيار أموال الأثرياء فلم يبقوا لهم إلاَّ عُقَدَهَا ـ مالاَ خَيْرَ فِيْهِ منها ـ.

والشـاعر الـراعي النُّمَيري هـذا تحلُّ قبيلتـه في جنـوب السِّرِّ، وغـربـاً إلى العِرْض.

أما الشاعر الثاني وهـو عَمْرُو بْنُ أحمـر الباهـليُّ فقد كـان قومـه منتشرين في الْعِرْضِ [3] وما حـوله، وقـد لاقوا من الحيف والـظلم ما صـوره في قصيدة من عيـون شعره، قـالها حـين التجأ إلى عَمِّ الخليفـة يحيـى بن الحكم بن مـروان، وكان أميراً عـلى المدينـة سنة خمس وسبعـين[4]، شاكيـاً إليه مـا يفعله عمال ابن عـربي وعرفـاؤهم، وأنهم يضربـون النـاس بـالسيـاط، لكي يتـركـوا لهم خيـار أمـوالهم، حتى أحرقهم ظلم السُّعَـاة، واستصرخ بـه قائـلاً: أَدْرِكْ نساءً وشِيبـا لاقرار لهم!! وتعجَّب: لِمَ يظلُمُونَا؟! هل في صدورهم حقـد أو ضغينة علينـا!! ثم يقرر بأنه لم يقل غير الصدق، فهو في الثامنة والثمانين من عمره.

أما الشاعر الثالث وهو الراجـز الْعَجَّاجُ واسمـه عبدالله بن رُؤْبـةَ السعديُّ ـ التميمي، وهو ممن أُصْفَى رجال الدولة الأموية في عهده كسليمان بن عبـدالملك وابن عربي وغيرهما، أصفاهما المدحَ وبالغ بالإشادة بـأعمالهم، ومـع ذالك فقـد رسم أَبْشَع صورةٍ لتصـرف العرفـاء [5] الذين تختـارهم الدولـة للإشـراف على

(١) ـ دالية ـ تقدمت أبيات منها في ص . (٢) أجْحَفُوْا بأخذها.

(٣) (عرض شَمَام) المعروف الآن بـ (عرض القويعية) وانظر كتاب: «باهلة القبيلة المفترى عليها» لتحديد بلادهم.

(٤) ولي يحيـى بن الحكم بن أبي العاص إمارة المدينة سنة خمس وسبعين لعبـدالملك بن مروان ثم استخلف عـلى عمله أبان بن عثمان «تاريخ ابن جرير» ـ ٦/٢٠٢ ـ ٢٠٩ ـ. (٥) تقدم الكلام عن (العرفاء) في ص .

شؤون الجبابات كالزكوات والغرامات وغيرها. ووصف ما حلّ بالرعية من الفقر والفاقة بسبب ظلمهم وجورهم مع ما أبْتُلِيَتْ به البلادُ من قحط وجدب، وهو في تصوير تلك الحالة يريد الاعتذار عن ابن عربي حين طلب منه الخليفة بيان ما لديه من الجبايات فقال [1] ما ملخصه:

قَالَ لَهُ الإمامُ: مَا جَمَعْتَ لِي؟ — فقالَ إبراهيمُ عُذْرَ المُؤْتَلِي
أَمَا وَعَهْدِ الله أَنْ لَمْ أَغْفُلِ — جَمْعاً ولكنَ جَمِيعَ عَمَلِي
شَقَّقَهُمْ شَلُّ السِّنِينَ الشُّلَّلِ — يَدَعْنَ ذَا الثَّرْوَةِ بَالْمُعَيَّلِ
وَصَاحِبَ الإقْتَارِ لَحْمَ الجَيْئَلِ [2] — والْعَضُّ مِنْ جَذْبِ زَمانٍ مُعْضِلِ
وَعُرَفَاءُ لِلإمَامِ حُمَّلِ — عَلَى العَمَى وَعَنْ هُدَاهُمْ ذُهَّلِ
ولِلأَمِيرِ مُعْنِتِينَ غُلَّلِ — مِنْ حُرُماتِ الله مَا لَمْ يُحْلَلِ
وَإنْ لَقُوا ذَا ضَعْفَةٍ قَالُوا: اجْعَلِ — فإِنْ يُوَضِّحْ بِالْخَبِيث الأَقْلَلِ
يَرْضُوْا وَيَنْسَوْا خفَرَ التَّزَوُّلِ — وَإنْ يَقُلْ: لا جُعْلَ عِنْدِي، يُعْكَلِ [3]
يُقَالُ عُمَّالٌ وَشَرٌّ عُمَّلِ — وَلاَ أُحَاشِي عَنْ فُلٍ وَلاَ فُلِ
مِمَّا يعَافُ الصَّالِحُونَ يأْكُلِ — وَجْدَ الكَلِيبِ باللِّحَامِ الصُّلَّلِ
مُسْتَبْطِناً أَمَانَةً كَالْمُنْخُلِ

ثم بعد ذالك وصف ما أصاب الرعية من التشتت بسبب الفقر، ومعروف أن قومه بني تميم كانوا منتشرين فيما بين عارض اليمامة إلى ساحل الخليج، ومن أقصى يَبْرِيْنَ إلى قرب البصرة.

لم يحدث لتلك الصرخات المدوِّية أيُّ صدى في آذان ذوي الشأن، الذين لا شك أن ابن عربي يسعى لتحقيق أهدافهم وغاياتهم، وفق رغباتهم.

---

(١) «ديوان العجّاج» ـ ص ٢٠٩ ـ تحقيق الدكتور عزت علي.
(٢) الجَيْئَلُ: الضَّبُعُ الأنثى.
(٣) يُعْكَلُ: يُحْبَس.

ووسيلة أخرى لهذا الوالي - وما أكثر وسائل الظلم!! - تلك قسوته في معاقبة من أراد معاقبته، ومن أبرز مظاهر هذه القسوة أنه أنشأ في مدينة (حَجْر) سجناً عرف باسم (دَوَّار) سجل الشعر العربي في ذالك العصر الكثيرَ مما كان يلاقيه المسجون فيه من قسوة وعنف، وسوء معاملةٍ، إنه يكبل بسلاسل من حديد ثقيلة فتظاهر عليه الكُبول، ويصفَّدُ مغلولاً مع غيره في (الْمِقْطَرَة) ويُطرح أرضاً لا يستطيع الحراك، ولا يُرْحَمُ إن شكَا مرضاً أو ألماً - وسأفرد الحديث عنه في بحث آخر -.

وكما سبقت الإشارة إلى أن الباحث لا يجد فيما بين يَدَيْه من المصادر ما يستطيع أن تتضح له به الطريقة التي كان ابن عربي يحكم بها هذه البلاد، إذْ لم يتصدَّ أحد من مؤرخي البلاد أنفسهم - فيما أعلم - من أهل ذالك العصر لبحث أمثال هذه الموضوعات، كما أن المعنيين بالتاريخ بصفة عام لم يُعْنَوْا بتفصيل ما كان يجري في البلاد البعيدة عن مقر الخلافة أو قواعد الأقطار المشهورة، ومنها المدينتان المقدستان.

وقصارى ما يجده الباحث ما ورد في شعر أهل ذالك العصر - على قلته - وعلى تحاشي كثير من المؤرخين من إبراز ما فيه انتقاص أو نيل من الدولة التي يعنى بالحديث عنها.

سجن دوار في حجر في عهد ابن عربي

و (دَوَّارُ) هذا السجن - كان من أبرز وسائل القهر والإذلال التي عُرِفَتْ عن ابن عربي، مِمَّا بقي صدَى شِدَّةِ ما يلقاه المسجونون من الأذَى فيه يتردد في سمع الزمان، على تعاقب أوقاته، فيما أُثِرَ من شعر ذالك العصر، وما كان الشعراء وحدَهم الذين قاسوا من صنوف التعذيب داخلَ ذالك السجن ما دفعهم ليرفعوا عقائرهم، وليجأروا بالشكوى والتوجع، ولكن الشعر - الباقي السائر منه - هو الذي حُفِظَ، بين أناس لم يُعْنَوْا بتاريخهم، ولم يَتَصَدَّ مؤرخو عصرهم من غيرهم للاهتمام بذالك التاريخ. ولهذا لا تُمِدُّ المصادِرُ الباحثَ عن أحوال هذا السجن بأكثر من ضبط اسمه (دَوَّار) - بفتح الدال والواو المشددة بعدها ألف فراء - وإشارات موجزة أبرزها بيان موقعه في (حَجْرٍ) وارتباط وجوده في هذه البلاد أثناء إسناد ولايتها من قبل عبدالملك بن مروان إلى ابن عربي، في عشر الثمانين من القرن الأول الهجري، مما يفهم منه أنه مما أَحْدَثَ ذالك الوالي، متأثِّرًا في ذالك نهجَ قدوته الحجاج، في العنف والشدة، والقسوة في المعاملة، ولعل هذا السجن له من اسمه نصيب، فمن المعاني اللغوية لكلمة (دار) وما تصرف منها الإصابةُ بالدُّوَارِ، وهو دَاءٌ يصيب دماغ المرء فيفقده الاهتمام بما يريد، أفترى ما يُوْقَعُ بضيف هذا السجن من التعذيب يبلغ به هذه الحالة؟ ليس بمستبعد هذا والشاعر يقول في وصفه أو سِجْنٍ مماثِلٍ له:

كَأَنَّ سَاكِنَهُ حَيًّا، حُشَاشَتُهُ   مَيْتُ تَرَدَّدَ فِيهِ السُّمُّ فِي الْجَسَدِ

ويحسن الإلمام بلمحة عن السجون عند العرب، بمناسبة الحديث عن هذا السجن الذي يُعَدُّ من أوائل ما أُنْشِيءَ منها في هذه البلاد، ولعله أولُ سجنٍ عرف فيها، فما كان للعرب في عهدهم القديم - كما يفهم من أخبارهم وأشعارهم التي بين أيدينا - مَعرِفَةٌ بالسجون، ولا بما يُستعمل فيها من وسائل التضييق على

المساجين، إلا ما كان يَجْري ممن لهم صلة بدولتي الفرس والروم، بحدود بلادهم الشرقية والشمالية، وبعد اتصالهم بالأعاجم، أثناء الفتوحات الإسلامية للأقطار التي كانت تحت سيطرة الدولتين المذكورتين، كالعراق والشام ومصر والمغرب.

ومن هنا فلم يُعْرَفِ السجنُ ـ مكاناً متميزاً ـ في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل كان المسجد يتخذ سجناً، إذ يربط المسجون بأحد سوارِيْهِ، كما حدث لثمامة بن أُثَالٍ الحنفي ـ أحد سادةِ هذه البلاد ـ حين أسرته إحدى السرايا النبوية[1]. وقد يحتاط في السجن فيوضع المسجون في مكان يصعب عليه الخروج منه، كالحُفَر العميقة القعر، أو سراديب الحصون المظلمة، كما فعل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالحطيئة[2] الشاعرِ حين هجا الزِّبْرِقَانَ بنَ بدر التميميَّ، فسجنه في جوف بئر[3] فقال:

مَاذَا تَقُوْلُ لِأَفْرَاخٍ بِذِيْ مَرَخٍ ... زُغْبِ الْحَوَاصِلِ لاَ مَاءٌ، وَلاَ شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَاعُمَرُ

وكما فعل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حين هجاه عبدُ الرحمن بن حِسْلٍ مولى بني جُمَحٍ، فبعث به إلى خيبر، حيث سُجِن في مكان ضيق مظلم في أسفل حصن الْقَمُوْصِ، وكان مُعَدًّا للسجن في ذالك الحصن الذي كان من إنشاء اليهود، فقال:

إِلَى اللهِ أَشْكُو ـ لَا إِلَى النَّاسِ مَا عَدَا ... أَبَا حَسَنٍ غِلًّا شَدِيْداً أُكَابِدُهْ
بِخَيْبَرَ فِي قَعْرِ الْقَمُوْصِ كَأَنَّهَا ... جَوَانِبُ قَبْرٍ أَعْمَقَ اللَّحْدَ لَاحِبُهْ
أَأَنْ قُلْتُ حَقًّا أَوْ نَشَدْتُ أَمَانَةً ... قُتِلْتُ؟ فَمَنْ لِلْحَقِّ إِنْ مَاتَ طَالِبُهْ؟

---

(١) انظر نص الخبر في «صحيح البخاري» كتاب «المغازي» الباب الـ (٧٠) وهو في «فتح الباري» المجلد الثامن ـ ص٨٧ ـ.
(٢) «ديوان الحطيئة».
(٣) «الأوائل» لابي هلال العسكري ـ ١/٢٣٦ ـ ط. دار العلوم ـ الرياض.

وقيـل: إن عليا كلم فيـه عثمان فـأطلقه، وشهـد معه الجَمَـل، ثم صِفّيْنَ حيث قتل[1]. وجاء في «شرح ديوان الحطيئة»[2] وكانتِ السُّجُوْنُ أُهْوِيًّ، وأولُ من جعلها بناءً علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بنا سجنـاً في الكوفـة، فسماه (نَافِعاً) بناه من قصب، فلم يكن محكماً، فكان المسجونون يهربون منه، مما حمله على بناء سجن أقوى إحكاماً، وأوثق وسماه مخيسا وقال فيه:

أَلَا تَـرَانِيْ كَـيِّسـاً مُـكَـيِّسَـا   بَـنَيْـتُ بَـعْـدَ نَـافِـعٍ مُخَـيِّسَـا

حِصْناً حَصِيْناً، وَأَمِيْـراً كَيِّسَـا[3]

والمفهـوم من كلمة(أُهْـوِيًّ) العمقُ في الانحدار والهـوة الحفـرة، البعيـدة القعـر وسُمِّيَ مُخَيَّساً لأنه يُخَيِّسُ الناسَ، حيث يبلغ المسجونون فيه من شدة الأذى غايةَ الإذلال كما قال الفرزدق:

فَـلَمْ يَبْـقَ إلَّا دَاخِـرٌ فِي مُخَـيَّسٍ   ومُنْجَحِـرٌ فِي غَيْرِ أَرْضِـكَ فِي جُحْرِ

والمُخَيَّسُ السجن موضع التذليل، بفتح الياء وكسرها[4]، وقال النابغة:

وَخَـيِّسِ الْجِنَّ إِنِّيْ قَـدْ أَذِنْـتُ لَهُـمْ   يَبْنُوْنَ (تَدْمُـرَ) بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَـدِ

أي أرغمهم وأذِلَّهُمْ بالقهر ليبنوا مدينة تَدْمُر. وقال الهجـري[5]: الْمُخيَّس ـ بفتح الياء ـ وهذا عَجَبٌ من كلام العرب، والْمُكَعْبَرُ أيضا اسمُ قائد كان لِكِسْرَى بالْمُشَقَّرِ ليس غير هٰذَيْن. انتهى.

ويبدو أن اسم (مُخَيَّسٍ) بعد ذالك أصبح يطلق على كـل سجن، فقد ذكـر يـاقوت[6] أن البيضـاء ـ بيضاء البصـرةِ هو المخَيَّس، قـال جَحْـدَر، الْمُحْـرِزِيُّ

(١) «الإصابة» ـ ج ٢ ص ٣٢٢ ـ الطبعة الأولى.
(٢) مخطوطة الزركلي الورقة الرابعة ـ ولدي مصورة المخطوطة وكذا وردت (أُهْوِي).
(٣) «معجم ما استعجم» رسم (نافع).
(٤) «تاج العروس» رسم (خيس).
(٥) «التعليقات والنوادر» ـ ٣٧٧ ـ المخطوطة الهندية.
(٦) «معجم البلدان» رسم (البيضا).

اللِّصُّ، وقد حُبس بها:

أَقُولُ لِلصَّحْبِ فِي الْبَيْضَاءِ دُونَكُمُ ... مَحَلَّةٌ سَوَّدَتْ بَيْضَاءَ أَقْطَارِي
مَأْوَى الْفُتُوَّةِ لِلأَنْذَالِ مُذْ خُلِقَتْ ... عِنْدَ الْكِرَامِ مَحَلُّ الذُّلِ وَالْعَارِ
كَأَنَّ سَاكِنَهَا مِنْ خَوْفِهَا أَبَداً ... لَدى الْخُرُوجِ كَمُنْتَاشٍ مِنَ النَّارِ

وأورد الهجريُّ في «التعليقات والنوادر»(١) من قصيدة طويلة لنهار بن سنانٍ الشَّهَّاقِ وهو مسجون:

أَقُولُ وَأَبْوَابُ الْمُخَيَّسِ دُونَنَا ... مُظَاهَرَةَ الأَرْكَانِ قُفْلاً عَلَى قُفْلِ
أَلاَ يَاأَبَا السَّلاَّمِ هَلْ أَنْتَ رَافِعِي ... عَلَى الطَّاقَةِ الْعُلْيَا قَلِيلاً عَلَى جُعْلِ
لَعَلِّي أَرَى بَرْقاً وَإِنْ كَانَ دُونَهُ ... ذُرَى الْمُشْرِفَاتِ الشُّمِّ مِنْ حَرَّتَيْ بَهْلِ

ومن السجون المعروفة في ذالك العهد:

عَارِمُ: فاعل من العُرام ـ ومن معانيه الشدة والشراسة والأذى، وهكذا يعامل المسجونون فيه، وهو سجن كان في مكة، قال فيه كُثَيِّرٌ يخاطب عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه (٢):

تُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتَ أَنَّكَ عَائِذٌ ... بَلِ الْعَائِذُ الْمَسْجُونُ في سجْنِ عَارِمِ

ويعني محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الْحَنَفِيَّة ـ وكان ابنُ الزبير سجنه في عارم، وسجن فيه ابنه حمزةَ لما عزله عن ولاية البصرة، وطالبه بخراجها، فقال: وفد عليَّ قومي فوصلتهم. وقال الشاعر:

إِنَّ النَّدَى وَالْمَجْدَ إِنْ جِئْتَهُ ... والْحَامِلَ الثِّقْلَ عَنِ الْغَارِمِ
وَالْفَاعِلَ الْمَعْرُوفَ فِي قَوْمِهِ ... مُكَبَّلٌ فِي السِّجْنِ مِنْ عَارِمِ

---

(١) المخطوطة الهندية ـ ٢٣١ ـ وص ٩٠٩ قسم الشعراء من ترتيب حمد الجاسر.
(٢) «معجم ما استعجم» ـ رسم (عارم).

وممن سجنه ابن الزبير في سجن عارم أبو صَخْرٍ الْهُذَلِي [١] .

وَالدَّيْماسُ : بكسر أوله وفتحه وبالياء المثناة التحتية، بعدها ميم فألف فسين مهملة، ومعناه السَّرَبُ، أي الحفير تحت الأرض، سُمِّيَ بذالك لظلمته، ويقال: دَمَسْتُ الرجلَ إذا قبرته، تشبيها للقبر بالسَّرَب، وسُمِّي هذا الحبس دِيْماساً لضيقهِ، وفي خَبَرِ المسيح الدَّجَّال: سَبِطُ الشَّعْرِ، كَثِيْرُ خِيْلَانِ الوجْهِ، كأنَّما أُخْرِجَ من دِيْماسٍ ، أي كأنما أخرج من كِنٍّ.

وهذا السجنُ كان للحجاج ـ أو غيره من عمال العراق [٢] .

ثم تَفَنَّنَ الإنْسَانُ في وسائل تعذيب أخيه الإنسان، بإيجاد أنواع من السجون، كالْمَطْمُوْرَةِ، وهي مكان محفور تحت الأرض ـ كالدِّيْماسِ ـ يُوَسَّعُ أسفلها، ويضيقُ أعلاها، لئلا يتمكن السجين مِنَ الصعود فيها فيهلك في داخلها، والْمُطمِرَاتُ المهلِكات، من طمرت الشيء إذا أخفيته، ومنه المطمورة الحبس [٣] .

والْمُطْبَقُ ـ وهو سجنٌ تحت الأرض أيضاً ـ ولكنه كَالْبِئْرِ، لا منفذ فيه إلا من أعلاه الذي يحكم إغلاقه بِطَبَقٍ ـ أي غطاء ـ من عمق غَوْره، بحيث لا يستطيع السجين الخروج إلا إذا هُيِّئَتْ له وسائله.

ويُمَثِّلُ المطمورةَ والْمُطْبَقَ ما عرف في عهدنا من أنواع السجون كَـ (الدَّبَّابِ) و (القبو) [٤] وكُلُّ واحد منهما سَرَبٌ مظلم ضيق تحت الأرض، قَلَّ أن يخرج

---

(١) وكان أبو صخر موالياً لبني مروان ولهذا حبسه ابن الزبير حتى قتل ـ وانظر تفصيل ذالك في «الأغاني» ـ ٢٣ / ٢٦٨ ـ طبعة الثقافة.

(٢) «معجم ما استعجم» وسيأتي أن الدّيماس سجن بناه الحجاج في مدينة واسط.

(٣) «تاج العروس» رسم (طمر).

(٤) وفيهما قال أحد شعراء العامة من سدير:

في (دَبَّـــاب) مالِـــهْ بـــاب . .

داخِلُها، لشدة ما يلقاه من العذاب.

ومن وسائِلِهِ (الجامِعَةُ) وهي غِلٌّ من حديد، تجمع بين يَدَي السجين وعنقه، مع تصفيد رجلَيْهِ بقيود من حديد، تُجْمَعُ مع أرجلِ آخرين (مُقَرَّنِينَ في الأَصْفَاد) وتُظَاهَرُ فوقَ الأَصْفادِ الكُبُوْلُ الثقيلة، بعضها فوق بعض.

ونوع آخر من تعذيب المساجين ـ وما أكثر ما يعذَّبُون في تلك السجون ـ عبر عنه أحدهم وهو في سجن (دَوَّار) إذْ قال:

يُغْشَوْنَ مِقْطَرَةً كَأَنَّ عَمُوْدَهَا   عُنُقٌ يُعَرِّقُ لَحْمَهُ الجَزَّارُ

والمِقْطَرَةُ خشبة فيها خروق، أو خشبتان مستطيلتان فيهما خُرُوْقٌ لا تتسع إلا لعظم الساق، تُدْخَلُ أرجلُ المحبوسين، مضمومة بعضها إلى بعض في تلك الخروق، وأيديهم مثقلة بالكبول، وقد طُرِحُوا أرضاً بحيث لا يستطيعون حِرَاكاً، وهذا النوع من التعذيب قد عرفه العرب في عهد متقدم، إذ ورد في صِفَة العباس بن عبدالمطلب عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: كان ثَوْباً لعاري بني هاشم، وجَفْنَةً لجائعهم و (مِقْطَرَةً) لسفيههم [1].

وبعض النفوس الشِّرِّيْرَة تتلذذ بتعذيب الناس، وقد تتخذ مما قد توقعه بهم من أذى مجالاً للتندُّرِ والتفكُّهِ، كما يروى عن الحجاج أنه كتب إلى عامله: أنِ ابْعَثْ لي فُلَاناً مُسَمَّعاً مُزَمَّراً. إن المتبادر إلى الذهن أن المراد ابعثه بَهِجًا مسرورا بما يسمعه من الغِناء والزَّمْر، والواقع أنه يقصد ابْعَثْهُ مقيَّداً مُسَوْجَراً منَ المِسْمَعِ والزَّمَّارة، وهما من آلات التعذيب في السجن كما في قول أحدهم:

وَلِي مِسْمَعَانِ وَزَمَّارَةٌ   وظِلٌّ مَدِيْدٌ، وحِصْنٌ أَمَقُّ

= وقال الزركلي:

أَسْمَعْ أَنِينَ (القَبْو) كم   في (القبو) من خَنِقٍ كَظِيم

(١) «لسان العرب» رسم (قطر) و «المنمق» لابن حبيب ـ ٢٦ ـ.

فقد ألغز بالمِسْمَعَيْنِ عن الْقَيْدَيْنِ لأنهما يُغَنّيانه إذا تحرك، وبالزمارة عن الجامعة وبالظل المديد: ظلمة السجن، وبالحصن الأَمَقِّ: وهو الطويل في السماء المرَّد عن حصانَةِ السجن ووثاقة بنيانه، وأنه لا سبيل إلى التخلص منه [1].

وها هي نماذج من الشعر في وصف (دَوَّارٍ) ووصف أمثاله من سجون ذالك العهد، مما أوردته كتب الأدب أو دواوين الشعر.

كان جَحْدر بن مالك الحنفي فاتكاً شاعرا، وكان لِصاً كثير الأَذَى لأَهْلِ (حَجْرٍ) ونواحيها ومن شعره:

وَإِنَّ امْـرأً يَغْدُوْ و(حَجْـرٌ) وراءَهُ ... وَ (جَـوٌّ) وَلَا يَغْـزُوْهُمَـا لَضَعِيْفُ
إِذَا حُـلَّةٌ أَبْـلَيْتُـهَـا ابْـتَـعْـتُ حُـلَّةً ... بِـسَـانِيَـةٍ طَـوْعُ الْـقِيَـادِ عَـلِيْفُ
سَعَى الْعَبْـدُ أَثْـرِيْ سَـاعَـةً ثُمَّ ردَّهُ ... تَـذَكُّـرُ تُـنُّـوْرٍ لَـهُ وَرَغِـيـفُ [2]

فظفِرَ به إبراهيم بن عربي، فرمَى به في سجن دَوَّار، ومن شعره وهو فيه:

يَـارَبَّ (دوَّارٍ) أَنْقِـذْ أَهْلَهُ عَجِـلاً ... وَانْقُضْ مَـرَائِـرَهُ مِنْ بَعْـدِ إِبْـرَامِ
رَبِّ ارْمِـهِ بِخَـرَابٍ وَارْمِ بَـانِيَـهُ ... بِصَـوْلَـةٍ مِنْ أَبِي شِبْلَيْنِ ضِـرْغَامِ

وقال أيضاً:

إِنِّيْ دَعَـوْتُـكَ يَـا إِلَـهَ مُحَـمَّـدٍ ... دَعْـوى فَـأَوَّلُهَـا لِيَ اسْـتِـغْـفَـارُ
لِتُجِيْـرَنِيْ مِنْ شَرِّ مَـا أَنَـا خَـائِفٌ ... رَبُّ الْـبَـرِيَّـةِ لَيْسَ مِـثْـلَكَ جَـارُ
تَـقْضِيْ وَلَا يُـقْضَى عَـلَيْـكَ وإِنَّمَـا ... رَبِّـي بِـعِـلْمِـكَ تَـنْـزِلُ الْأَقْـدَارُ
كَـانَتْ مَنَـازِلُـنَـا التي كُـنَّـا بِهَـا ... شَـتَّى فَـأَلَّفَ بَـيْـنَـنَـا (دَوَّارُ)
سِجْنٌ يُـلَاقِـي أَهْلَهُ مِـنْ خَـوْفِـهِ ... أَزَلًا وَيُـمْـنَـعُ مِـنْهُـم الـزُّوَّارُ
يُغْشَـوْنَ مِقْـطَرَةً كَـأَنَّ عَمُـوْدَهَـا ... عُـنُـقٌ يُـعَـرِّقُ لَحْـمَـهُ الجَـزَّارُ

---

(١) «التكملة» للصاغاني ـ ٣/١٢ ـ.

(٢) «معجم البلدان» ـ رسم (حجر).

ومن قول جحدر:

يَـاصَاحِبَيَّ وبَـابُ السِّجْنِ دُوْنَكُـمَا   هَـلْ تُؤْنِسَانِ بِصَحْـرَاءِ اللِّوَى نَـاراً؟
لِوَى (الدُّخُوْلِ) إِلَى الْجَرْعَاءِ مُوْقِدُهَا   وَالنَّـارُ تُبْدِيْ لِـذِي الْحَاجَاتِ أَذْكَـاراً
لَـوْ يُتْبَـعُ الْحَقُّ فِيـهَا قَـدْ مُنِيْتُ بِـهِ   أَوْ يُتْبَـعُ الْعَـدْلُ مَـاعَمَّـرْتُ (دَوَّارَا)
إِذَا تَحَـرَّكَ بَـابُ السِّجْـنِ قَـامُ لَـهُ   قَـوْمٌ يَمُـدُّوْنَ أَعْنَـاقـاً وأَبْصَـاراً [١]

ثم إن الحجاج إذ كان والي العراق والمشرق كله، علم بجحـدر فأمـر ببعثه إليه فرماه بسجن (الدِّيْمَاس) الذي بناه في مدينـة (واسط) وكانت الْأَسـوَدُ تُحْضَرَ إِلىَ ذَالِكَ السِّجْنِ وتُجَوَّعُ لِتَفْتَرِسَ أهلِهُ فقال جحدر:

إِن اللَّيَـالِي نَجَتْ بِيْ فَهْيَ مُحْسِنَـةٌ   لاَشَـكَّ فِيْهِ مِنَ الـدِّيْمَاسِ والْأَسَـدِ
وأَطْلَقَتْنِيْ مِنَ الْأَصْفَـادِ مُخْـرِجَـةً   مِنْ هَوْلِ سِجْنٍ شَدِيْدِ الْبَأْسِ والرَّصدِ
كَـأَنَّ سَـاكِنَـهُ حَيًّـا حُشَـاشَتُـهُ   مَيْتٌ تَـرَدَّدَ فِيْـهِ السُّمُّ فِيْ الْجَسَـدِ

ويحسن أن أُخَفِّفَ سَأَمَ القارِئِ من جفاف البحث، بإيـراد خَبَرِهِ كـما ساقـه صـاحب «خزانـة الأدب» [٢] نقلاً عن كتـاب «المحاسن والمسـاوئ» قال: كـان بـاليمامـة رجل من بني حنيفـة، يقال لـه جحدر بن مـالك، وكـان لَسِناً فـاتكـاً شـاعراً، وكـان قد أفحش عـلى أهل حَجْـرِ وناحيتهـا، فبلغ ذالك الحجـاج بن يوسفَ فكتب إلى عامل اليمامة يوبخه من تلاعب جحدر به، ثم يـأمر بـالتجُّردِ في طلبه حتى يظفر به، فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حنظلة، وجعـل لهم جُعْلاً عظِيماً إنْ هُمْ قتلوا جَحْدرًا أو أتوا به أَسِيْراً، وَوعدهم أن يـوفدهم إلى الحجاج ويُسْنِي فرائضهم، فخرج الفتيةُ في طلبه، حتى إذا كانوا قريباً منه بعثـوا إليه رجلاً منهم، يُـرِيه أنهم يـريدون الانقـطاع إليه، فـوثق بهم واطمأَنَّ إليهم،

---

(١) «معجم البلدان» رسم (الدخول).

(٢) «خزانة الأدب» ـ ٣٤١/٣ ـ طبعة بولاق.

فبينا هم على ذالـك إذْ شَدُّوُهُ وِثـاقاً وَقَـدِمُوا بـه إلى العامـل، فبعث به معهم إلى الحجـاج، فلما قدمـوا على الحجـاج قال لـه: أنت جحدر؟ قـال نعم. قال: مـا حملك عـلى مـا بلغني عنـك؟ قـال: جُـرْأَةُ الجنـان، وجفـوةُ السلطان، وكَلَبُ الزمان، قـال: فما الـذي بلغ من أَمْرِك فَيَجْتَـرِئُ جَنانُـكَ، ويصلك سلطانك، ولا يَكْلُبُ عليك زمانك؟، قال: لَوْ بَلَانِي الأَمِـيْرُ لوجـدني من صالـح الأعوان، وبُهَمِ الفرسان، ومِنْ أَوْفى أهل الزمـان، قال الحجـاج: أنا قـاذفك في قُبَّـةٍ فيها أسد، فإن قتلك كَفَانا مَؤُوْنَتَكَ، وإن قتلته خلَّيناك ووصلناك.

قال: قد أعطيتَ أصلحك الله الْمُنيَةَ، وأعظمت الِمنَّة، وقَرَّبْتَ المحنة، فأمر به فاستوثِق منه بالحديد، وأُلْقِيَ في السجن، وكتب إلى عامله بِكَسْكَرَ، يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً فلم يلبث العامل أن بعث له بِـأُسُدٍ ضـارياتٍ، قـد أَبَرَّتْ عـلى أهل تلك النـاحية، ومنعت عـامَّةَ مـراعيهم ومسـارح دوابِّهِمْ، فجعل منهـا واحدا في تابوت، يُجَرُّ علَى عجَلات، فلما قدموا بـه أمر فـأُلقِيَ في حَيِّزٍ، وأُجِيْـع ثلاثا، ثم بعث إلى جحدر فَأُخْرِج، وأُعْطِيَ سيفـاً ودُلِّيَ عليه، فمَشَى إلى الأسـد وأنشأ يقول:

لَـيْثٌ وَلَـيْثٌ فِي مَجَـالٍ ضَـنْـكِ ... كِـلَاهُمَـا ذُوْ أَنَـفٍ وَمَحْـكِ
وَصَـوْلَـةٍ فِي بَـطشـه وفـتْـكِ ... إنْ يَكْشِـفِ الله قِنَـاعَ الـشَّـكِّ
وَظَـفَـرٍ بِـجُـؤْجُـؤٍ وَبَـرْكِ ... فَـهْـوَ أَحَـقُّ مَـنْـزِلاً بِـتَـرْكِ
الـذِّئْبُ يَعْـوِي وَالْغُـرَابُ يَبْـكِي

حتى إذا كـان منه عـلى قدر رُمْـحٍ تمطَّى الأَسـد وَزَأَر، وحمل عليـه، وتلقَّاه جحـدر بالسيف، فضـرب هامَتَـهُ ففلقها، وسقط الأسـدُ كأنـه خيمةٌ قَـوَّضَتهـا الريح، ولم يلبث جحدر لشدة حمل الأسد عليه، مع كـونه مُكَبَّـلًا، إذْ وقع عـلى ظهره متلطِّخا بالدم، وعلت أصوات الجماعةِ بِالتَّكبير، فقال له الحجاجَ لَمَّـا رأى

منه ما هاله ـ: يا جحدر إن أحْبَبْتَ أن أُلْحِقَك ببلادك وأُحْسِنَ جَائِزَتَك فعلتُ ذالك بك، وإن أحببْتَ ان تقيم عندنا أَقَمتَ فَأَسْنَيْنَا فَرِيَضتَكَ: فقال: أَختارُ صُبْحَةَ الأمير ففرض له ولجماعة أهل بيته، وأنشأ جحدر يقول: ثم ذكر ما جرى له مع الأسد:

وقال السمهري العكلي ـ وكان مطلوبا بدمٍ، فسجن في دَوَّار [(١)]:

لَقَدْ جَمَعَ الْحَدَّادُ بَيْنَ عِصَابَةٍ ... تَسَاءَلُ فِي الْأَصْفَادِ: مَاذَا ذُنُوْبُهَا؟
بُمْنزِلَةٍ أَمَّا اللَّئِيْمُ فَشَامِتٌ ... بِهَا وَكِرَامُ الْقَوْمِ بَادٍ شُحُوْبُهَا
إِذَا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ الْبَابَ أَرْعَدَتْ ... فَرَائِصُ أَقْوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوْبُهَا

وقال عُطَارِدُ بن قُرَّان الحنظلي التميميّ، أحدُ اللصوص الذين رمت بهم المقادير في سجن ابن عربي (دوّار) وفي سجن (نجران):

لَيْسَتْ كَلَيْلَةِ (دوّارٍ) يُؤَرِّقُنِيْ ... فِيْهَا تَأَوُّهُ عَانٍ مِنْ بَنِي السِّيْدِ
وَنَحْنُ فِي عُصْبَةٍ عَضَّ الْحَدِيْدُ بِهِمْ ... مِنْ مُشْتَكٍ كَبْلَهُ فِيْهِمْ وَمَصْفُوْدِ
كَأَنَّمَا أَهْلُ (حَجْرٍ) يَنْظُرُوْنَ مَتَى ... يَرَوْنَنِيْ خَارِجاً طَيْرُ الْيَنَادِيْدِ [(٢)]

وقال[(٣)]:

يَطُوْلُ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى أَمَلُّهُ ... فَأَجْلِس والنَّهْدِيُّ عِنْدِيَ جَالِسُ
كِلَانَا بِهِ كَبْلَانِ يَرْسُفُ فِيْهِمَا ... وَمُسْتَحْكِمُ الْأَقْفَالِ أَسْمَرُ يَابِسُ
لَهُ حَلَقَاتٌ فِيْهِ سُمْرٌ يُحِبُّهَا الْـ ... ـعُنَاةُ كَمَا حب الظِّمَاءُ الْخَوَامِسُ
إِذَا مَا ابْنُ صَيَّاحٍ أَدَنَّتْ كُبُوْلُهُ ... لَهُنَّ عَلَى سَاقَيَّ وَهْنًا وَسَاوِسُ

---

(١) «الأغاني» ـ ٢١ / ٥٤ ـ طبعة الساسي وفيه: في عهد عبدالملك وقد أمر الحجاج عامل اليمامة بطلبه، وقد هرب من السجن وأمسك في ولاية عثمان بن حيان المري المدينة بين سنتي ٦٣ و ٦٨، وسجن ثم قتل.

(٢) في «تاج العروس» رسم (بدد)... طير البناديد ـ البناديد: متفرقة.

(٣) «معجم البلدان» ـ ماده (نجران).

تَـذَكَّـرْتُ هَـلْ لِيْ مِنْ حَمِيْمٍ يَهُمُّـهُ ... بِنَجْـرَانَ كَبْـلَايَ اللَّذَيْنِ أُمَـارِسُ
فَـأَمَّـا بَنُـو عَبْـدِالْمَـدَانِ فَـلَاهُمُ ... وإنِّي مِنْ خَـيْرِ الْحُصَـيْنِ لَيَـائِسُ
رَوَى نَمِـرُ مِنْ أَهْـلِ نَجْـرَانَ أَنَّكُمْ ... عَبِيْـدُ الْعَصَا لَـوْ صَبَّحَتْكُمْ فَوَارِسُ

وقال المرار بن سعيد الأسديُّ [1] ، وكان لصًّا فـأمر أميـر المدينـة عثمانُ بن حَيَّان الْمُرِّيُّ فحبس في سجن اليمامة وهو سجن (دوَّار):

أَنَـارٌ بَدَتْ مِنْ كُـوةِ السِّجْنِ ضَوؤُهَـا ... عَشِيَّـةَ حَـلَّ الْحَيُّ بِـالْجُرَعِ الْعُفْـرِ
عَشِيَّـةَ حَـلَّ الْحَيُّ أَرْضـاً خَصِيْبَـةً ... يَـطِيْبُ بِهَـا مَسُّ الْجَنَـائِبِ والْقَـطْرِ
فَيَـا وَالِيَيْ سِجْنَ الْيَمَـامَـةِ أَطْلِقَـا ... أَسِيْـرَكُمَا يَنْظُرْ إِلَى الْبَـرْقِ مَـا يَفْـرِي
فَـإِنْ تَفْعَـلَا أَحْمَـدْكُـمَا وَلَقَـدْ أَرَى ... بِـأَنَّكُـمَا لَا يَنْبَغِـي لَكُـمَا شُكْـرِي
وَلَـوْ فَـارقَتْ رِجْـلِيْ الْقُيْـودَ وَجَـدْتَنِي ... رَفِيْقـاً بِنَصِّ الْعِيْسِ فِيْ الْبَلَدِ الْقَفْـرِ
جَـدِيْـراً بِـأَنْ أُمْسِيْ بِـأَرضٍ مَضَلَّةٍ ... بِتَقْـوِيْمِهَـا حَتَّى يُـرَى وَضَـحُ الْفَجْـرِ

وروى المبـرد، قال: كـان بعض الأعـراب يقـطع الـطريق، فـأخـذه والي اليمامة فحبسه، فحن إلى وطنه فقال:

أَقُـوْلُ لِبَـوَّابَيَّ وَالسِّـجْنُ مُـغْـلَقٌ ... وقـد لَاحَ بَرْقٌ: مـا الَّذِي تَـرَيَـانِ؟
فَقَـالَا: نَرَى بَـرْقاً يَلُوْحُ وَمَـا الَّذِيْ ... يَشُـوْقُـكَ مِنْ بَـرْقٍ تَـرَاه يَمَـانِ
فَقُلْتُ: افْتَحَا لِي أَنْظُرِ الْبَابَ سَاعَةً ... لَعَـلِّيْ أَرَى الْبَـرْقَ الَّـذِيْ تَـرَيَـانِ
فَقَـالَا: أُمِـرْنَـا بِـالْـوِثَـاقِ وَمَـالَنَـا ... بِمَعْصِيَـةِ السُّلْطَانِ فِيْـكَ يَـدَانِ
فَـلَا تَحْسَبَـا سِجْنَ الْيَمَـامَـةِ دَائِـماً ... كَـمَا لَمْ يَـدُمْ عَيْشٌ لَنَـا بِـ (أَبَـانِ)

وحذَّر جرير [2] قوما من بني كليب وهم قومه، وكان نهاهم عن شيء وقع بينهم، فلم ينتهوا فَحُبِسوا وقُيِّدُوْا في سجن اليمامة:

---

(١) «الأغاني» - ١٥٣/٩ -.

(٢) «معجم البلدان» رسم (أبان).

لَمَّا عَصَيْتَنِي كُلَيْبُ اللُّؤمِ قُلْتُ لَهَا: ذُوْقِي الْحَدِيْدَ!! وشُمِّي رِيْحَ (دَوَّارِ)!!

وجرير هو الذي أصفى ذالك العهد ـ عبدالملك ورجاله ـ ومنهم ابن عربي صاحب (دَوَّار) أصفاهم خير ما جادت به قريحته من جيِّد شعره، مدحًا وثناء وتزلُّفاً وتقرباً إليهم، ومع ذالك نال قومُه من نار ذالك السجن ما اكتوى به الآخرون!

وقال كلاب بن حَرِّيٍّ العِجْلِيُّ إسلاميٌّ وحُبِس باليمامة:

طَرِبْتَ وَلَمْ تَطْرَبْ بِـ (دَارِينَ) مَطْرَبَا وَجَوَّلْتَ فِي ٱلْآفَاقِ شَرْقاً وَمَغْرِبَا
وَلِيْ حَيٌّ صِدْقٍ حَالَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ جَلَاوِزَةٌ يَدْعُوْنَ ذَا الْعُذْرِ مُذْنِبَا
إِذَا حُرِّكَ الْمِفْتَاحُ طَارَتْ عُقُوْلُهُمْ رَجَاءً وَخَوْفاً أَنْ يُجَرَّ ويُسْحَبَا
كَفَى حَزَنًا أَلَّا أَزَالُ أَرَى فَتًى يُجَرُّ كُبُوْلا، أَوْ كَرِيْماً مُكَتَّبَا [١]

ولا أدري هل بقي سجن دَوَّارٍ بعد زوال دولته أم أن آثار الظلم تتجدد بتعاقب الدول، فقد عرف سجن في مدينة حَجْرٍ في أول عهد الدولة العباسية، كان الشاعر عبادة بن البراء الجعدي ممن قاسى فيه من صنوف التعذيب والأسى ما صورهُ في هذه القصيدة [٢]. وقد سجن في عهد ولاية السَّرِيِّ بن عبدالله الهاشمي، الذي ولي اليمامة فيما بين سنتي ١٣٣ و١٤٣ ـ:

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِيْ بِـ (أُكْمَةَ) أَهْلُهُ سَقَى اللهُ مُسْقِي الْغَيْثِ أَرْضًا تَؤُوْبُهَا
لِتُبْلِغَ عَنِّيْ أَهْلَ (كُرْزٍ) رِسَالَةً طَوِيْلاً بِـ (حَجْر) حَبْسُهَا وَنُشُوْبُهَا [٣]
لَقَدْ ضَمَّ سِجْنُ الهَاشِمِيِّ عِصَابَةً تَرَاهَا جَمِيْعاً وَهْيَ شَتَّى شُعُوبُهَا [٤]

---

(١) «معجم الشعراء» ـ ٢٤٧/ ٢٤٨ ـ وبنو عجل إخوة بني حنيفة وكانوا جيرانهم في اليمامة.

(٢) «التعليقات والنوادر» للهجري ـ (١٦١ المخطوطة المصرية).

(٣) أكمة وكرز، من أودية الأفلاج.

(٤) الهاشمي هو السَّرِيُّ بن عبدالله بن الحارث بن عباس بن عبدالمطلب. والي اليمامة في أول عهد الدولة العباسية ـ من سنة ١٣٣ إلى ١٤٣ ـ كما سيأتي.

إِذَا حَـرَّكَ البَـوَّابُ أَقْفَـالَ سِجْنِهِ ... رَأَيْتَ رِجَـالاً وَهْيَ تَنْـزُو قُلُوبُهَـا
فَمَنْ يُـدْعَ مِنْهُمْ بِاسْمِـهِ وَهْـوَ مُجْـرِمٌ ... تَكُنْ رَوْعَـةً لاَبُـدَّ وَهْـوَ مُجِيْبُـهَـا
ذَكَـرْتُـكِ والْحَـدَّادُ يُقْفِـلُ قَيْـدَهُ ... عَلَى السَّاقِ مِنْ عَوْجَاءَ عَـارٍ كُعُوبُهَا
تَرَى الثَّوْبَ مِنْهَا قَالِصاً وَهْوَ سَابِغٌ ... سَرِيعٌ إِلَى الـدَّاعِيْ الْمُضَافِ وُثُـوبُهَا
لَـقَـدْ زَعَمَـتْ أَنِّي إِذَا مِتُّ سَـلَّبَتْ ... وَهَـلْ يَنْفَعَنِّيْ بَعْـدَ مَـوْتِـي سُلُوبُهَا
وَلَكِنْ أَرِيْنِي مَـا اصْطَحَبْنَـا كَـرَامَةً ... وَلاَ تَـعِـدِينِيْ هَـتْفَـةً لاَ أُجِيْبُـهَـا
فَـإِنْ مِتُّ فَـانْعَيْنِيْ لِفِتْيَـانِ لَيْـلَةٍ ... سَـرَوْا مَوْهِنـاً قَدْ كَـانَ رَسًّا هَبُـوبُهَا
وَقُـوْلِي: هَيَـا أَضْيَـافُ إِنَّ قِـرَاكُمْ ... بِبَيْـدَاءَ قَـد سُـوِّيْ عَلَيْهَـا جُبُـوبُهَا
وَإِنْ مِتُّ فَـانعَيْنِي لُبَيْـنَى وَلاَ يُقَـلْ ... كَـذَبْتِ وَشَرُّ النَّـادِبَـاتِ كَـذُوْبُهَـا
لِعِفَّـةِ نَفْسِيْ إِنْ تَعَـرَّضَ مَـطْمَـعٌ ... وَعِـزَّتِهَـا إِنْ كَـانَ شَيْءٌ يُـرِيْبُهَـا
وإِنْ قُلْتِ سَمْحٌ فِي النَّدَى لَمْ تُكَـذَّبِيْ ... وَأَمَّـا تُقَى نَفْسِي فَـرَبِّي حَسِيْبُـهَـا

وتمر السنون تباعاً حتى منتصف القرن الثالث حيث نجد الخليفة العباسي المعتز حين غضب على أحد رجال دولته ويدعى (كُنْجُور) أمر ببعثه إلى اليمامة ليحبس هناك [1].

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ـ ٩/٣٦٢/ ٣٧٢ ـ.

وللشعراء مواقف مع ابن عربي

ليس ما تقدم عرضه كل الوسائل التي استطاع بها ابن عربي أن يوطد دعائم الحكم الأموي في بلاد نجد، وينبغي ألا يعزب على البال أن تلك البلاد كانت إلى عهد قريب تحت إدارة الحجاج، سيف بني مروان، ومثال القسوة والعنف في ذالك العهد، وما ابنُ عربي سوى والٍ اختير بمشورته، أو أنه ـ في أول أمره ـ لا يزال من ولاته ينفذ أوامره، أو ينتهج سياسته، ويحتذي حذوه فيقتدي به في أعماله.

ولئن سجل التاريخ من أساليب قسوة الحجاج وعسفه ما هو معروف، مما يدل قليله، وما ثبت منه على ما وصم به الحجاج من ظلم وجبروت، فإن التاريخ ـ فيما وصل إلينا منه ـ لم يوضِّحْ أساليب ابن عربي في حكمه، باستثناء إشارات موجزة، بخلاف الحجاج الذي عاش في بلاد عُنِيَ علماؤُها بتدوين العلوم كلها، وفيها نشأ تدوين التاريخ، وفيها وُجِدَ أكثرُ علمائه، الذين عاشوا بقرب دار الخلافة، وفي كنف الخلفاء، فتصدوا بعناية واهتمام بتتبع أخبارهم وذوي الصلة بهم.

أما بلاد نجد فتكاد المعارف فيها في الحاضرة تنحصر بمعرفة الأحكام الشرعية من تفسير وحديث وفقهٍ ولغة، فقد شرف بصحبة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ طائفة منهم، أشار ابن سعد في «الطبقات» إلى عدد من مشاهيرهم، ثم نقلت علومهم طائفة أخرى من التابعين فمن بعدهم، كان من بينهم من قُصِدَ من البلاد الأخرى لتلقي علم الحديث عنه، كيحيى بن أبي كثير الذي أخذ عنه عالم الشام أبو عمر الأوزاعي وغيره، وهذا الجانب يتطلب لسعته وأهميته إفراده في مؤلف خاص.

وأما في البادية فلم تتغير الحالة عما كانت عليه في سابق عهدها من العناية بما يتصل بأحوال القبائل من علوم ومعارف متوارثة، يتناقلها الخلف عن السلف، وأبرزها ما يتعلق بمآثر العرب جيلاً بعد جيل، مما يصوره الشعر الذي كان في ذالك العهد يُعَدُّ (ديوان العرب) وسجل ما عرف من علومهم، وكتاب تاريخ وقائعهم وأخبارهم، وبيان سائر أحوالهم.

ومن الشعر تتضح أبرز معالم سياسة ابن عربي في تلك البلاد، وبه عرفت جوانب من قسوته وصرامة حكمه، والشعراء كغيرهم من البشر في جميع أحوالهم، وفي مناهج سلوكهم، ولهذا فكثيراً ما اتخذ منهم الولاة والحكام وذوو النفوذ ـ في كل زمان ومكان ـ مطايا يوجهونهم لإبراز تصرفاتهم وأعمالهم بصور تتفق مع ميولهم ورغباتهم، فتبدو على غير وجهها الصحيح، إلا أن هذا الأمر ليس عامًّا، فمنهم ـ وهم الأقلُّون ـ الذين لا تطغى عواطفهم فتطمس الحقائق، وتبدي المساويَ على غير وجهها الصحيح.

كان الْبَعِيْثُ الشاعر واسمه خِدَاشُ بن بشر التميمي[1] قد هجا بطنا من قبيلة باهلة يقال لهم بنو صحب، فاستعْدَوا عليه إبراهيم بن عربي في خلافة الوليد بن عبدالملك، فضربه بالسياط، وطيف به في سوق (حَجْرٍ) مجلودا فقال جرير متشفيا منه، وشامتا به، وبين الاثنين مهاجاة وان كانا من تميم إلا أن البَعِيْث من ذوي قربى الفرزدق الأدنين، يجمعهما الأب السادس، فأعانه على جرير، فقال جرير من قصيدة:[2]

لَئِنْ هَجَوْتَ بَنِي صَحْبٍ لَقَدْ تَرَكُوْا ... لِلأَصْبَحِيَّةِ فِي جَنْبَيْكَ آثَارَا

---

(١) أورد ابن الوزير في «أدب الخواص» ـ ٩٠ ـ خبر البعيث مع ابن عربي مختصراً وساق نسب البعيث: خداش بن بشر بن أبي خالد، ويقال ابن خالد بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

(٢) «ديوان جرير» و «تاريخ دمشق» لابن عساكر ترجمة البعيث في حرف الخاء (خداش) و «الوافي بالوفيات» ـ ٣/٢٩٤ ـ وفيه (إبراهيم بن عدي) تصحيف.

قَومٌ هُمُ الْقَومُ لـوْعَـاذَ الـزُّبَـيْرُ بِهِمْ لَمْ يُسْلِمُـوهُ وَزَادُوْا الْحَبلَ إمْـرَارَا [1]

ولم يكتف ابن عـربي بما أوقعـه بهذا الشـاعر من التعـذيب من تشهير وجلْد وإهانة، لقد أخذ إبله، والإبل في ذالك العهد وعند ابن البـادية خـير ما يملك، وكل ما يملك، فهي عماد حياته، فما الذي بقي له بعد ذالك؟.

وما الذي فعله حتى يفعل به تلك الأفعال المُمِضُّ المؤلم أيسرها؟ لقد هـرب من البلاد التي يحكمها ابن عـربي حتى حلَّ بـالشام، ونـزل في جوار أخـوال ابن الخليفـة الوليـد بن عبدالملك، فنـال بجـوارهم وبمـدحهم مـا ابتغى من الأمـان والراحة، ورَدَّ عليه الخليفةُ إبلَهُ رَدًّا كريما.

روى البـلاذريُّ عن المـدائني قـال: أخـذ إبـراهيم بن عـربي إبـلا للبعيث المجاشعي، فخرج إلى عبـدالملك فقال: من تحب أن نـأمره بجمـع إبلك وردها عليك؟ قال: حصين بن خُلَيْد العبسي، وكان على بـادية قَيْس، فـأمره بجمعهـا وردها. فقال البعيث متطاولا ومفتخرا، من قصيدة تعد من عيون شعره:

وَأَنِّي لِأَبْـوابِ المـلوك قَـرُوْعُ

وأطلق لسانه في هجاء ابن عربي، أقذع هجاء كقوله:

تَـرَى مِنْبَرَ الْعَبْـدِ اللَّئيْمِ إذَا بَـدَا ثَـلاَثَـةُ غِـرْبَـانٍ عَلَيْـهِ وُقُـوعُ [2]

وقـال ابن عساكـر[3] : وكان البعيث وجـرير والفـرزدق أَحَدَّ مـا كـانـوا في الهِجاء، فخرج البَعِيْثُ مُرَاغِما لإبراهيم بن عربي لمـا صنع بـه، فلحق بالشـام،

(١) الأَصْبَحِيَّة: السياط، والزبير هو ابن العوام الذي قتل في وقعة الجمل.

(٢) «أنساب الأشراف» - ١١/ ٢٢٩ - و «أدب الخواص» - ٩٠ - وأضاف: وفي هذه القصيدة يقول:

وأن لهـا جـارا إذا مـا دعـوتـه تجـرد عـارى الأشـجـعين منـيـع
أغـر إذا مـا شـد عـقـدا لـذمـة حمـاهـا وطـير في الـدمـاء كـروع

(٣) «تاريخ دمشق» - ترجمة البعيث (خداش بن بشر).

ونزل البادية، فجاور بني القعقاع أخوال الوليد بن عبدالملك ومدحهم، وهجا ابنَ عربي، وجعل جرير والفرزدق يهجوانه، فروت العرب أشعارهما - وخمل شعره - ثم أورد البيت في هجو ابن عربي وأضاف: فكان بعد ذالك ابنُ عربي إذا صعد المنبر تَذَامَرَ بِهِ الناس، وإذا رأى غرابا ساقطا يقول: لَعنة الله على البعيث!!.

ويظهر أن ابن عربي لا يؤمن بمدلول الحكمة القائلة (وَعداوةُ الشعراء بِئْسَ الْمُقْتَنَى) شأن كل مستبدٍّ مخدوع بقوته، ولهذا لا نجد الشاعر البعيث وحيداً في هجاء ابن عربي، بل شاركه شعراء آخرون، ونجد ابن عربي شديداً في معاقبة كل مستحق للعقوبة في نظره.

روى صاحب «الأغاني»[١] عن محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي أن مالكا المذموم، أحد بني عامر بن ذُهْل، قد هرب من الحجاج إلى اليمامة، فنزل بـ (حَجْرٍ) وكان من الخوارج، وكان من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذات ليلة، فسمعت قراءته امرأةٌ فرمت بنفسها من فوق السطح، فأتى أهلها مالِكاً فضربوه، فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربي، وكان على شرطته رجل من بني حنيفة، يقال له عبدالله بن حكّام، فلم يُعْدِهِ عليهم، فقال في قصيدة مطلعها:

دَارَ سَلْمَى بِالْجِزْعِ ذِي ٱلْأَطَامِ ... خَبِّرِنَا سُقِيْتِ صَوْبَ الْغَمَامِ

ومنها:

وَمُنِيْنَا بِطُمْطُمٍ حَبَشِيٍّ ... خَالِكَ الْوَجْنَتَينِ مِنْ آلِ حَامِ
لَا يُبَالِي إِذَا تَضَلَّعَ خَمْراً ... أَبِحِلٍّ رَمَاكَ أَمْ بِحَرَامِ

وَكَان قال في مدحه قبل ذالك[٢]:

---

(١) - ج ١٦/ ١٥٠ - طبعة الساسي.
(٢) نفس المصدر.

نَاقَ سِيْرِي قَدْ جَدَّ خَفًّا بِنا السَّيْـ ـرُ وكُونِي جَوَّالَةً فِي الزِّمَامِ
فَمَتَى تَلْقَنِي يَدُ الْمَلِكِ الأَسْـ ـوَدِ تَسْتَيْقِنِي بِأَنْ لاتُضَامِي
قَدْ أَرَانِي وَلِيْ مِنَ الْحَاكِمَ النَّصْـ ـفُ بِحَدِّ السِّنَانِ أَوْ بِالْحُسَامِ

ويعني بالملك الأسود: إبراهيم بن عربي.

وموقِفٌ للشاعر ابن البَيْلَماني، وهو عبدالرحمن بن أبي زيد البيلَماني[1]، من الأبناء الذين كانوا باليمن، وصفه الهمداني بأنه كان أشعر شعراء اليمن في عصره، وأورد ثلاث مقطوعات من شعره[2]، وكان ينزل نجران، وفد على الوليد فأجزل له الحباء، وتوفي في ولايته، وعده ابن حجر [3] من رواة الحديث، وقال: ذكره ابن حبان في الثقات.

هذا الرجل رمته الأقدار في قبضة ابن عربي، بعد أن أثار غضبه عليه، فأمسكه، وأوقع به ما أراد من عقوبة، فقال يلوم نفسه حيث لم يتخذ للهرب منا أُهْبته التي تمكنه من بلوغ مأمنه في بلاد لا سلطة لابن عربي عليها.

لقد حدث منه ما دفع ابن عربي إلى إمساكه وسجنه وفي ذالك يقول من قصيدة [4]:

لَعَمْرُكَ إني يوم سَلْعٍ لَلائِمُ لنفسيْ ولكنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ
أأَمْكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّيَ ضَلَّةً أَلَهْفاً على ما فاتَ لو كنتُ أعلم
لَعَمْري لقدْ كانَتْ فِجَاجُ عَرِيْضَةٌ وليلٌ سُحَاميُّ الْجَنَاحَيْنِ مظلِمُ
إِذِ الأَرْضُ لَمْ تُجْهَلْ عَلَيَّ فُروْجُهَا وإِذْ لِيَ مِنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَرْغَمُ

---

(١) نسبة إلى البيلمان من بلاد العجم.

(٢) «الاكليل» ـ ٢ / ١٠ ـ.

(٣) «تهذيب التهذيب» ـ ج ٦ ص ١٥٠ ـ.

(٤) وقد ورد اسم هذا الشاعر في كثير من المؤلفات مصحفاً في «معجم البلدان» (ابن السلماني) رسم (برثم) و (سلع) و «صفة جزيرة العرب» ـ ٥٥ و ٦٧ ـ ابن السلماني من شعراء نجران من الأبناء، وفي «الاكليل» ـ ٢ / ١٠ ابن السلمان

فلو شِئْتُ إِذْ بِـالأَمْـرِ يُسْرٌ لَقَلَّصَتْ بِـرَحْـلِيَ فَتْـلاءُ الـذِّراعَـيْنْ عَيْهَمُ
إذَا مَا انْتَخَتْ مَا بَيْنَ (لَحْجٍ) و (بُرْثُمٍ) وأَينَ لإِبْـراهِيْمَ (لَحْجٌ) و (بُـرْثُم)؟!

ولقد كان للشـاعرين الفحلين جـرير والفـرزدق بإبـراهيم بن عربي صلة، نرى أثرها في شعرهما لأنهما من أهل البلاد التي كان يحكمهـا، والأول منهما كـان مقيماً فيها بينما الثاني كان يعيش مع قـومه في شـرق البلاد في منـطقة تعـرف الآن بمنطقة الكويت في امتداد بلاد بني تميم في ذالك العهـد من منْطقة الاحسـاء حتى كاظمة شمال الكويت.

ومعروفة منزلة هٰذين الشاعرين - بصفة عامة - لـدى خلفاء بني أميـة، منذ عهد عبدالملك فمن بعده، طيلة زمن ولاية ابن عـربي هذه البـلاد، فقد أصفيـا ذالك الخليفة وأبناءه ورجال دولته المدح، وأخلصا في الولاء، وفي النيـل من كل مناويٍّ لتلك الدولة، فلا غرو أن يَنْظُرَا إلى ابن عـربي، وهما يعـرفان منـزلته من الخليفة، ومكانته في الدولة، نظرتهما إلى غيره من ذوي القربى من ولاتها، إلَّا أنَّ ما عرف من مدحهما له مع قربهما منـه، واتصال كثـير من أحوالهـما بما يتـولاه من أعمـال، يكاد ذالـك المدح أن يكتفي بـالإلمام بمـا لهما من شؤون تتصـل به دون الإغـراق في الثناء عليـه، ووصفه - كـما اعتادَا أن يصفـا أمثالـه من الولاة، بـل بأوصاف أخـرى، لا تحمل عـلى تغيير النـظرة نحو أُسلوب حكمـه، يضاف إلى هذا أنَّ هٰذَيْنِ الشـاعرينِ كـانا عـلى صلةٍ قويـة بالخليفـة، فَمَنْ دونه من رجـال الـدولة المقـربين لـديها، ولهـذا فابن عـربي لا يستطيـع أن يعاملهـما كما يعـامـل الآخرين.

تحاكم جريرٌ وبنو حِمَّان إلى ابن عربي، في بئر، كُلٌّ يَدَّعِيْها، فقال جرير:

أَعُـوذُ بِـالْأَمِـيْرِ غَـيْرِ الْجَـبَّـارْ مِنْ ظُلْمِ حِمَّـانَ وتَحْـوِيْـلِ الـدَّارْ
مَـا كَـانَ قَبْـلَ حَفْـرِنَـا مِنْ مِحْفَارْ وضَـرْبِيَ الْمِنْقَـارَ بَـعْـدَ الْمِنْقَـارْ

فِي جَبَلٍ أَصَمَّ غَيْرِ خَوَّارْ يَصِيحُ بِالْجُبِّ صِيَاحَ الصَّرَّارْ
لَهُ صُلِيلٌ كَصَلِيلِ الْأَمْهَارْ فَاسْأَلْ أَبَا عَصْمٍ ورهْطَ الجرَّار
والسُّلَمِيِّينَ الْعِظَامَ الأخْطَارْ والْجَارُ قَدْ يُخْبِرُ عن دارِ الْجَارْ

فقال الحِمَّاني:

مَا لِكُلَيْبٍ مِنْ حِمَىً ولا دارْ غَيْرَ مَقَام أُتُنٍ وأَعْيَارْ
قُعْسِ الظُّهُوْرِ دَامِيَاتِ الأَثْفار

فقال جرير: فَعَنْ مقامهن ـ جُعلت فداءك ـ أُجَادِل: فقال ابن عربي للحماني: قد أقررتَ لخصمك. وحكم بها لجرير [١]، وهكذا كان الحكم بدون رجوع إلى ما يتطلبه من بينة أو إقرار صريح صحيح، وإنما على فلتة لسان شاعر وذكر البلاذري [٢] أن هذه الخصومة كانت في ركية بالْمَرُّوْتِ إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي، وهو على اليمامة. وكذا في «ديوان جرير» [٣] مع اختلاف في الرجز.

ومن مدح الفرزدق [٤] له:

مَتَى تَلْقَ إبراهيمَ تَعْرِفْ فُضُوْلَهُ بِنُوْرٍ عَلَى خَدَّيْهِ أَنْجَحَ سَائِلُه

أتراه يتهكم بلون وجهه الأسود، أمْ رأى من هذا الأمير ما جعله ينظر إلى الأشياء بنظرة تخالف نظرة الناس، ولهذا أضاف:

تَصَعَّدُ كَفَّاهُ عَلَى كُلِّ غَايَةٍ مِنَ الْمَجْدِ لاَتَنْدى الصَّدِيْقَ غَوائِلُهْ
بَلِ الْجُوْدُ والإِفْضَالُ مِنْهُ عَلَيْهِم كَغَيْثٍ مَهِيْعٍ كَدَّرَ الْغَيْثَ وابِلُهْ

---

(١) «طبقات الشعراء» لابن سلام ـ ٣٦٠ ـ و «الأغاني» ـ ٦١/٦ ـ وفي «ديوان جرير» انهم تحاكموا لدى المهاجر بن عبدالله الكلابي.
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ج ١٢ ص ٤٥٨ ـ مخطوطة دار الكتب.
(٣) «ديوان جرير» ـ ٤٤٥ ـ تحقيق نعمان محمد أمين طه.
(٤) «شرح ديوان الفرزدق» ـ ٦٤٨ ـ طبعة الصاوي.

أهـو يمـدح أم يـــذم؟! .

ومن قول الفرزدق فيه، وقد وفدَ بأناس من وجهاء البلاد إلى هشام، وكـان من بينهم صخر بن حبناء من بني ربيعة بن حنظلة التميمي، وكان شاعراً يُهَاجِي الفرزدقَ فقال [1] :

نُبِّئْتُ إبـرَاهِيْمَ ـ والـرَّمْـلُ دُوْنَـهُ	شَقَـائِقُهُ مَبْـطُوْحَـةُ وخَمَـائِلُه [2]
تَـنَقَّى رِجَـالاً لَمْ يَكُـنْ وَالِـدٌ لَهُـمْ	أُنِيْخَـتْ إِلَى أَبْـوَابِ مَلْكٍ رَوَاحِـلُه
حَمَلْتَ إلَى خَـيْرِ الْبَـرِيَّـةِ شَـرَّهُمْ	وَمَـا ظَنَّ خَيْرُ النَّـاسِ أَنَّـكَ فَـاعِلُهْ
وكَـانَ يَـرى أَنَّ لَنْ تَجِيءَ بِمُقْـرَفٍ	وأَنْـتَ أَمِـيْنٌ لِـلإِمَـامِ وَعَـامِلُهْ

إنه يصفه بصفتين:

١ ـ وفوده إلى الخليفة بأناس مغمورين، لم يسبق أن اتصلوا بالملوك.

٢ ـ مخالفته لما كان يـظن خيرُ النـاس به من المـظهر الحسن في وفـادته عـلى الخليفة بمن لاخير فيهم.

والواقع أن فعـل إبراهيم هـذا كان متمشيـاً مع أسلوب العهـد الجديـد في الحكم، ذالك الأسلوب الذي سبقَ إيضاحه ـ وهـو القضَاء عـلى النزعـة القبلية بجعل رئاسة القبيلة مرتبطة بالـدولة نفسهـا لا بالقبيلة ـ فـالدولـة هي التي تختار رئيس العشيرة، وهذا من أساليب القضاء عـلى القوة القبليـة للسيطرة عـلى بلاد كانت تحكم بتلك القوة، إنها تختاره من الموالين لها، بصرف النظر عن مكانته في القبيلة، أو منزلته في المجد والرئاسة، أو اتصافه بالصفات التي يجب تـوفرهـا في الوالي من حيث الكفاءة والصلاح.

---

(١) «شرح ديوان الفرزدق» ـ ٦٣٩ ـ طبعة الصاوي.

(٢) يقصد بالرمل: الدهنا.

وحادثة أخرى سجلها شعر الفرزدق لإبراهيم بن عربي عندما وكَل إلى رجل يدعى عَبْدَ بن أبي سود، وكّل إليه النظرَ على منهل يدعى (الغُرابة) فقال الفرزدق [1] ـ بعد أن أَسَفَّ في هجاء الرجُل ونفاه من قبيلته بني مُرَّةَ:

فَلَوْ كَانَ إبراهِيمُ يَعْلَمُ عِلْمَهُ ... وَمَا غَالَ مِنْ مَالِ الْمُلُوكِ غَوائِلُهْ
لأَصْبَحَ كُرْسُوعُ الْغُرَابِ مُقَنَّعًا ... بِسِرْبَالِهِ قَدْ زَايَلَتْهُ أَنَامِلُهْ
يَبِيعُ لَهُ مَاءَ الْغُرَابَةِ كَهْمَسٌ ... بِزَادٍ وَفِي الْقَيْظِ الظِّمَاءِ رَوَاحِلُهْ؟
فَوَيْلٌ لِرُكْبَانِ الْغُرَابَةِ مِنْكُمَا ... إذَا بَارِحُ الْجَوْزَاءِ فَارَتْ مَرَاجِلُهْ

ولعل إبراهيمَ ما كان يجهل عن هذا الرجل ما ذكره الفرزدق من خيانته، وبيعه الماء وقت القيظ وفي شدة الظمأ، ولكنه وجد فيه من الإخلاص في خدمته ما أبدى معايبه محاسن، وصاحب الفرزدق هذا الذي كان يبيع ماء الغرابة في شدة الظمإ أيام القيظ، هو ذالك المصدق الذي بعثه إبراهيم بن عربي لبني تميم [2]، ويدعى غراب البين وكان أسود كأنه حبشي، ويزعم أنه من بني مرة بن عوف من غَطَفَان، وقد وُجِدَ عند إحدى النّساء، فعقر قومها ناقته ـ فعيرهم جرير بذالك:

تُرْضِي الْغُرَابَ وقَدْ عَقَرْتُمْ نَابَهُ ... بِنْتُ الْقُرَيْنِ بِمِحْبَسٍ وَسَرِيرِ

ومن شعر الفرزدق مما له صلة بإبراهيم بن عربي ان بني عبس وقع بينهم وبين بني زُبَيْد بن ضباب بن سليط بن يربوع من تميم خلاف في ماء (خُفٍّ) بحذاء عيون بني عامر، أدّى ذالك الخلاف إلى قتل رجل زُبَيْدِي، فهرب العبنسيون إلى الشام، حتى أخذوا من الوليد بن عبدالملك كتاباً إلى إبراهيم بن عربي الكاتب الكناني عامله على اليمامة، يجبر بني زبيد على أخذ الدية، فلما

---

(١) «ديوان الفرزدق» ـ ٦٤١ ـ.
(٢) «النقائض» ـ ٤٣٩ ـ.

قـدموا عـلى إبراهيم، سجن من الـزبيديـين ثلاثـة عشر رجـلاً في (دَوَّار) سجن اليمامة فأبوا عـلى قبول الـدية، فخـرج أحد الـزبيديـين فوجـد رفقة لبني عبس يسوقون إبل الديـة، فعرف ميسمهم عـلى أقفاء الإبـل، ووجد بينهم رجـلاً من قاتلي الزُّبَيْدِي فقتله فقال الفرزدق[1] :

كُلُوْا مَـاجَمَعْتُم مِـنْ دِيَـاتٍ فَـإِنَّهُمْ ... بَنُـو مُحْصَنَاتٍ لَمْ تُـدَنَّسْ ثِيَـابُهَـا
وَإِنَّ زُبَـيْـداً لاَتَـزَالُ رِمَـاحُـهَـا ... صَـوَادِرَ أَوْ مُسْتَورِد الْمَوْتِ غَابُهَـا

وذكر البلاذري هذه القصة، وأن الوليد بن عبدالملك أَكْرَهَ الـزبيديـين على أخـذ الـدية من بني عبس لأنهم أخـواله، فـأخـذوهـا، ثم إن رجـلاً منهم قتـل أحـد العبسيين فخرجت بنو زبيد من البادية خوفاً لجـريرتـه فلحقوا بـالجزيـرة، وساق شعراً لغسان السليطي في ذالك[2] .

ومن تلك القصـة يتضح كيف يتـدخل الـولاة فيـما يقـع بـين القبـائـل من خصـومات، ولا يتقيـدون بحكم الشرع في ذالـك، كـما فعـل الـوليـد في هـذه القضية.

وكـما جَمْجَمَ جرير والفرزدق في شعـرهما عن ابن عـربي، فلم يُفْصِحَا بمـدح خالص، فهكذا فعل العجّاجُ الراجز في أرجوزة ظاهرها مـدْحُ ذالك الـوالي[3] بدأها بالإقسام برب البيت بأنه ليس ممن يخذله، ولا ممن يتأخر عن مصاحبتـه في رحلته حين دعاه الخليفة لكي يدافع عنه بنفسه وبمقـوله، لأن ودَّهُ لم يَنْسَـلَّ منه، فهو لم ينس ما أسبل عليه من أهاضيب ربيعه، ثم يعبر عن استبشاره بالخبر الحلو المعسل الذي جاء عن رجوع إبراهيم لم يعزل ولم يُحَمَّلْ مغرماً، ثم يصف رحلته من مدينة حجـر إلى الملك، وأَنَّ الله أطعم الواشـين الجندل، ويـطيل في وصف

(١) «شرح ديوان الفرزدق» ـ ١٠٣ ـ طبعة الصاوي.
(٢) «أنساب الأشراف» ٢٢٧ مخطوطة دار الكتب.
(٣) «ديوان العجاج» ـ ١٩١ / ٢٢٧ ـ تحقيق الدكتور عزة حسن.

الرحلة والرواحل، وحركة السير، حتى ينتهي صاحبه إلى الإمام - يقصد سليمان بن عبدالملك - فيقسم له بالله بأنه لم يغفل عن جمع الجبايات، ولكن الرعية أُصيبت بتوالي السنين والجدب، وبعرفاء ظَلَمَةٍ، حتى أصبحت فقيرةً، وتفرقت في الآفاق، وتنتهي الأرجوزة على هذا النحو، وَإذنْ فابْنُ عربي لو وجد من أموال الرعية ما يقدمه لمليكِهِ لما تقاعس عن أخذه.

ومادمنا في حديث الشعر والشعراء عن ابن عربي فلنذكر قصة طريفة لها صلة بما نحن فيه فقد روى التبريزي في «شرح الحماسة»[1] عن أبي رِيَاشٍ وهو يمامي قال: كان منازل بن فرعان وهو من رهط الأحنف بن قيس، كان له ابن يقال له خليج، فعقَّ أباه منازلاً فقدمه إلى إبراهيم بن عربي والي اليمامة مستعدياً عليه وقال:

تَظَلَّمِنْي حَقِّي خَلِيْجُ وَعَقَّنِي ... عَلَى حِين كَانَتْ كَالْحُنِيِّ عِظَامِي

وجَاءَ بِغُوْلٍ مِنْ حَرَامٍ كَأَنَّمَا ... تُسَعَّرُ فِي بَيْتِي حَرِيْقَ ضَرام[2]

لَعَمْرِيْ لَقَدْ رَبَّيْتُهُ فَرِحاً بِهِ ... فَلَا يَفْرحَنْ بَعْدِي امرؤٌ بِغُلام

وَكَيْفَ أُرَجِّي النَّفْعَ مِنْهُ وأُمُّهُ ... حَرَامِيَّةٌ مَاغَرني بِحَرَامِ

وَرَجَّيْتُ مِنْهُ الْخَيْرَ حَتَّى اسْتَزَدْتُهُ ... وَمَا بَعْضُ ما يُزْدَادُ غَيْرُ غَرامِ

فأراد إبراهيم بن عربي ضربهُ فقال: أصلح الله الأميرَ لا تعجل علي! أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا منازل بن فرعَان بن الأعرف الذي عَقّ أباه وفيه يقول:

جَـرَتْ رَحِمُ بَيْني وبَيْنَ مُنَازلٍ ... جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالِبُهْ[3]

---

(١) - ٤ / ٢٠ - طبعة مصطفى محمد بمصر، و «أدب الخواص» - ٩٠ - وفرعان من بني مرة بن عبيد اخوة منقر بن عبيد.

(٢) يعني أنه تزوج امرأة من بني حرام بن كعب بن ربيعة بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) في «أدب الخواص» - جزاء مسيءٍ لا يقتر طالبه.

وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إذَا آضَ شَيْظَمًا ... يَكَادُ يُسَاوِيْ غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهْ[1]

فَلَمَّا رَآني أَبْصِرُ الشَّخْصَ أَشْخُصًا ... قَرِيْباً وَذَا الشَّخْصِ الْبَعِيْدِ أَقَارِبُهْ

تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِماً وَلَوى يَدِي ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُو غَالِبُهُ[2]

وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى ... مِنَ الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وأَطَايِبُهْ

وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إذَا مَا تَرَكْتُهُ ... أَخَا القَوْمِ واسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهْ

وَجَمَّعْتُهَا دُهْماً جِلَاداً كَأَنَّهَا ... أَشَاءُ نَخِيْلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوانِبُهُ

فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيْباً كَأَنَّنِي ... حُسَامُ يَمانٍ فَارَقَتْه مَضَارِبُهُ

أَأَنْ أُرْعِشَتْ كَفَّا أَبِيْكَ وأُصْبِحَتْ ... يَدَاكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهْ

فقال إبراهيم: ياهٰذا عققْتَ فَعُقِقْتَ، فماأعلم لكما مثلاً إلَّا قول خالد لأبي ذؤيب:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيْرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضي سِيْرَةٍ مَنْ يَسِيْرُهَا

وذالك أن أبا ذُؤَيْب كان غلاماً، وأن رجلاً كانت له صديقة فكان يبعث أبا ذؤيب إليها بالرسائل، فلما ترعرع أبو ذؤيب كَسَرَهَا على الصديق، فلما ترجل أبو ذؤيب مُنِعَ منها، وحُجِبَتْ عنه، وحُجب عنها، فكان يبعث خالداً إليها بالرسائل، وخالد يومئذ غلام فلما ترعرع خالد كسرها على أبي ذؤيب فقال أبو ذُؤيب يعنف المرأة:

تُرِيْدِيْنَ كَيْمَا تَجْمَعِيْنِي وَخَالِداً ... وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكِ فِي غِمْدِ

وجعل يُؤَنِّبُ خالداً ويُقَبِّحُ له، فقال خالد:

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيْرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ـ البيت.

---

(١) آض: صار. شيظما: طويلاً.

(٢) تغمد: ستر حقي واخفاه.

وخبر منازل أورده ابنُ حجر[1] ، وجاء فيه : فَقَدَّمَهُ إلى إبراهيم بن عربي، والي اليمامة من قبـل مروان بن الحكم ـ يعني حـين كان خليفـة ـ ثم أورد أربعة أبيات من شعره وأضَـاف : قُلْتُ : فكأنـه عُوْقِبَ عن عقـوق أبيه بعقـوق ولده، وعَنْ لَيِّ يَدِهِ بأن أصبحت يده مَلْوِيَّةً، وكانت قصةُ منازل مع أبيـه في الجاهليـة، كما دل عليه الخبر الأول. وقصة خَلِيجٍ مع أبيه في وسط المئة الأولى، لأن مروان وليَ الخلافة سنة أربع وستين.

وتقدم التنبيهُ على ما في قول ابن حجر بالنسبة لتولية ابن عـربي لليمامـة من قبل مروان، الذي لم تتم له الخلافة بحيث يستولي على البلاد، ويُوَلِّيَ عليها وُلَاةً مِنْ قِبَلِهِ.

---

(١) «الإصابة» ـ ترجمة منازل ـ القسم الثالث من حرف الميم.

ولاية سفيان بن عمرو العقيلي

في الفترة ما بين سنتي اثنتين ومئة وخمس ومئة وُلِّيَ العراقَ عُمرُ بنَ هُبَيْرةَ فَضُمَّتْ إليه ولاية اليمامة، وفي هذه الأثناءِ عَينَّ سفيانَ بنَ عَمْرو العُقَيْليَّ والياً لليمامة، وقضى على ثورةمسعود بن أبي زينب[1] فيها. والهجريُّ نسب سفيان بن عمرو فقال: (الكلابي) وسيأتي نَصُّ كلامه.

وهنا يعترض إشكالٌ، فخليفة يذكر في موضع من «تاريخه»[2] في الكلام على ولاة سليمان بن عبدالملك أنه وَلَّى سُفْيَان بن عمرو العُقَيْلِيَّ، ثم نوحَ بْنَ هُبَيْرَةَ. ثم يذكر في موضع آخر في كلامه على حوادث سنة ست ومئة ما نصه[3]: وفي ولاية ابن هُبَيْرة خرج مسعود بن أبي زينب فغلب على البحرين واليمامة فقتله سفيانُ بن عمروٍ العقيلي. انتهى، وسبقت الإشارة إلى هذا فهل سفيان وُلِّيَ اليمامة مَرَّتَيْن، مَرَّةً في عهد سليمان قبل حدوث الثورة فعزله وَعَينَّ نوحَ بنَ هُبَيْرَة، والمرة الأخيرة حين وَلَّاه ابنُ هُبَيْرة اليمامةَ للقضاء على الثورة، هذا ما يفهم من كلام خليفة.

وارتباط اليمامة بعمر بن هُبَيْرة يدل على أنها في عهد يزيد بن عبدالملك الذي حدثت الثورة في أيامه ضُمَّتْ إلى وَالِي العراق، وكانَتْ ولايتها قبل ذالك مرتبطة بالخليفة في دمشق، حَتَّى كان عهد سليمان بن عبدالملك القصير، الذي يبدو أنه عَزَلَ فيه إبراهيم بن عربي، فهل ضَمَّ ولاية البلاد إلى ولاية العراق كما هو الحال في البحرين، هذا ما لم تفصح عنه المصادر التي بين يدي، وَأَرَى ـ وإن كان من قبيل الاستطراد ـ أن أورد لمحة عن ولاة العراق الذين كانت ولاية البحرين مرتبطة بهم، وقد تضاف إليهم ولاية اليمامة في فترة قصيرة، معوِّلا في

---

(١) انظر لتفصيل ذالك «تاريخ خليفة» ـ ٣١٥/ ٣٢٨/ ٣٣٦ ـ و«تاريخ ابن جرير» ـ ٦/ ٥١٥/ ٦٢٠/ و٧/ ٢٦ و «الكامل» لابن الأثير ـ ٤/ ١٨١/ ١٩٠/ ١٩٢ ـ.

(٢) ـ ص ٣١٩ ـ.

(٣) «تاريخ خليفة» ـ ٣٣٦ ـ.

ذالك على «تاريخ خليفة بن خياط»، فهم في العهد الأموي على ما ذكر:

الأول: الحجاج بن يوسف، من سنة ٧٣ إلى سنة ٩٥ هـ.

وولاة البحرين في هذا العهد بعد القضاء على ثورةِ أَبِي فُدَيْكٍ:

١ ـ ابن أسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي.

٢ ـ ثم سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي.

٣ ـ ثم ابنه موسى بن سنان.

٤ ـ ثم سعيد بن حسان الأسيدي.

٥ ـ ثم زياد بن الربيع الحارثي.

٦ ـ ثم محمد بن صعصعة الكلابي.

٧ ـ ثم عبدالملك بن عبدالله العوذي ـ وعوذ من الأزد.

٨ ـ ثم قطن بن الربيع[(١)] الحارثي، فلم يزل عليها حَتَّى مات الحجاج والوليد بن عبدالملك.

الثاني: يزيد بن المهلب، من سنة ٩٦ هـ إلى سنة ٩٩ هـ.

وَلَّى يزيد هذا:

١ ـ الأشعث بن عبدالله بن الجارود ـ ولاه يزيد البحرين، فأخرجه منها مسعود بن أبي زينب سنة ٩٦ هـ على ما ذكر خليفة[(٢)].

٢ ـ وفي عهد يزيد بن عبدالملك ضُمَّتِ البحرين إلى اليمامة من قبل الخليفة يزيد بن عبدالملك، وولاهما الخليفة إبراهيم بن عربي[(٣)].

---

(١) «تاريخ خليفة» ـ ٢٩٧ ـ.

(٢) المصدر السابق ـ ٣١٣/ ٣١٨ ـ.

(٣) المصدر السابق ـ ٣٣٣ ـ.

الثالث: عَدِيُّ بن أرطاة الفزاري، من سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠٢ هـ، وَوَلَّى البحرين:

١ ـ الصلت بن حريث.

٢ ـ عبدالكريم بن المغيرة[1].

الرابع: عمر بن هُبَيْرة من سنة ١٠٣ هـ إلى سنة ١٠٥ هـ.

الخامس: خالد بن عبدالله القسري من سنة ١٠٦ إلى سنة ١٢٠ هـ، وولاة البحرين:

١ ـ محمد بن زياد بن جرير البجلي.

٢ ـ هزان بن سعيد.

٣ ـ يحيى بن اسماعيل.

٤ ـ يحيى بن زياد بن الحارث الحارثي.

السادس: يوسف بن عمر الثقفي: من سنة ١٢٠ إلى سنة ١٢٦[2] هـ وولاة البحرين في عهده:

١ ـ عبدالله بن شريق النميري.

٢ ـ محمد بن حسان الأسيدي.

٣ ـ ثم غلب عليها المسيب بن فضالة نحو ثلاث[3] سنين فقتله بشر بن سلام العبدي وتولى البلاد حتى قدم يزيد بن عمر بن هبيرة[4] والياً للعراق من قبل مروان.

---

(١) «تاريخ خليفة» ـ ٣٢٢ ـ.

(٢) «تاريخ ابن جرير» ـ ٧/ ٢٧٠ ـ.

(٣) «تاريخ خليفة» ـ ٣٥٩ ـ.

(٤) المصدر السابق ـ ٣٦٦ ـ.

السابع: يزيد بن عمر بن هبيرة من سنة ١٢٨ إلى سنة ١٣٢ هـ، وولاة البحرين في عهده:

١ ـ بشر بن سلام.
٢ ـ ثم ابنه سيار بن بشر.
٣ ـ ثم أخاه سلم بن بشر[١]. فلم يزل عليها حتى قتل مروان.

ويتضح مما تَقَدَّم عدم ذكر أحد من ولاة العراق كان ذا صلة باليمامة ما عدا عمر بن هُبَيْرة الذي ذكر البلاذري وابن الأثير أنه عَيَّنَ سفيان بن عمرو العقيلي للقضاء على ثورة مسعود بن أبي زينب التي بلغت اليمامة، ويوسف بن عمر الثقفي الذي ذكر البلاذري أنه ولّى اليمامة عليَّ بنَ المهاجر بن عبدالله الكلابي[٢] وسيأتي هذا.

ومما يلاحظ أن ثورة ابن أبي زينب حدثت أثناء ولاية يزيد بن المهلب للعراق أي فيما بين سنتي (٩٦ هـ و ٩٩ هـ).

وعمر بن هُبَيْرة تولَّى العراق فيما بين سنتي (١٠٣ هـ و ١٠٥ هـ) مما يفهم منه أن امتدادها إلى اليمامة كان في عهده، فكأنها حدثت سنة ست وتسعين وانتشرت في اليمامة حيث تَمَّ القضاء عليها سنة خمس بعد المئة، أما في البحرين فلم تنته في هذا الوقت كما سيأتي فيما بعد.

ويكاد يُجْمِعُ من أَرَّخ ثورة ابن أبي زينب أن الذي قَضَى عليها في اليمامة هو سُفْيَان بن عمرو العُقَيْلِي، فهل كان واليا ثم عزل وعين مكانه نوح بن هُبَيْرة في عهد سليمان، ثم بعد أن حدثت الثورة بعد ذالك عَيَّنَهُ عمرُ بن هُبَيْرة لإخمادها، لعل بهذا يمكن التوفيق بين القولين.

---

(١) «تاريخ خليفة» ـ ٣٨٢/٤٠٦ ـ.
(٢) «انساب الأشراف» ـ ٥٩٧ ـ المخطوطة الدمشقية.

أو أن عمر بن هُبَيْرة ولَّى سفيانَ قيادَة الجيش الذي أُسندت إليه محاربة الخارجين على الحكم في اليمامة، وكثيراً ما كان قادة الجيوش يتولون إدارة البلاد التي يغزونها، فتولى سفيانُ قائدُ ذالك الجيش بحكم عملهِ الْيَمَامَةَ، واستمر على قيادة الجيش حتى عَيَّنَ الخليفةُ ـ يزيدُ بن عبدالملك الذي قُضيَ على الثورة في اليمامة في أيامه ـ عَيَّنَ إبراهيمَ بْنَ عربيٍّ والياً عليها وعلى البحرين أو كما عَبَّر خليفة[1] البحران واليمامة رَدَّ عليها إبراهيم بن عربي، وأن هذا تم بعد انتهاء أمر ابن أبي زينب في اليمامة، فعهد إلى إبراهيم لكي يصلح من آثار تلك الثورة في البلاد ما يمكن إصلاحه، وليضمن لسادته استمرار استقرار الأمور فيها، بما عرف عنه من صرامةٍ وحزم، وبما اكتسب في المدة الطويلة التي أمضاها في عمله من خبرة وسعة تجارب.

ومهما يكن فسفيان بن عمرو العقيلي هذا من ولاة اليمامة، فقد مدحه الفرزدق[2] بقصيدة ذكر فيها أنه أمير قومه ببطن (العِرْض) ويقصد عِرْضَ بني حَنِيْفَة المعروف في هذا العهد باسم (الباطن) كما مدح قومه أهل (حَجْرٍ) وحَجَرٌ قاعدة اليمامة في ذالك العهد، وأهلها بنو حنيفة، وهذا صريح في كونه تولى إمارة هذه البلاد، وها هو نص ما قال:

سَتَبْلُغُ مِدْحَةٌ غَرَّاءُ عَنِّي	بِبَطْنِ (الْعِرْض) سُفْيَانَ بْنَ عَمْرِو
كَرِيْمَ هَوَازِنٍ وَأَمِيْرَ قَوْمِي	وَسَبْقاً بِالْمَكَارِمِ كُلَّ مُجْرِ
فَلَسْتَ بِواجِدٍ قَوْماً إذَا مَا	أَجَارُوْا لِلْوَفَاءِ كَأَهْلِ (حَجْرِ)
هم الأثرون والأعلون لما	تأمرت القبائل كل أمر
أَبَوا أن يغدروا وأَبَى أَبوهم	حنيفة أَن يوازن يوم فخر

(١) «تاريخ خليفة» ـ ٣٣٣ ـ.

(٢) ـ ٤٣٦ / ٤٣٧ ـ من ديوانه ـ ط. الصاوي.

وَلَـوْ بـ (أُبَاضَ) إِذْ لاَقَـوْا جِلاَدًا   بِـأَيْـدِي مِثْلِهِـمْ وَسُيـوفَ كُـفْـرِ
لَـذَادُوا عَنْ حَـرِيمِهِـم بِضَـرْبٍ   كَـأَفْـوَاهِ الْأَوَارِكِ أَيَّ هَـبْرِ
وَلَكِنْ جَـالَـدُوا مَـلَكـاً كِـرَامـاً   هُمُ فَضُّـوْا الْقَبَـائِـلَ يَـوْمَ بَـدْرِ

ويـظهر أن الحظ عـثر بسفيان، بـأمـرٍ لم أَرَ تـوضيحـاً لـه، ولكن صـاحب «الأغاني»[1] أورد ليحيى بن أبي حفصة فيه:

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ   وَلَـوْ أُطِـعْتُ لَمَـا زَلَّـتْ بِـهِ قَـدَمُ
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخُ فِي فَحْمٍ لَقَـدْ وَقَدَتْ   نَـارِيْ وَلَـكِنْ رَمَـادٌ مَـالَـهُ حُمَـمُ

(١) ـ ١٠/٨٠ ـ ط. الثقافة.

ثورة ابن أبي زينب العبقسي
في البحرين واليمامة

من المعروف أن قبيلة ربيعة لما انتشرت فروعها، تفرقت هذه الفروع، فمنها بنو حنيفة الذين استوطنوا اليمامة مع إخوة لهم من بني بكر بن وائل، ومنها بنو عبدالقيس الذين حَلُّواْ في بلاد الْبَحْرَيْنِ على ساحل الخليج العربي، في شرق الجزيرة مع بعض إخوتهم من بني بكر بن وائل، واسم (البحرين) يطلق قديماً على شرق الجزيرة من مرتفعات الصَّمَّانِ غرباً حتى ضفاف الخليج شرقاً، ومن عُمَان جنوباً إلى كاظِمَةَ شمال الكُويت، ويدخل فيه جزيرة (أَوَال) التي تعرف الآن باسم (البحرين) من قبيل إطلاق اسم الْكُلِّ على البعض، وقد استقر بنو عبدالقيس في مدن المنطقة الساحلية وما بقربها، وانتشرت في غرب المنطقة بنو تميم، بعد أن زحزحوا بني بكر بن وائل عنها، وتحضر بنو عبدالقيس، واستقروا في المدن كالقطيف وجُوَاثَا وعَيْنَيْنِ وغيرها، وجاء الإسلام وهم في هذه البلاد، وكانوا من أسبق القبائل للاستجابة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ومِنْ أَثْبَتِهِمْ على دينهم، حين ارتدَّتْ أكثرُ قبائل العرب، ثم لما وقع الاختلاف بين الإمام علي ومعاوية ـ رحمهما الله تعالى ـ كان العَبْقَسِيُّوْن ممن انضم إلى مناصرة الإمام علي.

ومن هنا نشأ انحراف ولائهم عن بني أمية فكثرت الثورات ضدَّ حكمهم في البَحْرَيْن، مما لا يتسع المجال لبسطه.

ومن تلك الثورات ثورة مسعود بن أبي زينب المحاربي، ومحارب بطن من عبدالقيس، ولكنني لم أَرَ ابْنَ الكلبي، وقد فَرَّع هذا البطن[1] ذكر ابن أبي زينب، فلعله مُحَارِبِيٌّ وَلاَءً، ويؤيد هذا ما ورد في «ديوان الفرزدق»[2] ونصه:

---

(١) محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس «جهرة النسب» لابن الكلبي.

(٢) ـ ص ٢٧٩ ـ ط. الصاوي.

وكـان خرج بـاليمامـة مسعود بن أبي زينب مـولى لعبد القيس. انتهى. مـع أَنَّ البلاذُرِيَّ قال عنه: مسعود بن أبي زَيْنَب أَحَد وَلَدِ مُحَارب بن عبدالقيس. ولم أَرَ لَا ابنَ جرير ولا غيره من قدماء المؤرخين من تحدث عن ثورتـه سوى خليفـة بن خيَّاط في تاريخـه، والبَلاذُرِيُّ في «أنسـاب الأشراف» وابن الأثـير في «الكامـل»، وقد اختلف هاؤلاء في تحديد زمن حدوثها، فخليفة بن خيَّاطٍ يحـدد ذالك بسنـة ست وتسعـين فيقـول في حـوادث هـذه السنـة: وفيهـا وَلَّى يَـزِيْـدُ بن الْمُهَلَّبِ الْأَشْعَثَ بن عبـدَالله بن الجارود البحـرين، فخـرج عليـه مسعـود بن أبي زينب المحاربي، فانحاز الأشعث، وضبط مسعود البحرين[1].

ويكـرر هـذا في مـوضـع آخـر فيقـول عن البحـرين في عهـد سليمـان بن عبدالملك: وَلَّاهَا يزيدُ بنُ المهلب الْأَشْعْثَ بن عبدالله بن الجارود، فأخرجه منها مسعـود بن أبي زينب العبدي من بني محـارب، وغلب عليها وذالـك سنـة ست وتسعين[2].

وهذان النَّصَّانِ واضحانِ في تحديد الزمن، ولكنه يقول في الكلام على ولايةِ ابنِ هُبَيْرَةَ على العراق: جُمِعَتِ الْعِرَاقُ لِعُمَرَ بنِ هُبَيْرة الْفَـزَارِيٍّ سنة ثـلاثة ومئـة من أولهـا، ثم يضيف: وفي ولاية ابن هُبَيْـرَة خـرج مسعـود بن أبي زينب فغلب على البحرين واليمامة فقتله سفيانُ بن عَمْرٍو العُقَيْلي[3].

وحينما تحدث قبـل ذالك عن وُلَاة اليمـامة في عهـد سليمان قـال: اليمامـة وَلَّاهَا سليمانُ سُفْيَانَ بْنَ عمروٍ العُقَيْلي[4].

فخليفـة كـما تـرى حَـدَّدَ زمنَ حـدوث الثـورة في مـوضعـين في سنـة ست وتسعين، ولكنه عـاد فقال بـأنها حدثت في ولايـة ابن هبيرة، وابن هُبَيْـرَة بنصٍّ

---

(1) «تاريخ خليفة بن خياط» ص ٣١٣.

(2) المصدر السابق - ص ٣١٨.

(3) المصدر السابق - ٣٣٥.

(4) المصدر السابق - ٣١٩.

كلامه ولي العـراق سنة ثـلاث بعد المئـة[1]، وحين ذكـر ولايةَ سفيـانَ بنِ عَمْرٍو الْعُقَيْلِيِّ أوضح أن الذي وَلَّاه اليمامـةَ سُلَيمانُ، ومعـروف أن عهد سليمـان كان بين سنتي ست وتسعين وتسع وتسعين، وَسيـأتي أن الذي قضى عـلى تلك الثورة هو سفيانُ بنُ عَمْرٍو الْعُقَيْلِيُّ.

أمـا ابن الأثـير فَيَبْـدُوْ أنـه عَـوَّل عـلى البـلاذُرِيِّ الـذي قــال في «أنسـاب الأشـراف»[2]: الخوارج في عهـد يزيـد بن عبدالملك: خـبر عُقْفَـان ـ ثم سـاق وأورد بعـده: أَمْـر مسعـود بن أبي زينب الْعبـدي ـ إلى أن قــال: ثم خـرج إلى اليمامة وعليها سفيانُ بن عمروٍ الْعُقَيْلِيُّ ولَّاه إيَّاها عمرُ بن هُبَيْرَةَ الفزاريَّ في أيام يزيد بن عبدالملك، وساق خبره فهو ـ كـما ترى ـ أَكَّـد في موضعـين أن ثورة ابن أبي زينب والقضـاء على امتـدادهـا في اليمـامـة كـان ذالـك في عهـد يـزيـد بن عبدالملك، وعهد يزيد ابتدأ من ٢٥ من شهر رجب سنة إحدى ومئـة وانتهى في ٢٥ شعبان سنة خمس ومئة، ويبدو أن ابن الأثير تأَثَّر بما ذكر البلاذري، فقد ذكر خـبر ثورة بن أبي زينب في حـوادث سنة خمس ومئـة، وإذا صح أن هـذه الثـورة مكثت تسعة عشر عاماً ـ كما سيأتي ـ وأَنَّها حدثت كـما ذكر خليفـة سنة (٩٦)[3] فينبغي أن تكـون امتدت إلى سنـة خمس عشرة ومئة ـ في عهـد هشـام بعـد عهـد يزيد بن عبـدالملك، وهذا يخـالف نصوص المؤرخـين الذين تحـدثوا عنهـا. وقد يقال: بأن ما جاء في «تاريخ خليفة بن خياط» من أنها حدثت سنة (٩٦) صوابه (٨٦) فتصحف الـرقم الأخـير، فيكــون حـدوثهــا في أول عهـد الـوليـد بن عبدالملك، ومكثت تسع عشرة سنة، فتم القضاء عليها سنة خمس ومئة في عهـد

---

(١) ولاية ابن هبيرة العراق من سنة ١٠٢ إلى آخر سنة ١٠٥ حيث عزله هشام لما تَوَلَّى الخلافة، وقد تولاها في آخر شعبان سنة ١٠٥ ـ انظر: «تاريخ خليفة» ٣١٥/ ٣٢٨/ ٣٣٦ و«تاريخ ابن جرير»: ٦١٥/٦/ ٦١٧/ ٦٢٠ و٢٦/٧ و«تاريخ ابن الأثير»: ١٨١/٤/ ١٩٠/ ١٩٢.

(٢) وهو في «أنساب الأشراف» ـ ص ٥٥٤ ـ المخطوطة الدمشقية وانظر: «الكامل».

(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ٣١٣ ـ.

يزيد بن عبدالملك كما ذكر البلاذري، وتأثر به ابن الأثير، وقد يعترض هذا أن ولاية البحرين سنة ست وثمانين كانت منوطة بالحجاج والِي العراق، وقد وَلَّاها عدداً من الولاة آخرهم قطن بن زياد بن الرَّبيع الحارثي، وليس من بينهم الأشعث بن الجارود، حتى مات الحجاج ومات الوليد بن عبدالملك وموته كان سنة ست وتسعين، وفترة إضافة ولاية البحرين إلى الحجاج كانت عنفوانَ قُوَّتِهِ إبَّانَ قضائه على الثورات، ولم تُذْكَر خلالها هذه الثورة، ومهما يكن فإن تلك الثورة قد قُضي عليها في اليمامة قبل موت الفرزدق وموت جريرٍ اللَّذَيْنِ تُوَفِّيَا سنة عشر بعد المئة فقد ذكرا إخمادها في شعرهما.

وليس من المستبعد القولُ في امتداد زمن تلك الثورة تسع عشرة سنة - كما نقل البلاذري عن الهيثم بن عَدِيٍّ أنه قال: غلب مسعود على البحرين وناحية اليمامة تسع عشرة سنة، وأورد هذا القول ابن الأثير غير منسوب، ولكن بصيغة التمريض: (وقيل) وعند ياقوت: (بضع عشرة سنة)[1] ويمكن تَوْجِيْهُ القول بامتداد زمن تلك الثورة، وأنها لم تنته بوقعة الخِضْرِمة في اليمامة، التي قتل فيها مسعود - قائدها - بل استمرت قائمة بعد ذالك في هَجَر والقطيف من بلاد البحرين، فقد ذكر البلاذري بعد سياق خبر وقعة الخضرمة ما نصه: أمر سعيد بن أبي زينب أخي مسعود وعون بن بشر قالوا: لما قتل مسعود قام سعيد أخوه بالبحرين فقال سعيد: قال الله: ﴿ **لَاتَقْرَبُوا الْصَّلَاةَ وَأَنْتُم سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُون** ﴾ فلا تحلُّ الصلاة للسكران وما حُرِّمَ السُّكْرُ، وفارقه عون بن بشر أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة وأَكْفَرَهُ فصار أصحاب سعيد فرقتين فرقةَ معهُ وفرقةً مع عون، فخرج عون عن هَجَر، وأتى القطيف، فجاءه ناس كثير، وبقي سعيد بهجر، فدسَّ سعيد رجلين ليفتكا بعون، أحدهما حبشي يقال

---

(١) رسم (برقان).

له بُكَيْر، فقدما القطيف فوجأه بُكَيْرٌ بخنجر في خاصـرته، وأُخِـذَ بُكَيْرٌ فـدفع إلى الـوالي، فقال لـه: من أمرك بهـذا؟ قـال: أنت فـدفعـه إلى عـون فقتلهُ ومـات عون بن بشر، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يسعد. انتهى.

وبفحـوى كلام ابن الأثـير عن تاريـخ بـدء الثـورة أخـذ الشيـخ محمـد بن عبدالقادر في كتابه [1]، وسرت على هذا حين أشرت إلى هذه الثورة في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» [2] وتأثر بهـذا الأستاذ محمـد بن ناصر الملحم في «تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري» [3].

وقعة الخِضْرِمَة (الخضارم):

قـال البـلاذري [4]: أَمْـرُ مسعـودِ بن أَبي زَيْنَبَ العبـديّ قـالـوا: خـرج مسعود بن أبي زينب أحدُ ولدِ مُحارب بن عبدالقيس بالبحرين، على الأشعث بن عبدالله بن الجارود، فخرج الأشعث عن البحرين، وأخذ مسعود عبدَالرحمن بن النعمـان العَوْذيَّ ومنصـورَ بنَ أبي رجاء العـوذيَّ ـ وعَـوْذٌ من الأزد ـ فقتلهـما ثم خرج إلى اليمامـة، وعليها سفيـانُ بن عَمْرٍو الْعُقَيْـلِيُّ ولاَّهُ إياهـا عُمَرُ بن هُبَيْـرَة الفَـزَاريُّ في أيام يـزيد بن عبـدالملك فخـرج سفيـان بن عمـرٍو الْعُقَيْـلِيُّ بـأهـل اليمامة، فلقي مسعوداً بالخِضْرِمَةِ فقاتله، فانكشف أهل اليمامة عن سفيان، ثم كَـرُّوْا والتقى عَضَّاضُ بن تميم بن مُحلِّم العَـدَوِيُّ ـ عَـدِيّ الـرِّبَـاب ـ ومسعـود فاختلفا ضربتين فقتل عَضَّاضُ مسعوداً، وقام بأمر الخـوارج هِلالُ بن مُـدْلِجٍ، فقاتلهم يومه كلهِ، فَقُتِلَ نـاسٌ من الخوارج، وقُتِلَتْ زينبُ أُخْتُ مسعـود، فلما أَمْسَى هِلالٌ تفرق عنه أَصْحَابُهُ وبقي في عصبة فدخل قصراً فتحصن فيه، فقـال

---

(١) «تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد» ـ ج١ ص ٧٨ ـ.

(٢) «قسم المنطقة الشرقية» ـ ج ١ ص ٧٨ ـ.

(٣) انظر: ـ ص ٢٨٢ ـ وهو بحث أعده لنيل درجة الماجستير ولم يطبع بعد.

(٤) «أنساب الأشراف» ـ ٥٥٤ ـ المخطوطة الدمشقية.

عبيدُالله بن مالك عَمٌّ تميم بن محلم: على م نـدع هذا، وقـد حَبَسَ لكم نفسه، وقد تفرق أصحابه، ولعل طائفةً منهم تعود إليه؟ فطلبوا سُلَّمًا فلما وجدوه أحجم الناسُ عنه، وهابوا الإقدامَ، فَرَقَـا عبيدُالله إلى حـائط القصر، وتلقاه هـلال بن مدلج الخارجيُّ [1] على الحائط فاختلفا ضربتـين فقتل عبيـدُ الله هلالاً وجـرحه هلالٌ فبرأ من جراحته، واستأمن من بقي في القصر من الخوارج فـأمنهم، وقال الهيثم بن عَـدِيٍّ: قتل مسعـوداً رُقَيْبُ بنُ عبدِالـرحمن مولى بني شيبـان، واحـتز رأسه رجل من بني سعد والأول أثبت. وقال الفرزدق [2]:

لَقَدْ عَضَّ عَضَّاضٌ على السَّيْفِ عَضَّةً ... بِـأَنْيَـابِـهِ قَـدْ أَنْحَلَتْ أُمَّ زَيْنَـبِ
كَفَتْ ضَرْبَةُ الْعَضَّاضِ إِذْ سَلَّ سَيْفَهُ ... رِجَـالاً شُهُـوْداً مِنْ تَمِيْمٍ وَغُـيَّبِ

وقال أيضاً:

لَعَمْـرِي لَقَـدْ سَلَّتْ حَنِيْفَـةُ سَلَّةً ... سُيُـوْفـاً أَبَتْ يَـوْمَ الْـوَغَـا أَنْ تُعَيَّـرَا
تَـرَكْـنَ لِمَسْعُـوْدٍ وَزَيْنَـبَ أُخْتِـهِ ... رِدَاءً وَسِـرْبَـالاً مِنَ الْمَـوْتِ أَحْمَـرَا
أَرَيْنَ الْحَـرُوْرِيِّـيْنَ يَـوْمَ لِقَـائِهِمْ ... بِبُـرْقَـانَ يَـوْمـاً يَجْعَـلُ الْجَـوَّ أَشْقَـرَا

وقال الهيثم بن عدي: غلب مسعود على البحرين وناحيةاليمامةتسع عشرة سنـة حتى قتله سفيان بن عمـرو العقيـلي، سـار إليـه ببني حنيفـة. انتهى كـلام البلاذري وقد لخصه ابن الأثير ولم ينسبه إليه.

وقد جاء في كتاب «التعليقات والنوادر» ـ ٤٦٤ ـ المخطوطـة المصريـة ـ قال أبـو عـلي: كـان هـلال بن دملج ممن شَـرَى مـع سعيـد ومسعـود ابني أبي زينب المحاربي فأتوا اليمامة [الخضارِم] وهي الخضرمة وأميرها يومئذ سفيـان بن عمرو الكلابي. انتهى، ولم يزد على هذا.

---

(١) مدلج تصحيف (دملج) كما سيأتي، وكما ورد في كتاب «التعليقات والنوادر» ـ ٤٦٤ ـ المخطوطة المصرية.
(٢) البيتان لم أرهما في «ديوان الفرزدق» طبعة الصاوي.

وقد ورد في «ديوان جرير» مانصه [١] : وقال أيضاً:

بَـاتَ هِـلَالُ بـالْخَضَـارِمِ مُـوْجِفًـا ... ولم يَتَعَـوَّذْ مِنْ شُـرُوْرِ الـطَّوَارِقِ

الخَضارم: باليمـامة. وهـلال بن دُمْلُجٍ الخارجي، وكـان أتى اليمامـة من هَجَر، فَلَقُوهُ بالخَضارم، وأمير اليمامة يومئـذ سفيان بن عَمْـرٍو العُقَيْلي، وذالـك يومُ سَعِيدٍ ومسعود ابني أبي زينب الخارجيين من أهل هَجَر.

فَصَبَّحَهُ سُفيـانُ فِي ذَاتِ كَـوْكَـبٍ ... فَجَـرَّدَ بِيْضـاً صَـادِقَـاتِ الْبَـوَارِقِ

وسُفْيَـانُ خَوَّاضٌ إِلَى حَـارَةِ الْـوَغَـا ... وَلُـوجٌ إِذَا مَـا هِيْبَ بَـابُ السُّـرَادِقِ

وهنا اختلاف في اسم الموضع الذي حدثتْ فيه الوقعة، فهو عنـد ابن الأثير (الخِضْرِمةُ) وفي شعر جرير (الخضارم).

واسمُ الخِضْرِمةِ يـطلق على مـوضعين أحـدهما في إقليم الْخَـرْجِ، وهو جَـوٌّ واسع فيه سيوح وقرى ويقال له (جو الخضارم) عـلى ما نقـل ياقـوت في «معجم البلدان» [٢] وأضـاف: قـال ابن الفقيـه: حَجْـرُ مِصْرُ اليمـامـة، ثم جَـوٌّ وهي الخِضْـرِمَة، وهي من حَجْرٍ على يـوم وليلة، وبها بنـو سُحَيْم، وبنـو ثمـامـة من حنيفـة، وقـال الحـازمي [٣] : جَـوُّ الخضـارم قَصَبَـةُ اليمـامـةِ، ويقـال لبلدهـا خِضْرِمَة - بكسر الخـاء والراء - ثم ذكـر المنسوبـين إليها من رواة الحـديث، وقد تقدم الكلام عن الخضارم مفصلاً [٤] .

والمـوضع الثـاني الـذي يسمى (الخِضْـرِمَـة) يقـع في الجنـوب الشـرقي من منفوحة، مُتَّصِلٌ بقاعهـا، بينها وبـين مدينـة حَجْرٍ، وقـد اتصلتْ هذه المـواضع كلها بمدينة الرياض فأصبحت معمورة، والخضرمة هذه أقطعها أبـو بكر - رضي

---

(١) - ص ٥٠١ - تحقيق الدكتور نعمان طه.
(٢) رسم (الخضارم).
(٣) «البلدان» حرف الحاء باب (الحضارم والخضارم).
(٤) بوادر الحركات ص ٤٦ .

الله عنه ـ مُجّاعَةُ بنَ مُرَارةَ بن سُلْمِيٍّ الحنفي الذي أقطعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قطائع في هذه الجهة [1] .

ويبدو أن الخضرمة هذه هي التي قال فيها الأديب اللغوي أَبُو رِيَاشٍ أحمد بن إبراهيم القيسي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ: وُلِدتُّ بالبادية ولعبْتُ بالخِضرمة وتأدبت بالبصرة، وأضاف ياقوت: والخِضْرِمَةُ بستان في ناحية اليمامة له خاصية في عِظَمِ البصل [2] .

وهذه الخِضْرِمَة كانت من بلاد قَيْس بن ثعلبة قوم أبي رياش، هي ومنفوحة والنُّمَيليات، وكان الاسم معروفاً إلى عهد قريب يطلق على بئر في تلك الروضة.

أما موقع الوقعة التي جرت بين بني حنيفة وبين مسعود بن أبي زينب فيبدو أنها حدثت في الخضارم الموالية من اليمامة للبحرين، إذ من المستبعد أن يصل الثوار إلى الخِضْرِمةِ القريبة من حَجْرٍ، مجتازِيْنَ منطقة الْخَرْج، ومادونها من بلاد اليمامة.

ويبدو هنا إشكال فقد ورد في ديوان الفرزدق ما نصه [3] : وكان خرج باليمامة مسعود بن أبي زينب، مولى لعبد القيس، وكان رأس الزينبية من الخوارج فقتلته بنو حنيفة، وكانت أخته زينب معه فقتلوها ثم أورد أبياتاً في مدح بني حنيفة جاء فيها في وصف سيوفهم:

أَرَيْنَ الْحَرُوْرِيِّيْنَ يَوْمَ لَقِيْنَهُمْ ... بِبُرْقَانَ يَوْماً يَقْلِبُ الْجَوْنَ أَشْقَرَا

فَأَبْدَتْ بِبُرْقَانَ السُّيُوفُ وَبِالْقَنَا ... مِنَ النُّصْحِ لِلْإِسْلَامِ مَا كانَ مُضْمَرَا

جَعَلْنَ لِمَسْعُوْدٍ وَزَيْنَبَ أُخْتِهِ ... رِدَاءً وجِلْبَاباً مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرَا

---

(١) «فتوح البلدان» ـ ص ١١٢ ـ تحقيق المنجد.

(٢) «معجم الأدباء» ـ ٢/١٢٣ ـ ط. الرفاعي.

(٣) «ديوان الفرزدق» ـ ص ١٤٤ ـ ط. الساسي.

ومع أن ياقوت الحموي قال [1] : بُرْقَانُ موضع بالبحرين، قتل فيه مسعود بن أبي زينب الخارجي، وكان غلب على البحرين وناحيةِ اليمامة، بضع عشرة سنة، حتى قتله سفيان بن عَمْرٍو العُقَيْلِي، سار إليه بِبَني حَنيفة، فقال الفرزدق، ثم أورد بيتين من شعره المتقدم مع اختلاف في الألفاظ.

ولكن يؤخذ على قول ياقوت أن العقيلي سار إليه ببني حنيفة، وقد تقدم أن الثوار هم الذين ساروا إلى بلاد بني حنيفة حتى بلغوا الخضارم ويؤيد هذا قول الفرزدق [2] في موضع آخر يمدح بني حنيفة، وكانوا قاتلوا مسعود بن أبي زينب الخارجي من عبد القيس، وكان جَلِيس بلال بن أبي بردة وصديقه:

رَأَيْتُ بَنِي حَنِيْفَةَ يَوْمَ لاَقَوْا ... وَقَدْ جَشَأَ النُّفُوسُ عَنِ التَّرَاقِي
يُفَرِّجُ عَنْهُمُ الْغَمَراتِ ضَرْبٌ ... إِذَا قَامَتْ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقِ
إِذَا سَلَّ السُّيُوفَ بَنُو لُجَيْمٍ ... فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيْنَ يَقَعْنَ وَاقِ
لَقُوْا مَنْ سَارَ مِنْ هَجَرٍ إِلَيْهِمْ ... بِنَحْسِ النَّجْمِ وَالْقَمَرِ الْمُحَاقِ

وعبر الفرزدق في شعر له عن هذه الحادثة بما نصه [3] : حين خرج مسعود بن أبي زينب العبدي في الخوارج بالبحرين فقتلته بنو حنيفة وقتلت حرورية البحرين:

حَنِيْفَةُ أَفْنَتْ بِالسُّيُوْفِ وَبِالْقَنَا ... حَرُوْرِيَّةَ الْبَحْرَيْنِ يَوْمَ ابْنِ بَخْدَجِ
حَنِيْفَةُ إِنَّ اللهَ عَزَّ بِنَصْرِهِ ... حَنِيْفَةَ والْكَلْبُ الْعُقَيْلِيُّ مُخْرَجُ

ووجه الإشكال أَنَّ جريراً ذكر أن الوقعة حدثت في الخضارم وهي الخضرمة التي ذكر ابن الأثير، ولكن الفرزدق يقول إنها وقعت في بُرْقَانَ، وعلى قوله يحدد

---

(١) «معجم البلدان» رسم (برقان).
(٢) «ديوان الفرزدق» ـ ص ٥٩٠ ـ ط. الساسي.
(٣) «ديوان الفرزدق» ـ ص ١٤٤ ـ وابن بخدج تقدم ذكره في حوادث نجدة بن عامر الحنفي.

ياقوت الموقع بأنه في البحرين، ولو صَحَّ هذا لكان الموضع الواقع في منطقة الكويت، الذي اشتهر في الأيام الأخيرة بحقول النفط فيه، وهم يسمون الموضع (البرقان) بإضافة (ال).

فهلْ بنو حنيفة طاردوا الثوار حتى بلغوا هذا الموضع؟، هذا لا ينطبق على كون الوقعة الفاصلة التي قتل فيها مسعود وأخته وعدد من أتباعه حدثت في الخضرمة، ولا مع قول الفرزدق بأن بني حنيفة لقوا من سار من هَجَرٍ إليهم.

وإذَنْ فهم لم يسيروا إلى بُرْقَان الذي في ناحية البحرين، وهذا يحمل على القول بأن برقان الذي هُزِمَ فيه الثُّوارُ كان بقرب الخِضْرِمة (الخضارم) وكثيراً ما يطلق الاسم على عِدَّةِ مُسَمَّيَاتٍ.

مدة ولاية ابن عربي

ابن عربي هو أطول ولاة اليمامة في العهد الأموي زمناً، فقد تولاها في عهد عبدالملك بن مروان سنة ٧٤ هـ تقريباً، حتى عهد هشام بن عبدالملك فيما بين سنتي (١٠٥/ ١٢٥ هـ) مع ما تخلل تلك المدة حِينَ عَزْلِهِ في عهد سليمان بن عبدالملك، وفي عهد عمر بن عبدالعزيز، نحو خمس سنواتٍ.

ففي عهد الوليد بن عبدالملك من سنة (٨٦ - ٩٦ هـ) استمر على ولايته إذْ هذا العهد كانَ مُتَمِّمًا لما سبقه، فقد سار الوليدُ خِلاَلَهُ سيرةَ أَبيه، وأبقى عُمَّالَهُ على الأقاليم، ومن بينهم ابن عربي الذي نجد في بعض ما بين أيدينا من المصادر لمحات عنه في هذا العهد، فمن ذالك اقتتال بني عَبْسٍ وبني زُبَيْدٍ من بني يَرْبوع من بني تميم في ماءٍ يقال له الْخُفّ[1] بِحِذاء عيون ابن عامر، فرمى رجل من عبسٍ رجلاً زُبَيْدِيًّا يُدْعَى عُنْقُوْشاً، فمات، فارتحل العبسيون هاربين إلى الشام، حتى أخذوا من الوليد بن عبدالملك كتاباً إلى إبراهيمَ بنِ عربي الكاتب الكناني، عامله على اليمامة، يُجْبِرُ بني زُبَيْدٍ على قبول الدية، لأن بني عبس أخواله[2]، فلما قدموا على ابن عربي سجنَ من الزُّبيديين التميميين ثلاثة عشر رجلاً في دَوَّارٍ، سجن اليمامة، ليأخذوا الدية، فأَبَوْا وخرج أحدهم ويدعى أَبَا الْخَنْساءِ الزُّبَيْدِيَّ، فلِقِيَ رفقةً لبني عبس، يسوقون الدِّيَةَ فعرف مِيْسَمَهُمْ، وهم يسمون إبلهم في أقفائها، فقتل رجلاً ظنه قاتِلَ عُنْقُوْشٍ، ثم ارتحل الزبيديون من البادية، فلحقوا بالجزيرة، من بلاد الشام، خوفاً من جَرِيرَةِ ذالك القتل،

---

(١) الخف يعرف الآن باسم الخُفَيَّات موضع يقع شمال بلدة قُصَيْبَا يبعد عن مدينة بريدة قاعدة القصيم شمالاً نحو مئة كيل، أصبح الآن معموراً بزراعة وغيرها انظر: [جريدة الجزيرة - ع ٨٤٠ في ٦ صفر ١٣٩٤ هـ] وابن عامر هو عبدالله بن عامر بن كُرَيْزٍ القرشي له عيون في منطقتي الأسياح والْجِوَاء، والخفُّ بحذاء عيون الجواء من الشمال على خط الطول: ٣٠ʹ/٤٣° وخط العرض: ٠٠ʹ/٢٧°.

(٢) أم الوليد وسليمان ابني عبدالملك ولأّدة بنت العباس بن جَزْءِ بن الحارث بن زُهير بن جذِيْمَة بن رواحة بن ربَيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس.

وقال الفرزدق في ذالك:

كُلُوْا مَـا جَمَعْتُم مِنْ دِيَـاتٍ فَـإِنَّهُمْ ... بَنُـو مُحْصَنَاتٍ لَمْ تَـدَنَّسْ ثِيَـابُهَـا
وَإِنَّ زُبَيْـدًا لَاتَـزَالُ رِمَـاحُـهَـا ... صَوَادِرَ أَوْ مُسْتَورِدَ الْمَوْتِ غابُها[1]

وقال غَسَّانٌ السَّلِيْطِيُّ التميمي:

فِدًى لِأَبِي الْخَنْسَاءَ رَحْـلِي وناقَتِي ... إِذَا ذُكِـرَتْ أَخْبَـارُهُ بِـالْمَـوَاسِمِ
سَقَيْتَ الْغُـلَامَ الْجِـذْيَمِيَّ صَفِيْحَـةً ... بِمَقْتَلِ عُنْقُوشٍ غَـدَاةَ الصَّـرَايِمِ
إِذَا هُـزَّ قُضْبَانُ الْحَـدِيْـدِ وَجُـرِّدَتْ ... بِـأَيْـدِي زُبَيْـدٍ نَكَّلَتْ كُـلَّ ظَـالِمِ
وأَنَّ دِمـاءَ الحنـظلِيِّـيْنَ لَمْ تَـكُـنْ ... تُبَاعُ إِذَا بِيْعَ الْمُخَاضِ الْعلاجِمِ [2]

وسبقتِ الْإِشَارةُ إلى هذه الحادثةِ إِلَّا أَنَّ وقوعها في عهـد الوليـد فيما اتضـح من كلام البلاذُرِيِّ وغيرِه أقرب، فهو الذي أجبر على قبول الدّيَةِ، حَمِيَّةً لأخـواله من بني عبس.

ولعلَّ سبب اختفاء أخبـار إبراهيم أثنـاء خلافـة الوليـد استمرار الْهُـدُوءِ في البلاد، وكما يقال: (أسعَدُ البلاد التي لا تاريخ لها).

وفي عهد سليمان بن عبدالملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ) لا يكاد الباحث يدرك شيئـاً عن ابن عربي، يوضِّحُ ما آلتْ إليـه حالَتُـه، ومعروفٌ أن سليمـان تولى الخـلافة سنة ٩٦ هـ وكان أخوه الوليد الخليفة قبله قد فكر في إبعـاده عن تولي الخـلافة، بـإسنادِ ولايـةِ العهدِ إلى ولـدِهِ عبدِالعـزيز، بعـد استشارة بعض الـولاة، ومنهم الحجاج، وقد حقد سليمانُ على من أشار بتنحيـة الولايـة عنه، ومنهم الحجـاج الذي كانت وفاته قبل ولاية سليمان من أسباب نجاته من عقوبته، التي لم يسلم

---

(١) «ديوان الفرزدق» ـ ص ١٠٣ ـ طبعة الصاوي.
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ج ١١ ص ٢٢٧ مخطوط ـ في (دار الكتب المصرية).

منها أحد ممن وافق الوليد على عقد ولاية العهد لابنه عبدالعزيز، ومنهم عمال الحجاج[1].

ولا أريد التجني على سليمان الذي لو لم يكن من حسناته إلَّا أنه عهد بالأمر بعده للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، وأنه كما يذكر مؤرخوه اتخذه مستشاراً ووزيراً وقال له: إنَّا قد وَلينا ما تَرَى، وليس لنا عَلْمٌ بتدبيره، فما رأَيْتَ من مصلحة العامة فَمُرْ بِهِ فَلْيُكْتَبْ. وكان من ذالك عزل نواب الحجاج، وإخراج أهل السجون منها، وإطلاق الأسرى[2].

لقد اتجه سليمانُ ساعةَ تَوَلِّيهِ الحكم إلى معاقبة كثير من الولاة فعزل من عزلَ، وصادر أموالَ من صادر، وَعَذَّبَ من عَذَّب بالحبس وغيره.

وصلةُ إبراهيم بن عربي بالحجاج معروفة، ولعله لسابق ما أسدى إبَّان عمله من يَدٍ، ولصلته بالبيت المرواني، نجا من العقوبة بغير العزل، وقد يكون من أسباب ذالك بعده عن نفوذ سليمان وسيطرته، لاستقراره في اليمامة بعيداً عن مركز الخلافة دِمَشْقَ، ومن هنا اختفتْ أخباره في عهد سليمان، لولا أن العجاج الراجز وكان ذا صلةٍ به، له أرجوزة طويلة[3]، يفهم منها أنَّ سليمان استدعى ابن عربي لكي يعرف ما جمعه من أموال الدولة.

وشعرُ العجَّاج ـ كما هو معروف ـ مَشْحُوْنٌ بالغريب الْوَحْشيِّ من الكلمات، بحيث لا تتضح كثير من معانيه، ولكن يُفْهَمُ من تلك الأُرْجُوزةِ أَنَّ العجاجَ يعتذر في أولها عن عَدَم حضوره عند إبراهيم يوم رحيله، لأنه ذو فضل عليه، ثم يبدي استبشاره بما نقله البريد من الخبر الحلو المعسَّلِ بأن إبراهيم قد

---

(1) «سمط النجوم العوالي» ـ للعصامي ـ ٣/١٨٧ ـ.

(2) «البداية والنهاية» ـ ٩/١٧٨ ـ.

(3) تقع في ١٦٨ بيتاً من ـ ص ١٩٢ إلى ص ٢١٧ ـ من «ديوان العجاج» تحقيق الدكتور عزة حسن.

آب ولم يُعْزَلْ، ولم يُحَمَّلْ مَغْرَماً بعد أن قام برحلة من حَجْرٍ إلى مقر الملك، وأن الله أَلْقَمَ الواشين الجندل، ويشير في رحلته إلى أنه انتهى إلى مكة، وإذا صح هذا فقد يكون وافى سليمانَ في مكة أثناء حَجِّهِ سنة ٩٦ هـ، وهي السنة الثانية من مدة ولايته التي لم تَدُمْ سوى سنتين وثمانية أشهر[١] وأيَّاماً.

ويبدو أنَّ هذه الرحلة استجابةً لاستدعاء الخليفة، وليس لمجرد الزيارة، لأن العجَّاجَ يُعَبِّرُ في أرجوزته بأن ابن عربي لم يُخْفِ أمراً مكتوماً، بل قال للإمام (سليمان): هذا ماعِندي، ولم أجمع شيئاً أكثر من مأكلي، وأقسم أنه لم يُخْفِ مما جمع شيئاً، وأن شدَّةَ السنين التي مرَّتْ بالرعية وما أصيبت به من جَرَّاءِ ذالك من فقر، بحيث أصبح ذُو الثروة فقيراً، يضاف إلى هذا تسلط العرفاء الذين لا يخشون الله في الرعية، بل يأخذون منها أكثر مما هي مطالبة به، واسترسل العجاج في وصف سوء تصرف اولئك العرفاء.

ثم ذكر عودة إبراهيم بن عربي إلى اليمامة.

ولعل سليمان اتَّضح له من ابن عربي أن أحوال هذه البلاد الاقتصادية ليست مما يمكن الاستفادة منه، ما دامت مواردها لا تزيد على احتياج واليها، فلماذا تكون عِبْئاً ثقيلاً على الخليفة بارتباط واليها به.

ومن هنا جعلها تابعة لولايةِ العراق على ما يفهم من قول البلاذري وابن الأثير عن ثورةِ مسعود ابن أبي زَيْنَبَ: سار مسعودُ إلى اليمامة، وعليها سفيان بن عمرو العقيلي وَلَّاه إيَّاهَا عُمَرُ بنُ هُبَيرة[٢]. والثورة حدثتْ في عهد الوليد - بعد عهد سليمان - وقد يُسْتَأْنَسُ لهذا أن ولاية البحرين كانت قد ضُمَّتْ إلى العراق أثناء ولاية يزيد بن المهلب، فَجُعِلَت ولاية البحرين مرتبطة

(١) «مروج الذهب» - ج ٢ ص ١٦١ -.
(٢) «أنساب الأشراف» - ٥٥٤ المخطوطة الدمشقية - و «الكامل» - ٤/١٩٠ -.

به، إذ هو الـذي وَلَّى الأشعث بن عبدالله بن الجـارود البحرين، فـأخرجـه منها مسعـود بن أبي زينب. وغلب عليها سنـة ست وتسعين عـلى ما ذكـر خليفـة في تاريخه[1]، ثم بعد أن عُيِّنَ عمر بن هبيرة في ولايـة العراق في سنـة ثلاث ومئـة ـ على ما ذكر أيضاً ـ عَيَّنَ ابنُ هبيرة سُفْيانَ بن عَمْرٍو العُقَيْلِيَّ والياً لليمـامة، فكـان سليمان بن عبدالملك هو الذي أضاف البحرين واليمامة إلى العراق.

لا شـك أن سياسـة اللين من حيث اختيار الـولاة التي سار عليهـا سليمان بمشورة عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كان من أثرها خلو أكثر أقطار الخلافة من حكام عرفوا بالقوة والحزم، فحدث في بلاد البحرين ثورةٌ قام بها سعيد ومسعود ابني أبي زَينب الْعَبْدِيَّيْنْ، وامتدت إلى اليمامة، وهذا ما تَقَدَّمَ الحديث عنه، إذ لم أَرَ لابن عـربي ذكراً في أنبـاء هذه الثـورة، ولعله أثناء ذالـك آثَرَ الانـطواءَ وحياة الْهُدُوْءِ والراحة لكبر سِنِّهِ، أَوْ لعدم الاحتياج إليه.

وفي عهد عمر بن عبـدالعزيـز (٩٩/ ١٠١ هـ) تغيرت سيـرةُ هذا الخليفـة الصالح مدة خلافته القصيرة عن سِيَرِ من تقدَّمَهُ من بني أُمَيَّةَ، وكان شديدَ الكره للحجاج بن يوسف، ولمن ضاهاه من العمال القساة في أحكـامهم، ولهذا أبعـد من استطاع إبعاده من أولئك عن تصريف أمـور الدولـة، مُسْتَمِرًّا عـلى طريقـة سليمان في ذالك، وقد كان مستشاره كما تقدم، واتجه إلى محاولة حَمْلِ رعيته على التقـوى والصلاح، وقـد أسنـد ولايـةاليمـامـة إلى زرارة بن عبـدالـرحمن[2]، وعمرو بن عبدالله الأنصاري[3]، كما سبقت الإشارة إلى هذا[4]، وعمـرو بن عبـدالله هـو ابن أبي طلحـة ـ زيـد ـ بن سهـل الأنصـاري من رواة الحـديث المعـروفين روى عن عمـه أنس بن مالـك وعبدالله بن الـزبير وغيـرهمـا، وكـان

---

(١) ـ ص ٣١٨ ـ.

(٢) «تاريخ خليفة خياط» ـ ص ٣٢٣ ـ.

(٣) «تاريخ أبي زرعة» ـ ١/ ٦٥٢ ـ.

(٤) ص : ١١٢

عمر بن عبدالعزيز قد وَلَّاه على عُمَان، أما زرارة بن عبـدالرحمن فلعله زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف الزهري وهو من رواة الحديث أيضاً.

وليس من المستبعد أن يكون قِصَرُ مُدَّةِ سليمانَ في الولاية من الأسباب التي حالتْ دون معاقبة ابن عربي كـما عوقب أمثـاله، وأنـه عاد بعـد مقابلة سليمـان فاستقر في اليمـامة، التي وَلَّاهَـا سليمان سفيـانَ بن عمرو العُقَيْـلِي، ثم نوح بن هُبَيْرة على ما ذكر خليفة بن خياط في تاريخه[1].

ولقـد كـان انصـرافُ الخليفـة إلى العبـادة والـورع مما مَكَّن أعـداء الحكم الأمـوي من تثبيت دعـائم تقـويض ذالـك الحكم، مستعملين في ذالـك مختلف الوسائل.

وفي عهد يزيـد بن عبدالملك فيـما بين سنتي (١٠١ ـ ١٠٥ هـ) انفصـل عن الخلافة جزء كبير في وسـطها، يشمـل البحرين واليمـامة، ويقـع متصلاً بـإقليم الحجاز، الذي له في نفس كل مسلم من المنـزلة مـا يحمل كـل خليفةمن خلفـاء المسلمين على الاهتمـام بشؤونه أَكْـثَرَ من غيره، ومـاذا يبقى للخليفة من مُسَمَّى الخـلافة الإسـلامية فيـما لو انفصلتِ المـدينتان المقـدستان، ومشـاعر الحـج عن حكمه؟ ومن ذا الذي لا تُساوره الظنـون بأن تلك الثـورة التي اشتعلت في شرق الجزيرة، ثم امتدت إلى وسطها قد تبلغ غربها.

إن ما عرف من قوة ابن عربي، ومن أعماله في عهد عبدالملك وابنه الوليد، مع نفور غيـره من الولاة وكـراهيتهم للعهد من جـرَّاء ما أوقعـه بهم سليمان من سوء المعاملة، كل هذه الأمور دفعتِ الخليفة الجديد ليتذكر عاملهم القديم عـلى ما بلغ من كبر السن، وما آثَر من عزلة وانطواء.

---

(١) ـ ص ٣١٩ ـ.

تذكره الخليفة بعد أن التهمت الثورةُ شرقَ الجزيرة ووسطها، وأوشك أن يمتد شررها فيشمل غربها، حيث تقع المشاعر المقدسة في نفوس المسلمين.

لقد أعاد الخليفةُ يزيد بن عبدالملك إبراهيمَ بْنَ عربيٍّ ليس والياً لليمامة فحسب، بل أضاف إليه قطراً آخر هو البحرين، على ما ورد في كلام خليفة بن خياط [1].

إن تلك الثورة ـ على ما يفهم من كلام المؤرخين ـ قد فصلت الإقليمين عن الخلافة، وإذَنْ فهل تعيين ابن عربي والياً عليهما قُصِدَ به إخمادُ ثورتهما، وارجاعهما لحظيرة الخلافة؟ أم أن القضاء عليها قد تَمَّ قبل إعادة ابن عربي لعمله، وعلى يد قائد غيره؟

حينما نتتبع أخبار ابن عربي، لا نجد له ذكراً إبَّانَ ثورة ابن أبي زينب، مع أن الذين قاموا بإخمادها هم بنو حَنِيفَة أَهْلُ اليمامة [2]، في عهد يزيد بن عبدالملك، ووالي اليمامة إذ ذاك هو ابن عربي، والقضاءُ على تلك الثورة كان على يد سفيان بن عَمْرٍو الْعُقَيْلِي.

وقد يكون لابن عربي يدٌ في اخماد هذه الثورة التي نصَّ البلاذري على أنها لم تنته بانتهاء وقعة الخِضْرِمَة التي قُتل فيها مسعود بن أبي زينب قائد الثورة وأخته، فقد استمرت بقيادة أخيه سعيد على ما تقدم.

---

(١) ـ ص ٢٢٣ ـ.

(٢) وفي ذالك يقول الفرزدق:

ولولا سُيُوفٌ مِنْ حَنِيفَةَ جُرِّدَتْ ... بِبُرْقَانَ أَضْحَى كاهِلَ الدِّيْنِ أَزْوَرا

جَعَلْنَ لِمَسْعُوْدٍ وزَيْنَبَ أُخْتِهِ ... رِداءً وجِلْبَاباً مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرا

نهاية أمر ابن عربي

لا أستبعد أن سفيان بن عَمْرٍو الْعُقَيْلي لم يقضِ على ثورة ابن أبي زينب في البحرين، وإنما استطاع أن يوقف امتدادها في اليمامة، فحدثت بينه وبين الثوار وقعة (الخِضْرِمَةِ) التي تقدم ذكرها، وأن الثورة لم تقفْ عند هذا الحد، مما استلزم إسناد ولايةِ القُطْرَيْنِ اليمامة والبحرين إلى والٍ عُرِفت عنه القوة والصرامة في تصريف الأمور، ممن كان خبيراً بهذه البلاد، وهو إبراهيم بن عربي، الذي سبق أن كُلِّفَ من عبدالملك بن مروان بالقضاء على ثورة مماثلة لهذه الثورة، فتمكن من ذالك، حيث أشار البلاذري أن في عهد إسناد ولاية البحرين إلى محمد بن صعصعة الكلابي حدثت ثورة من أَحَدِ بني عبدالقيس، ويدعى المحاربي، فاستنجد أمير البحرين بالحجاج، وكان والياً للعراق، وقد ثار عليه قَطَرِيٌّ بن الْفُجَاءَةِ، فَشُغِلَ بمحاربته، فأشار الحجاج على عبدالملك بن مروان وذالك سنة ٧٨ هـ بإبراهيم بن عربي، الذي سار إلى البحرين بجيشه حتى استطاع أن يفرق الثوار[١].

وثورة ابن أبي زينب لم تَنْتَهِ في وقت قصير، فقد حدد حدوثها خليفة بن[٢] خياط بسنة ست وتسعين هجرية (٩٦ هـ)، وقال ياقوت في «معجم البلدان»[٣]: إن مسعود بن أبي زينب كان غلب على البحرين وناحية اليمامة بضع عشرة سنة حتى قتلهُ سفيان بن عَمْرٍو العُقَيْلِيُّ، سار إليه ببني حَنِيفة، وقيل

---

(١) «أنساب الأشراف» ص ٥٠٤ ـ المخطوطة الدمشقية ونَصُّ كَلَامِ البلاذُرِيِّ: خبر خارجي من عبدالقيس بالبحرين: المدائني خرج رجل من بني محارب بن عَمْرٍو من عبد القيس بالبحرين على محمد بن صعصعة في سنة ثمان وسبعين قبل أن يُقْتَلَ قطريٌّ فكتب الحجاج إلى عبدالملك أن قَطَرِيًّا قد شغل مَنْ قِبَلِي من المقاتِلَةِ فإنْ رآى أميرُ المؤمنين أن يكتب إلى إبراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي. فكتب إلى ابراهيم وهو باليمامة: أن سِرْ إلى البحرين فإن ظفِرْتَ بالمحاربي فلا تقتله واحفظ له بلاءهُ عند أمير المؤمنين مروان فإنه لجأ إليهم يوم الجمل ثم تحول إلى بني هُمَيْم، فخرج إبراهيم إلى البحرين في ألفين فهزم الخوارجَ، فتفرقوا، ورجع إبراهيم إلى اليمامة. انتهى ملخصاً.

(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٣١٨ ـ.

(٣) رسم (برقان).

إن مسعودا غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة، حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي[1]، فإذا صح استمرار الثورة هذه المدة الطويلة فمعنى هذا أنها حدثت في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ، واستمرتْ خمس عشرة سنة، أي إلى أن مضى من عهد هشام بن عبدالملك عشر سنوات، فيكون انتهاء القضاء عليها في عهده حين كان ابن عربي والياً لليمامة والبحرين، وقد سبق الكلام على ولاية يزيد بن عبدالملك أنه أعاد ابن عربي إلى ولاية اليمامة، وضَمَّ إليه البحرين.

وتولى بعد يزيد هشام بن عبدالملك بين سنتي (١٠٥ و ١٢٥ هـ) وفي عهده أقَرَّ ابنَ عربي في ولايته، فقد جاء في كتاب «نسب الخيل»[2] لابن الكلبي ما نصه: واخبرني بعض علماء أهل اليمامة أن هشام بن عبدالملك كتب إلى إبراهيم بن عربي الكناني أَنِ اطْلُبْ في أعراب باهلةَ لعلك أن تصيبَ لي فيهم من ولد الْحَرُوْنِ شيئا، فإنه كان يطرقهم، ويجب أن يبقى فيهم نسله. فبعث إلى مشايخهم فسألهم فقالوا: ما نعلم شيئا غير فرس عند الحكم بن عرعرة النُّميْرِي يقال له: (الحموم) فبعث إليه فَجِيْءَ بها، وجاء رجل من بني سعد بفرس أشقر أقرح، من ولد (لاحق) فلما نظر إليه الحكم بن عرعرة، ويقال إنه كان أبصر الناس بفرس فقال: ماله قاتله الله، إن سبقنا شَيْءٌ فهذا خليق، كان يحاكُّها عشر غِلاَءٍ ويتقدمها، ثم تغضب وتدركها عروق كرام فتسبقه، فلما أرسلت الخيل صدر الاشقر السعدي عليها وانقطعا من الخيل، فرجز السعدي فأنشأ يقول:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا ... أَرْوَعَ يَطْوِي الْخَيْلَ مِنْ أَقْطَارِهَا
يُغَادِرُ الْخَيْلَ عَلَى انْبِهَارِهَا ... مُقْوَرَّةً تُعْثَرُ فِي غُبَارِهَا

---

(١) «الكامل» - ٤/ ١٩٠ -.

(٢) - ص ١٢٤ ط. دار الكتب المصرية.

قـال: فوالله لكـأنها فَهِمَتْ رجزهُ فَصَـرَّتْ أُذُنَيْها ثم اعتمـدت في اللجـام، فبدرت بين أيديها فجاءت أمامهـا كأنها كثـاب أعسر، والكثاب مثـل المعراض. فنهض النُّمَيْرِيُّ يرتجز:

مـا إن صَبَحْتَ عَـامِـراً في دَارِهَـا إلاَّ جِـلاَلاً كُنْـتَ مِنْ مُيَّـارِهَـا
مُنْخَـرِقَ الْمِئْـزَرِ مِنْ تَجْـرَارِهَـا قَـدْ تَـرَكَتْ عَـوْدَكَ فِي غُبَـارِهَـا
خَيْفَـانَـةٌ لاَ يُـصْـطَلَى بِنَـارِهَـا تَحْمِي بَنَـاتَ أُمِّهَـا مِنْ عَـارِهَـا

قـال: فكلمه فيهـا إبراهيم بن عـربي فقال: إن أمـير المؤمنـين كتب إلي أن أصيب لـه فرسـا من نَسْلِ الحْـرون، قد جَلَتْ عن نفسهـا بـالسَّبْق، فَخُـذْ مني ثمنها. فقال الحكم: إنَّ لها صُحْبةً وحقًّا، وهي عندي نَفِيسةٌ، ما تـطيب نفسي عنها، ولكن أهب لأمير المؤمنـين ابناً لهـا سبق الناس عـاماً أوَّلَ، وإنَّـهُ لَرَابِض. قال: فضحك القوم فقال: ما يضحككم؟ أَرْسَلْتُ أُمَّهُ عـاماً أول بِجَـوٍّ في حَلْبَةِ رَبِيْعَـة، وإنها لَعَقُوق بـه، قد ربض في بـطنها، فسبقَتْ. فبعث بـه إلى هشـام، فسبق الناس عليه وما اثْغَرَ. انتهى.

وجاء في «ديوان الفرزدق»[1]: وقال لإبراهيم بن عربي الكناني، وكان عـلى اليمامة، وكان وفد بناس إلى هشام، فيهم صخر بن حَبْنَاء، أحـد بني رَبِيعةَ بن حَنْظَلَةَ، هو إبراهيم بن عبدالرحمن بن نافع بن عربي جَدُّهُ:

نُبِّئْتُ إِبـراهِـيمَ والـرَّمْـلُ دُوْنَـهُ شَـقَـايِقُـهُ مَبْـطُوْحَـةٌ وَخَمَـايِلُهْ
تَـنقَّـى رِجَـالاً لَمْ يَكُـنْ وَالِـدٌ لَهُـمْ أُنِيْخَـتْ إِلَى أَبْـوَابِ مَلْكٍ رَوَاحِـلُهْ
حَمَلْتَ إِلَى خَـيْرِ الْبَـرِيَّـةِ شَـرَّهُمْ وَمَـا ظَنَّ خَيْرُ النَّـاسِ أَنَّـكَ فَـاعِلُهْ
وَكَـانَ يَـرَى أَنْ لَنْ تَجِيْءَ بِمُقْـرِفٍ وَأَنْـتَ أَمِـينٌ لِـلإِمَـامِ وَعَـامِـلُهْ

---

(١) ـ ص ٦٣٩ ـ ط. الصاوي.

ولا شـكَّ أن ابن عربي في عهـد هشام قـد تقدمت بـه السن، بحيث تَجَاوزَ عمره السبعين عاماً، فإذا فرضنـا أن عمره حـين شارك في حـرب مصعب وتولى ديوان عبدالملك لا يقل عن ثلاثـين عامـاً فإنـه حين تـولى هشام الملك قـد تجاوز الستـين، مع أنني لا أستبعـد أن يكون ممن تعلم الكتـابة عـلى يـدي مـروان بن الحكم صاحب ديوان عثمـان بن عفان رضي الله عنـه، وأنه في ذالـك العهد في سن تمكنه من الإدراك واكتساب المعرفة لا تقل عن عشر سنوات، بحيث يكون في عهد هشام قد ناهز الثمانين من عمره، ومهما يكن فالرجل تكاد تختفي أخباره بعد عهد هشام.

وقـد توفي ابن عـربي في اليمامـة على مـا يفهم من قول يـاقـوت في «معجم البلدان»[1]: العُقَيْرُ قرية على شاطئِ البحر بحذاء هَجر، والعُقَيْر باليمامة نخلٌ لبني ذهل بن الدوْل بن حنيفة، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي الـذي كان والي اليمامة في أيام بني أمية، والعُقَيْر أيضاً نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة كلاهمـا عن الحفصي، انتهى، وقد تقدم الكلام عن العقير[2] هذا.

ويبدو أن استقرار ابن عربي الطويل في اليمامـة مكنه من امتـلاك العقارات فيهـا، وأنه أعقب ذريـة تناسلوا كـما يفهم من كـلام يـاقـوت[3]: السَّيْحُ المـاء الجاري، وهو اسم ماء بأَقْصَى العِـرْضِ وادٍ باليمـامة، لآل إبـراهيم بن عربي. انتهى، وتعبيره بكلمة (آل) يفهم منها تناسل ذريته وبقاؤهم بعده.

وأرى أن الحمـويَّ نقل هـذا الكـلام عن محمـد بن إدريس بن أبي حفصـة الذي أَلَّـف كتاباً عن اليمامة في القرن الثالث الهجري، بحيث يفهم أن في ذالك العهد لا يزال لِابْنِ عربي من الآل المعروفين ماعَـبَّرَ عنه محمـد بن إدريس بن أبي حفصة وهو من أهل ذالك القرن.

---

(١) رسم (العقير). (٢) في (أين استقر ابن عربي؟). ص ١٣٩ (٣) رسم (السيح).

والسيح هذا الذي في أقصى العرض أقربُ وصف ينطبق عليه هو السيح المعروف الآن في منطقة الخرج، الذي كان يعرف قديماً باسم السيوح، وهو الذي أراد معاوية استغلاله بِمَنْ أرسل إليه من المشتغلين بالزراعة من بلاد الشام كما تقدم الكلام عن هذا، وهو في منطقة الخضارم وتقدم وصفها، وقد نضبت المياه الجاريةالتي تكوِّن السيوح، وبقى من آثارها عيون ثلاث غزيرة الماء أُنشئ عليها في عشر الستين من القرن الماضي مشروع زراعي، عرف بمشروع الخرج، ولا يزال اسم السيح يطلق على بلدة قائمة بقرب تلك العيون.

وعلى ذكر (آل إبراهيم بن عربي) تحسن الإشارة إلى حدوث تغير في التركيب الطبقي الاجتماعي في سكان إقليم الخرج، في هذا العهد ـ أي القرن الأول الهجري ـ بسبب استقرار فئات لا تنتمي بأنسابها إلى سكان هذا الإقليم الذي كان يتكون سكانه من قبائل من ربيعة ومن تميم وغيرهما تجمعها فيما بينها لُحْمَةُ النسب.

فقد حدث في عهد معاوية أن أوطن الخضارم من هذا الإقليم أربعة ٱلاف من أهل الشام بنسائهم وأبنائهم، لكي يقوموا باستثمار زراعة المناطق الخِصبة، ثم حين ولَّى معاويةُ مروانَ بنَ الحكم إمارةَ المدينة، وضم إليها هذه البلاد فيما بين سنتي (٤١ و ٤٨) كان يبعث مولاه أبا حفصة المجهول الأصل [١]، كان يبعثه إلى اليمامة ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه، وحدث أنَّ أبا حفصة وهو في هذه البلاد تزوج مولاةً لبني عامر من بني حَنِيفةَ في قرية العِرْض، بالقرب من حَجْرٍ، فأتت له بخمسة أبناء هم: يحيى ومحمد وعبدالله وعبدالعزيز ومروان، ولبعض هاؤلاء مواقف معروفة في تأييد الحكم الأموي [٢]، ومن أَنْبَهِ هاؤلاء ذِكْراً يحيى.

---

(١) «الأغاني» ـ ٩/٣٥ ـ ط. الساسي، ومجلة «العرب» ـ س ١ ص ٦٧٥ ـ (٢) انظر «الأغاني» ـ ٩/٣٦ ـ ط. الساسي.

ويلاحظ أن الأمويين في أول عهدهم أرادوا القضاء على العصبية القبلية، واتخذوا لذلك وسائل ليس هذا محل ذكرها، ومنها: أنهم كانوا يُرْغِمون القبائل على تزويج مواليهم.

قال المبرد في «الكامل» [1] : وتزوج يحيى بن أبي حفصة - وهو جدُّ مروان الشاعر - ويزعم النسابون أن أباه كان يهوديًا أسلم على يد عثمان بن عفان، وكان يحيى من أجود الناس، وكان ذَا يَسَارٍ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن طَلِبَة بن قيس بن عاصم - سيد أهل الْوَبَرِ بن سنان بن خالد بن منقر، ومهرها خِرَقًا فقال جرير يعيرهم:

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلِبَاتِ حَلَّى ... فُروْجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ الْمَوَالِي
لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْداً لِعَبْدٍ ... مِنَ الصُّهْبِ الْمُشَوَّهَةِ السِّبَالِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ الْبَوالِي [2]

ويروي صاحب «الاغاني» أن يحيى تزوج بنتَ زِياد بن هوذَةَ بن شَمَّاسٍ، من بني أَنْفِ الناقة، من سعد بن زيد مناة بن تميم، فاستعدى عليه عَمَّاهَا عَبْدَ الملك بنَ مروان وقالا: أَيَنْكِحُ إبراهيمُ بنُ عربي وهو من كنانة مِنْكَ وإِلَيْك - يَنْكِحُ بِنتاً وينكح هذا العبد هذه؟ فقال عبدُ الملك: بلِ العبدُ ابْن العبدِ والله إبراهيمُ بنُ عربي، والله لهذاأشرف منه، وإنَّ لأَبِيْهِ - يقصد أبا حفصة - من البلاء في الإسلام ما ليس لأَبيها ولاَ لأَبِيْكُما، وما أُحِبُّ لي بيحيى أَلْفاً منكما، والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعتها منه، ومن زوجه فقد زوج ابني هذا - وأشار إلى ابنه سليمان - فخرجا وتخلف يحيى بعدهما فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أَنْضَيَا رِكابهما، وأَخْلَقَا ثِيابَهُما، والتزما مَؤُوْنَةً في سفرهما، فإِنْ

---

(١) - ص ٢/٧٣ -. وأورد أشعارا أخرى.

(٢) «ديوان جرير» - ص ١٠٣٥ - تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه.

رأى أميرُ المؤمنين أن يُعَوِّضَهُمَا عِوَضًا؟ فقـال: أَبَعْدَ مـا قالا فيـك؟ قال: نَعَمْ يـا أمير المؤمنين. قال: بل أُعْطيك أنت ما سألت لهما، وتعطيهـما ما شئت. فكسـاه ووصله وَحَمَله، فخرج يحيـى إليهما ففرق ذالك عليهما، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما. انتهى.

إلا أن هـذا الزواج أحـدث استياء، لأنـه غير مـألوف بـين قبائـل العرب، ولكن هذا الاستياء لم يَعْـدُ حدَّ التعيـير باللسـان من شعراء ذلـك العهد، فقـال عصام بن عبيد الزِّمَّانيُّ من أهل اليمامة:

أَرَى (حَـجْـراً) تَغَـيَّرَ واقْشَعَـرَّا   وَبُـدِّلَ بَـعْـدَ حُلْوِ الْعَيْشِ مُـرًّا
وَيُـدِّلَ بَـعْـدَ سَـاكِنِـهِ الْمَـوَالِي   كَفَى (حَجْـراً) بِـذَاكَ الْيَـوْمَ شَـرًّا

وقد رد عليه يحيـى بأبيات منها:

أَلَا مَـنْ مُـبْـلِغٌ عَـنِّي عِـصَـامـاً   بِـأَنِّيْ سَـوْفَ أَنْـقُضُ مَـا أَمَـرَّا[1]

وقال القُلَاخ بن حزن المِنْقَرِيُّ:

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ ـ حِينَ أَنْكَحهَا ـ: لَـطَالَمَا كُنْتُ مِنْـكَ الْعَارَ أَنْتَـظِرُ
أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُـو فَضْلَ مَـالِهِمَا   فِي فِيْكَ مِمَّا رَجَـوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَـرُ
لِلَّهِ دَرُّ جِـيَـادٍ أَنْـتَ سـائِـسُـهَـا   بَـرْذَنْتَهـا وَبِـهَـا التَّحْجِيْـلُ والْغُـرَرُ

وقالوا: إن يحيـى تزوج بنت إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري، على عشرين ألفاً، فعيره الناس فقال إبراهيم:

مَـا تَـركَتْ عِشْـرُوْنَ أَلْفـاً لِقَـائِلٍ   مَقَـالاً فَـلَا تَحْفِـلْ مَقَـالَـةَ لَائِمِ
فَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلىً فَقَدْ مَضَتْ   بِـهِ سُنَّةٌ قَبْـلِي وَحُبُّ الـدَّرَاهِمِ[2]

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني ـ ٢٧٠ ـ ط كرنكو.

(٢) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ـ ص ٥٦٠ ـ طبعة بيروت.

ويروون أيضاً أن يحيى خطب من مقاتل بن طَلَبَةَ بن قيس بن عاصم بنتيه وأختيه، فأَنْعَمَ له بذالك، فبعث يحيى إلى بنيه فأتوه بالْحَفَرِ - حَفَرِ الْباطِنِ المعروف الآنَ - فزوجهنْ، ثم حملوهن الى (حجْرٍ) فقال القلاخ بن حزن المنقري في ذالك:

سَلَامٌ عَلَى أَوْصَالِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ... وَإِنْ كُنَّ رَمْساً فِي التُّرَابِ بَوَالِيَا
أَضَيَّعْتُمُوْ خَيْلًا عِرَاباً فَأَصْبَحَتْ ... كَوَاسِدَ - لَا يَنْكِحْنَ إِلَّا الْمَوَالِيَا
فَلَمْ أَرَ أَبْرَادَا أَجرَّ لِخِزْيَةٍ ... وأَلْأَمَ مَكْسُوًّا - وَأَلْأَمَ كَاسِيَا
مِنَ الْخَزِّ واللَّائِي بِحَجْرٍ عَلَيْكُمُو ... نُشِرْنَ - فَكُنَّ الْمُخْزِيَاتِ الْبَوَاقِيَا

فقال يحيى يرد عليه:

أَلَا قَبَّحَ اللّهُ الْقُلَاخَ وَنِسْوَةً ... عَلَى الْبِئْرِ - يُعْطِشْنَ الْكِلَابَ مِنَ النَّتْنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرْمِ قَيْسِ بِنْ عَاصِمٍ ... وَعُمْداً رَغِبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنِ
أَباً كَانَ خَيْراً مِنْ أَبِيْكَ أُرُوْمَةً ... وَأَوْسَطَ فِي سَعْدٍ وأَرْجَحَ فِي الْوَزْنِ
وَلم تر حَزْنِيًّا وَلَوْ ضَمَّ أَرْبعاً ... وَأَبْرَزَ فِي فَرْجٍ يَعِفُّ ولَا بَطْنِ
وَضَيْفُ بَنِي حَزْنٍ يَجُوْعُ وَجَارُهُمْ ... إِذَا أَمِنَ الْجِيْرَانُ نَاءٍ مِنَ الْأَمْنِ [1]

ويبدو أن التصاهر بين آل أبي حفصة وبين التميميين استمر إلى ما بعد هذا العهد، فقد ذكر صاحب «الأغاني» [2] في ترجمة المؤمل بن جَميل بن يَحْيَى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة أن أمه أُميرة بنتُ زياد بن هَوْذَة بن شماس بن لأْيٍ من بَني أَنفِ الناقة الذين مَدحهم الحُطَيْئَة، وأم المُؤَمَّل شَرِيفَةَ بنت المُذَلق بن الوليد بن طلْبة بن قَيْس بن عاصم المِنْقرِيِّ، وكان جميل يُلَقَّب قَتِيل الْهَوَى.

---

(١) «الأغاني» - ٩/٣٦ -.
(٢) «الأغاني» - ١٨/١٤٦ - ط. دار الكتب.

ويلاحظ أن مبعث التمييز بين العرب والموالي في المصاهرة من بقايا أمور الجاهلية التي لا يقرها الإسلام، إذ من الأسس التي تنبني عليها المصاهرة فيه «إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقَهُ فزوجوه إلَّا تفعلوه تكنْ فِتْنَةٌ في الأرض وفساد كبير» وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من سادة قريش في الجاهلية والإسلام وقد زوج ابْنَةَ أَخِيْه مولاه، كما في «صحيح البخاري» و «موطأ الإمام مالك» [1] .

ومهما يكن فقد اختلط آل ابي حفصة بأنسابهم في القبيلة التميمية الصريحة النسب، وتناسلوا وكثروا، حتى كان منهم من أَقْبِلَ المنطقة الخصبة في هذه المنطقة وهي (السُّيُوح) مئة سنة بمئة درهم، وهو مروان بن أبي الجنوب من آل أبي حفصة في عهد المتوكل على ما أوضح ابن جرير في «تاريخه» [2] ، وعرف من آل أبي حفصة عدد من الشعراء [3] ، وامتد بهم العهد في هذه البلاد وكان منهم محمد بن ادريس بن سليمان بن يحيى الذي ألف كتاباً عن اليمامة نقل ياقوت في «معجم البلدان» نصوصاً كثيرة عنه [4] .

ومحمد هذا ممن يروي عنهم صاحب «الأغاني» المولود سنة ٢٧٤ هـ والمتوفى سنة ٣٥٦ هـ ومحمد عاش في القرن الثالث الهجري، ويروي أيضا عن ابنه يحيى بن محمد بن إدريس [5] .

وفي عهد عبدالملك بن مروان بعث عبيداً له من الروم، إلى أموال كانت له باليمامة، فتأذَّى بهم الناس، وخرجوا على الناس بسيوفهم عاصين، فقاتلهم بنو قيس بن حنظلة من تميم، فقتلوهم فقال ميجاس ـ أحد شعراء بني تميم :

---

(١) انظر «الاصابة» ترجمة (سالم مولى أبي حذيفة) و «فتح الباري» ـ ١٣١/٩ ـ.

(٢) حوادث سنة ـ ٢٤٧ ـ وانظر الخبر في مجلة «العرب» ـ ٢٨٠/١ ـ وما بعدها.

(٣) انظر مجلة «العرب» ـ س ١ ص ٦٧٣ إلى ص ٦٩٢ ـ.

(٤) انظرها ملخصة في مجلة العرب» ـ س ١ ص ٧٦٩ وما بعدها ـ.

(٥) ـ ١١٦/١٦ ـ ط. الساسي و ١٤٧/١٨ ـ ط. دار الكتب.

أَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَكُنْ ... بِمَا جَاهَدَتْ قَيْسٌ بلاءً فَيُعْلَمَا
فَلَا تَنْسَ مَلْقَانَا مِنَ الرُّوْمِ عُصْبَةً ... عَصَوْكَ وَوَلَّوْا لَا يُبَالُوْنَ مَحْرَمَا[1]

من هذه العناصر التي تمكنت في العهد الأموي من الاستقرار في هذه المنطقة، من آل ابن عربي، وآل مروان بن أبي حفصة، وعمال معاوية من الشاميين، وموالي عبدالملك بن مروان من الروم،الذين كانت الغاية من إسكانهم هذه المنطقة الاستفادة من حاصلاتها الزراعية، يضاف إلى هاؤلاء أن الأُخَيْضِرِيِّيْنَ العلويين الذين حكموا اليمامة من منتصف القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الخامس تقريباً، كان لهم من الموالي والحفدة من استوطن هذه المنطقة، إذ كانت قاعدتهم الخضارم في الخرج، ومن كل هاؤلاء تكَوَّنَتْ طبقة خاصة من السكان عرفت ـ في أول أمرها ـ باسم آل صعفوق (الصعافقة) ذكرهم العجّاج في الارجوزة التي يمدح فيها عمر بن عبدالله بن مَعْمَرٍ الذي وجهه عبدالملك بن مروان، فقضى على ثورة أبي فديك سنة ٧٣ هـ، فقال:

مِنْ آلِ صَعْفُوْقٍ وأَتْبَاعٍ أُخَرْ ... مِنْ طَامِعِيْنَ لَا يُبَالُوْنَ الْغَمَرْ

وجاء في شرح هذا: صَعفوق ـ مفتوح الأول ـ لم يَجِئْ مثلُه في الكلام إلا مضموم الأول، نحو دُعْبُوب، وصَعْفُوْقُ قوم كانوا يخدمون السلطان، خَوَلٌ باليمامة يقال لهم: الصعافقة. كان معاوية بن أبي سفيان أو آل مروان بن الحكم صيروهم ثَمَّةَ، لا أدري ما أصله، والصَّعفوقة قريةٌ باليمامة كان ينزلها خول السلطان. وإنما أراد أن يصغر أمر هاؤلاء، وأنهم لقوا أخلاطا من الناس من ضعفتهم[2] .

ويقول في هذه الأُرجوزة:

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ج ١١ ص ٢٨٦ ـ مخطوطة دار الكتب المصرية المنسوخة عن مصورة اسطنبول.
(٢) «ديوان العجاج» ـ ص ١٢ ـ.

إِذْ حَسِبُوا أَنَّ الْجِهَادَ وَالظَّفَرْ   إِيْضَاعُ بَيْنَ الْخَضْرِمَاتِ وهَجَرْ

قال: الإيضاع شدَّةُ ركْض الإبل. يقال: مَرَّ يُوضِعُ بعيرَه، ويقال: وَضَع في سيره وأوْضَع فيه بعيره. ووضَعت الناقة، وأوضعتُها. يقول: حسبتم أن الجهاد والظفر مثل إيضاعكم بين الخضرمات وهي ركايا باليمامة وهجر.

مُعَلِّقِينَ فِي الْكَلَالِيْبِ السُّفَرْ   فَأُلْقِمَ الْكَلْبُ الْيَمَامِيُّ الْحَجَرْ

قال: الكلاليب، الواحد الكلُّوب، وهي حديدة معقوفة يعلق الرجل فيها سفرته وطعامه. وقوله (اليمامي) قال: لأن هاؤلاء الحرورية من أهل اليمامة [1].

وقال أبو النجم العجلي:

يَوْمَ قَدِرْنَا وَالْعَزِيْزُ مَنْ قَدِرْ   وَأَبَتِ الْخَيْلُ وَقَضَّيْنَا الْوَتَرْ

مِنَ الصَّعَافِيْقِ وَأَدْرَكْنَا الْمِئَرْ

ونقل الأزهري [2] عن ابن الأعرابي: الصعافقة قوم من بقايا الأمم الخاليةمن اليمامة، ضلت أنسابهم، كما نقل عن ابن السِّكِّيْت: كلٌّ ما جاء على فُعْلُوْلٍ فهو مضموم الأول مثل زُنْبُوْرٍ وَبُهْلُوْلٍ، الا حرفا جاء نادرا وهم بنو صَعْفُوْقُ خَوَلٌ بِالْيَمَامَةِ.

ولا شك أن بقايا من هاؤلاء وأولئك استقروا من ذالك العهد في هذه البلاد، وامتزجوا بسكانها امتزاجا لا يميز بعضهم عن بعض شيء من الفوارق لا في الاخلاق ولا في العادات والتقاليد الإسلامية، فقد ارتبطوا برابطة الدِّين الإسلامي، وتلك أقوى الروابط وهي رابطة لاتميز أحداً عن أحد إلا بالتقوى.

(١) «ديوان العجاج» ـ ص ٥٦ ـ.

(٢) «تهذيب اللغة» ـ ج ٣ ص ٢٨٢ ـ.

وحدثني الاستاذ راشد بن صالح بن خنين أن من سكان منطقة (الخَرْجْ) في العهد الحاضر طبقة اجتماعية توشك أن تنفرد بما يميزها في بعض أحوالها، وتعرف باسم (العثامنة) نسبة إلى (عثمان) ولا أستبعد أن يكون هاؤلاء من بقايا الفئات التي أحلها الأمويون في هذه المنطقة، وأشهرهم آل أبي حفصة الذين كانوا من موالي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فصاروا ينتسبون إليه في الآوِنة الأخيرة ومن انضم إليهم من الجاليات التي تقدم ذكرها.

المهاجر بن عبدالله الكلابي والي اليمامة

وسـار هشام بن عبـدالملك (١٠٥/١٢٥ هـ) سيرةَ مَنْ تقَـدَّمَ من سلفـه في اختيار والي البلاد من غـير أهلها، فبعـد عهد إبـراهيم بن عربي الـذي لم يَطُلْ، مُدَّةَ حُكْمِ هشام أكثَرَ من سُنَيَّاتٍ قليلة، ولَّى هشـام اليمامَـة المهاجـرَ بنَ عبدالله من بني أبي بكر بن كلاب، فمات المهاجر فولاها ابنه حتى قتل الوليـد، على مـا ذكر خليفة بن خياط في «تاريخه»[١]، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر ما يخالف هـذا فقال عن المهاجر[٢]: استعمله يزيد بن عبدالملك على اليمامة، وأقره هشـام بن عبـدالملك ثم عزلـه كذا قـال، ولكن خليفة أقـدم من ابن عساكـر، وأراه أنْفَـذَ بَصَراً في هذه المواضع، فقـد ذكر أن يـزيد بن عبـدالملك رَدَّ على ولايـة اليمامـة والبحرين إبراهيم بن عربي كما تقدم، ومخطوطة ابن عساكر الَّتِي ورد فيها النص المتقدم لَيْسَتْ على درجةٍ من الصحة تحمل على الثقة بِكُلٍّ مما فيها.

معروف أنَّ مدة حكم هشام تسع عشـرة سنة وسبعـة أشهر من سنـة خمس بعـد المئـة إلى سنـــة خمس وعشــرين ومئـــة، وأن والي اليمـامـــة في أول عهـده إبراهيم بن عربي، كما تقدم، ويُستدَلُّ من أخبار المهـاجر أنـه تولى اليمـامة قبـل سنة عشر ومئة ـ كما يفهم من صلته بالشاعرين جرير والفرزدق اللَّذَيْنِ توفيا سنة عشر ومئة، أو بعدها بيسير.

وعلى هذا فمدةولاية ابن عـربي في خلال الخمس السنـوات الأولى من عهد هشام.

والمهـاجر هـذا من بني أبي بكر بن كـلاب بن ربيعة بن عـامر بن صعصعـة وكعب هو ابن ربيعة، ومن بني كعب بنو عُقَيْلٍ، وبنو قُشَيْرٍ، وبنو جَعْدَة، وبنـو

---

(١) ـ ٣٥٩، ٣٧٦ـ.

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر ترجمة (المُهَاجر بن عبدالله) ـ ١٧/ ٤٣٦ ـ المصورة.

الْحَـرِيْشِ وغيرهم مِمَّنْ كـان بينهم وبين بني حَنِيفـة منذ العهـد الجاهـلي عداوة، وحدثت بينهم مناوشات كان آخرها وقعـة (الْـمَجَازة) التي انتصر الحنفيـون فيها بقيادة نجدة بن عامر الحنفي.

وستنبعث أسبـابٌ لهذه الحـزازات ينشـأ عنهـا معـاركُ أثنـاء ضعف الحكم الأمـوي بعـد عهـد قـريب من عهـد هشـام الـذي بـدأ الضعف قبله في عهـد سليمان، ثم في عهد عمر بن عبدالعزيز.

والمُهاجرَ كما تقدم من بني أبي بكر بن كلاب، وهم يعـرفون ببني (الْبَـزَرَى) كما ذكر جرير في مدحه له[1]:

قَـرْمٌ أَغَـرُّ إِذَ الْجُـدُوْدُ تَـوَاضَعَتْ سَـامَى مِنَ الْبَـزَرَى بِجَـدٍّ صَـاعِـدِ

وفي شرحه: الْبَزَرَى: العدد الكثير، وكان يقـال لبني أبي بكر: بنـو الْبَزَرَى وأنشد:

أَبَـتْ لِي عِـزَّةٌ بَـزَرَى بَـزُوْخُ إِذَا مَـارَامَـهَـا عِـزٌّ يَـدُوْخُ

يَدُوْخُ: يَذِلُّ، بَزْخَةٌ: مُذِلَّةٌ.

أما صلة المهاجر ببني أمية، فقد أشار إليها صاحب «النقائض»[2] بقوله عن كَثير بن الصَّلْت الكنديِّ: ويقال إنه كان سبب المهاجـر بن عبدالله إلى بني أُمَيَّـةَ حـين خلطه بهم. انتهى، وكثير بن الصلت بن مَعْـدِي كَرِبَ من وجهـاء كِنْـدَةَ وساداتها، وكان من أعوان عثمان بن عفان، وممن دافع عنه يوم الدار، ثم بعـد ذالك صَار كاتباً لعبدالملك بن مروان على الرسائل، وكان ذا شرف وحـالة جميلة في نفسه، وكانت له دار كبيرة في المدينة في قِبْلَةِ مُصَلَّى العيدَيْن، إليها تشرع على

---

(١) «ديوان جرير» - ٦٣٧ -.

(٢) - ٩٣٥/٢ -.

بطحاء الوادي الذي في وسط المدينة، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، ومن الرواة الثِّقاتِ[1].

ولَعَلَّ المهاجر كان ذا صلة بكثير حين كان كاتباً في ديوان عبدالملك بن مروان، ومن ثَمَّ عرفه بنوه، فاختاره هشام فولاه بعد وفاة ابن عربي اليمامة والبحرين، جاء في «النقائض»[2] في شرح قول جَرير:

أَلَمْ تَرَ قَيْساً لَايُرَامُ لَهَا حِمًى ... وَيَقْضِي بِسُلْطَانٍ عَلَيْكَ أَمِيْرُهَا
مُلُوكٌ وأَخْوَالُ الْمُلُوْكِ وَفِيْهِمُ ... غُيُوْثُ الْحَيَا يُحْيِي الْبِلَادَ مَطِيْرُهَا

يعني الحجاج بن يوسف كان يتولَّى العراق، والمهاجر بن عبدالله الكلابي كان يتولَّى اليمامة والبحرين لهشام بن عبدالملك وكان جَمِيْلاً.

ولو صحَّ القول بأن جمال الظاهر[3] عنوانٌ على صلاح الباطن لأمكن الاستنتاج من أن ما عُرِفَ من سيرة المهاجر تُنْبِئُ عن ذالك فقد كان جميلاً[4] وكان فَارِعَ الطول، قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[5]: كان المهاجرُ بن عبدالله يَمْشِي في مسجد دمشق فيعدِل عن القناديل، وقد مدحه جرير فقال:

إِنَّ الْمُهَاجِرَ حِيْنَ يَبْسُطُ كَفَّهُ ... سَبْطَ الْبَنَانِ، طَوِيْلَ عَظْمِ السَّاعِدِ
وَلَقَدْ حَكَمْتَ وكَانَ حُكْمُكَ مُقْنِعاً ... وَخُلِقْتَ زَيْنَ مَنَابِرٍ وَمَسَاجِدِ

ومع ذالك كغيره من ولاة بني أمية فقد اختير والياً على اليمامة من غير أهلها، ولكنه ليس من أهل (حَجْرٍ) قاعدة الحكم، وأُلْحِقَ به عدد من الجند من أهل الشام، لامن أهل البلاد، وسار على طريقة من سبقه من الولاة في

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد - ١٣/٥ - و«تاريخ ابن جرير» - ٣٥٩/٤ و٣٨٢ - و«تهذيب التهذيب» - ٤١٩/٨ -.

(٢) - ٥٣٩ - و«ديوان جرير» - ص ٨٨٠ -.

(٣) انظر «كشف الخفا ومزيل الألتباس» - ج ١ ص ١٥٢ - في الكلام على (اطلب الخير من حسان الوجوه).

(٤) «النقائض» - ٥٣٩ -.

(٥) «تاريخ دمشق» ترجمة (المُهَاجِر بن عبدالله).

استخدام (العُرَفَاء) الذين كانوا يسومون الرعية سوم العذاب، وخاصة أبناء البادية عند جباية الزكوات وحينما تعرض لأحدهم احدى المشكلات، فقد جاء في شعر النابغة الجعديِّ يهجو بني قشير أو عُقَيْل:

وَيَوْمَ دُعِيْ وِلْدَانُكُمْ عَنْدَ كَوْدَرٍ فَخَالُوا لَدَى الدَّاعِي ثَرِيْداً مُفَلْفَلا

فقد ذكر الصاغاني [١]: أن (كودر) مثل (جوهر) اسم عريف كان للمهاجر بن عبدالله الكلابي.

ولابن المهاجر عريف آخر يدعى رومي بن وائل كان للشاعر ذِي الرُّمَّة بئر عادية ولكن هذا العريف انتزعها منه لرجل يدعى عتبة بن طرثوث، دون محاكمة أو فصل من المهاجر كما قال الشاعر:

بغير كتاب واضح من مهاجر ولا مقعد مني لخصم أُجَادِلُه [٢]

ومع أَنَّ المهاجرَ من أَنْبَهِ وُلَاةِ اليمامة ذِكْراً بين شعرائها، إلا أنني لم أَرَ مَنْ ذكره من المؤرخين سوى خليفة بن خياط وابن عساكر، مع تَرَدُّدِ اسمه في كتب الأدب ودواوين الشعر.

ويبدو من صِلَاته بشعراء عصره أنه كان على جانب من الرزانة والحكمة في تدبير شؤونهم، ولهذا كان لا يستثير عداوتهم، ولا يجابههم بما يكرهون.

وله بيتان من الشعر أوردهما ابنُ أبي الْحَدِيد في «شرح نهج البلاغة» [٣] بهما تتضح جوانب من حسن طريقة تعامله مع الناس عامَّةً، وهما:

وإني لأُقصي المرء من غير بغضه وأُدني أخا البغضاء مني على عمد

---

(١) «التكملة» - ٣/١٨٤ رسم (كدر) ومثل هذا ورد في «التاج» على أن البيت ورد في «الأغاني» - ٥/٢٤ - ط. دار الكتب (كودن) وفسر بما لا صلة للمهاجر به.

(٢) «ديوان ذي الرمة» - ص ١٢٦٩ - ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٣) - ج ٥ ص ٢٧٦ -.

ليحدث ودًّا بعد بغضاء أو أرى | لهُ مصرعاً يردي به الله من يردي

وحينما حدث بين الفرزدق وبين زوجته ظبية بنت دلم المجاشعية التميمية ما حدث من التنافر، وذكر ذالك جَرِيْرٌ مُعَيِّراً الفرزدق من أبيات:

وَتَقُولُ ظَبْيَةُ إِذْ رَأَتْكَ مُحَوْقِلاً | خَوْفَ الْحِمَارِ مِنَ الْخَبَارِ الخَابِلِ
إِنَّ الْبَلِيَّةَ وهْيَ كُلُّ بَلِيَّةٍ | شَيْخٌ يُعَلِّلُ عِرْسَهُ بِالْبَاطِلِ
لَوْ قَدْ عَلِقْتَ مِنَ الْمُهَاجِرِ سُلَّمًا | لَنَجَوْتَ مِنْهُ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ

فقال المهاجر: والله لو أتتني بالملائكة لقضَيْتُ للفرزدق عليها.

والقصةُ مفصلة في «النقائض»[1].

مع أنَّ الفرزدق كان هجاه أقذَعَ هَجْوٍ ومن شعره فيه[2]:

وإذَا الْيَمَامَةُ أَثْمَرَتْ حِيْطَانُهَا | وَقَعَدتَّ يَابْنَ خَضَافِ فَوْقَ سَرِيْرِ

قوله: يابن خضاف يعني مهاجر بن عبدالله الكلابي، وكان على اليمامة وذالك في خلافة هشام والوليد بن يزيد وكان واليها:

لَوَّيْتَ بِي شِدْقَيْكَ تَحْسِبُ أَنَّنِي | أَعْيَا بِلَوْمِكَ يَابْنَ عَبْدِ كَثِيْرِ

ويروى (حَنَكَيْكَ) قال: يعني كَثِيْرَ بْنَ الصَّلْتِ الْكِنْدِيَّ، ويقال: إنه كان سبب المهاجر بن عبدالله إلى بني أُميَّة حين خلطه بهم:

إنِّي لَمُهْدٍ لِلْمُهَاجِرِ جُبَّةً | أَزْرَارُهَا مِنَ جِلْدِ أُمِّ جَرِيْرِ

وكقوله[3]:

وَكَانَ كِلَابُ النَّاسِ أَطْوَلَ لِحْيَةٍ | فَزَادَ عَلَيْهَا بَظْرُ أُمِّ الْمُهَاجِرِ

---

(١) ـ ٣/١٠٤٤ و ١٠٤٥ ـ.
(٢) «النقائض» ـ ٢/٩٣٤ ـ و «ديوان الفرزدق» ط. الصاوي.
(٣) «ديوان الفرزدق» ـ ص ٣٨٦ ـ.

ولكنـه عاد بعـد ذالك فـأراد الاتِصـال بـه، فقـد ذكـر [1] ابن سَـلاَّمٍ أَنَّ الفرزدق لما قدم اليمامة وعليها المهاجر بن عبدالله الكلابي فقال: لو دخلتُ عـلى هذا فأصبتُ منه شيئا ولم يعلم جرير، فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير:

رَأَيْتُـكَ إِذْ لَمْ يُغْنِـكَ اللهُ بِـالْغِـنَى ... رَجَعْتَ إِلَى قَيْسٍ وَخَـدُّكَ ضَـارِعُ
وَمَـاذَاكَ أَنْ أَعْطَى الْفَـرَزْدَقُ بِاسْتِـهِ ... بِـأَوَّلِ ثَـغْـرٍ ضَيَّـعَتْـهُ مُجَـاشِـعُ

فلما بلغ ذالك الفرزدق قال: لا جَرَمَ والله لا أدخل عليه، ولا أَرْزَؤُهُ شيئا، ولا أُقِيمُ في اليمامة! ولعل ظروف الحياة اضطرته بعد ذالـك فمدحـه أَبْلَغَ مَدْحٍ في قصيدته التي مطلعها [2] :

لَقَـدْ هَاجَ مِنْ عَيْنَيَّ مَـاءً عَلَى الْهَـوَى ... خَيَـالٌ أَتَـانِي آخِـرَ اللَّيْـلِ زَائِـرُهْ

وقال فيها:

رَأَيْتُ هِشَـامـاً سَـدَّ أَبْـوَابَ فِتْنَـةٍ ... بِـرَاعٍ كَفَى مِنْ خَـوْفِـهِ مَنْ يُحَـاذِرُهْ

وروى صـاحـب «الأغـاني» [3] أَنَّ الفـرزدق نُعِيَ إلى المهـاجـر بن عبـدالله وجريرٌ عنده فقال:

مَـاتَ الْفَـرَزْدَقُ بَعْـدَمَـا جَـدَّعْتُـهُ ... لَيْتَ الْفَـرَزْدَقَ كَـانْ عَـاشَ قَلِيْـلاً

فقال له المهـاجرُ: بِئْس لعمـر الله ما قلتَ في ابن عمـك، أتهجو مَيِّتـاً؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرمَ العرب وأشعرها. فقال: إِنْ رآى الأميرُ أن يَكْتُمَهَا عليَّ فإنها سَوْأَةٌ، ثم قال من وقته [4] :

---

(١) «طبقات فحول الشعراء ـ ٣٥٥ ـ و «الأغاني» ـ ٨/٧٧ ـ ط. الثقافة.

(٢) «ديوان الفرزدق» ـ ص ٣٩٧ ـ.

(٣) ـ ج ٨ ص ٨٨ ـ.

(٤) «ديـوان جريـر» ـ ص ١٠٣٣ ـ و «الأغاني» ـ ٢١/٣٨٦ ـ ط. دار الكتب وفيهـا: ثم قام وبكى ونـدم وقال: مـا تقارب رجلان في أمر قط فمات أحدهما إلاّ أوشك صاحبه أن يتبعه.

فَـلاَ وَضَعَتْ بَعْدَ الْفَـرَزْدَقِ حَامِـلٌ   وَلاَ ذَاتُ بَعْــلٍ مِنْ نُفَــاسٍ تَعَلَّتِ
هُـوَ الْوَافِـدُ الْمَيْمُوْنُ وَالـرَّاتِقُ الثَّأى   إِذَا النَّعْـلُ يَـوْمـاً بِـالْعَشِيَــرَةِ زَلَّتِ

وللمهاجر مواقف أخرى مع الشاعر جرير، كلها تـدل على مكـانته عنـده، فقد روى صاحب «ذيل الأمالي» (١) : كـان المهاجـر بن عبدالله الكـلابي عامـلاً على اليمامة لهشام بن عبدالملك، وكان قد أقطع جريراً داراً، وأمر خمسين رجـلاً من جند أهل الشام أن يلزموا باب دار جرير، وأن يكونوا معه في ركوبه إلى باب دار المهاجر، إشفاقاً عليه من ربيعةَ (٢) فاعتلَّ جرير فقال يوم دخلوا عليه:

نَفْسي الْفِـدَاءُ لِقَـوْمٍ زَيَّنُــوْا حَسَبِي   وَإِنْ مَـرِضْتُ فَهُمْ أَهْـلِيْ وعُــوَّادي
لَـوْ حَـالَ دُوْني أَبُــو شِبْلَيْنِ ذُوْ لُبَـدٍ   لَمْ يُسْلِمُـوْنِيْ لِلَيْثِ الْغَـابَـةِ الْعَـادِي
إِنْ تَجْـرِ طَـيْرٌ بِــأَمْـرٍ فِيْـهِ عَـافِيَــةٌ   أَوْ بِـالْفِـرَاقِ فَقَــدْ أَحْسَنْتُمُ زَادِيْ

وجاء في «ديوان جرير» (٣) عن عمـارة بن عقيل بن بـلال بن جريـر قال: صَلَّى المهاجرُ على جرير، وحَدَرَه في قبره، وأوصى إليه جرير، وكانت له كُلَّ يـوم أربعُ شفاعاتٍ ليس فيهن حَدٌّ ولا دَمٌ، وبنَى له داراً حِذَاءَ منزله، وهي اليوم دار الديوان، وكان يرسل إليه ثلاثين رجلاً من أهل الشام، يقعدون عـلى بابـه حتى يخرج، فإذا خرج مشوا معه إلى المهاجر. انتهى، ومع ذالـك فقد كـان جريـر ذَا إِدْلَالٍ على صاحبه، فقد قال يعاتبه (٤) :

يَـاقَيْسَ عَيْـلاَنَ إِنِّيْ قَـدْ نَصَبْتُ لَكُمْ   بِـالْمَنْجَنِيْقِ وَلَـمَّا أُرْسِـلِ الْحَجَــرَا

فوثب المهاجرُ فأخذه بِحقْوِهِ وقال: الْعُتْبىٰ يَا أَبَا حَزْرَةَ لاَ تُرْسِلْهُ.

---

(١) ـ ص ٥٦ ـ وكتاب «الغرة في أصناف العلوم» ـ ٢٣٤ ـ مخطوطة الاستاذ الزركلي.
(٢) ربيعة الجذم الواسع من العـرب الذي يضم بكـرًا وتغلب وغيرهـا، فقد هجـاهم جريـر في معارضتـه للأخـطل من بني تغلب، كما هجا بني حنيفة وهم من ربيعة.
(٣) ـ ٦٣٧ ـ هامش.
(٤) «البيان والتبيين» ـ ٤/ ٦٦ ـ.

وليس من المستبعد أن تكون إحدى الشفاعات حالتْ دون قطع يد هذا الرجل الكُلَيبي، وجرير من بني كُلَيب بن يربوع ـ فقد جاء في ديوانه [1]: وقال في رجل من بني كليب ـ يقال له مجيب ـ اتُّهِمَ بِقِرْفَةٍ، والْقِرْفَةُ التُّهَمَةُ ـ فلم يَلْحَقُوا عليه شيئاً فخلَّوْا عنه:

كَادَ مُجِيْبُ الْخُبْثِ تَلْقَى يَمِيْنُهُ ... طَبَرْزِيْنَ قَيْنٍ مُقْضِباً لِلْمَفَاصِلِ [2]
تَدَارَكَهُ عَفْوُ الْمُهَاجِرِ بَعْدَمَا ... دَعَا دَعْوَةً يَالَهْفَةَ عِنْدَ نَائِلِ [3]
فَإِنْ غَفَلَ الرَّاعِي الَّذِيْ نَامَ بِالْحِمَى ... فَإِنَّ بِحَجْرٍ رَاعِياً غَيْرَ غَافِلِ
وَقَعْتَ بِأَيْدِي الْمُحْرِزِيِّيْنَ وَقْعَةً ... نَهَتْ بَاسِلاً عَنَّا وأَصْحَابَ بَاسِلِ [4]

إن هذا الراعي الذي بِحَجْرٍ ـ وهو المهاجرُ ـ قد عفا عن جناية الْكُلَيْبي بعد أن سُجِن، ولكنه كان صارماً في تطبيق حكمه حيث أمر بقطع أيدي المحرزيِّيْنِ عقاباً لهم، وردعاً لامثالهم.

وليس في مستطاع الباحث المنصف أن يكون على بينة من مطابقة أحكام اولئك الولاة على الوجه الشرعي، وما كان ثناء الشعراء عليهم ـ وجُلُّهُ يحدث تَزَلُّفاً واسترضاءً ـ مما يصح الاعتماد عليه والثقة به في إيضاح الحقائق كقول جرير في مدحه [5]:

لَقَدْ بَعَثَ الْمُهَاجِرَ أَهْلُ عَدْلٍ ... بِعَهْدٍ تَطْمَئِنُّ لَهُ الْقُلُوْبُ
تَنَجَّبَكَ الْخَلِيْفَةُ غَيْرَ شَكٍّ ... فَسَاسَ الْأَمْرَ مُنْتَجَبٌ نَجِيْبُ
فَحُكْمُكَ يَا مُهَاجِرُ حُكْمُ عَدْلٍ ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُنَافِقُ وَالْمُرِيْبُ

---

(١) «ديوان جرير» ـ ص ٦٩٣ ـ.
(٢) أي تقطع يمينه بطبرزين: فاس السرج بالفارسية لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به.
(٣) نائل: صاحب سجن المهاجر.
(٤) يخاطب المهاجر. المحرزيون: من بني عبشمس كانوا لصوصاً، وباسل منهم، وعبشمس من بني سعد من تميم.
(٥) ديوانه ـ ص ٣٩ ـ ط. الصاوي.

وتدعو المناسبة هنا إلى الإشارة إلى أنَّ المهاجر هـذا ذو صلة بيحيـى بن أبي كَثِير، محدث اليمامة المشهـور، على مـا ذكر ابن عسـاكر في «تـاريخ دمشق» (١) فقد قال عنه: سمع يحيـى بن أبي كثير، حكى عنه ابنـه محمد بن المهـاجر، ثم أورد حديثاً رواه عن محمـد بن المهاجـر قاضي اليمـامة قـال: كتب أمير المؤمنـين الـوليد بن يـزيـد إلى أبي المهـاجـر بن عبـدالله: إني حلفت بـطلاق سَلْمَى يـوم تزويجي، فإذا قرأتَ كتابي هذا فَسَلْ يحيـى بن أبي كثـير الطائيَّ، واكتب لي بمـا يجيبـك. فلما قـرأ الكتـاب أبي كتب إلى يحيـى بن أبي كثير فقـال يحيـى ـ ثم أورد ـ بأسانيد عدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا طلاقَ إلَّا بعد نكاح، ولا عِتْقَ إلا بعد ملك» قال: فكتب أبي المهاجرُ بنُ عبدالله إلى الـوليد بن يزيد بما حدثه به. انتهى.

ولا شك أن اعتناءه بتعليم أبنائه حتى كـان من بينهم من تولى القضـاء يدل على اهتمام بالعلم ومعرفة بقدره، وهذا لا يحدث غالباً إلا لمن أدرك نصيباً منه، يضـاف إلى هذا أن بَيْتَيْـهِ اللَّذَيْنِ سبق ذكرهمـا يَدُلَّانِ عـلى تذوق للشعـر، وكذا صلته القوية بالشُّعَرَاءِ في عصره.

وروى صاحب «الأغاني» (٢): أن أبـا نُخَيْلَةَ قدم عـلى المهاجـر، وكان أبـو نخيلة أَشْبَهَ خلق الله به وجهاً وجسماً وقامةً، لا يكان الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الأخر، فدخل عليه فأنشده ـ وأورد رجزاً مدح به المهاجر قال: فأمر له بناقة فتركها ومضى مُغْضَباً، وقال يهجوه:

إنَّ الْكِـلَابِيَّ الـلَّئِـيْـمَ الأَثْـرَمَـا   أَعْـطَى عَلَى الْمِدْحَةِ نَـاباً عِـرْزِمَـا

مَـاجَـبَرَ الْـعَـظْمَ وَلٰكِـنْ تَمَّـمَا

(١) ترجمة المهاجر بن عبدالله.

(٢) ـج ٢٠ ص ٤٠٥ ـ ط. دار الكتب.

فبلغ ذالك المهاجرَ فبعث فَتَرَضَّاه، وقام في أمـرِهِ بما يُحِبُّ، ووصله فقـال له أبو نخيلة: هذه صِلَةُ المديح فَأَيْنَ صلة الشبه؟، فـإنَّ التشابَـهَ في الناس نسب، فـوصله حتى أرضاه، فلم يـزل يمدحـه بعد ذالـك حتى مات، ورثـاه بعد وفـاته فقال:

خَلِيْـلَيَّ مَـالِي بِـالْيَمَـامَـةِ مَقْعَـدُ وَلاَ قُـرَّةُ لِلْعَـيْنِ بَعْـدَ الْمُهَـاجِـرِ

في أبيات أوردها.

وقال الجاحظ [1] : خاصم أبو الحُوَيْرِثِ السُّحَيْمِيُّ حَمـزَةَ بنَ بِيْضٍ [2] إلى المهاجر بن عبدالله في طَوِيٍّ له فقال أبو الحويرث:

غَمَّضْتُ فِي حَـاجَـةٍ كَـانَتْ تُؤَرِّقُنِي لَـوْلاَ الَّذِي قُلْتَ فِيْهَـا قَـلَّ تَغْمِيْضِي

قال: وما قلتُ لك فيها؟ قال:

حَلَفْتَ بِـالله لِيْ أَنْ سَـوْفَ تُنْصِفُنِي فَسَـاغَ فِي الْحَلْقِ رِيْقٌ بَعْدَ تَجْـرِيْضِ

قال: وأنا أحلِفُ بالله لأُنْصِفَنَّكَ. قال:

فاسأَلْ أُلَى عَنْ أُلَى أَنْ ما خُصُومَتُهم أَمْ كَيْفَ أَنْتَ وأَصْحَـابُ الْمَعَارِيْضِ

قال: أُوْجِعُهم ضَرْباً. قال:

فَـاسـأَلْ سُحَيْـماً إِذَا وَافَـاكَ جَمْعُهُمْ هَلْ كَانَ بِالْبِئْرَ حَوْضٌ قَبْلَ تَحْـوِيْضِي

قال: فتقدمت الشهود لأَبِي الحُوَيْرِث. قال: فالتفت إلى ابن بِيْضٍ فقال:

أَنْتَ ابْنُ بِيْضٍ لَعَمْرِى لَسْتُ أُنْكِرُهُ حَقّـاً يَقِيْنـاً ولكِنْ مَن أَبُـو بِيْضٍ؟

---

(١) «البيان والتبيين» - ج ٤ ص ٤٦ - و «الأغاني» - ٢٥/ ٢١٧ - و «معجم البلدان» (الرقعة).

(٢) حمزة بن بيض - بكسر الباء - من بني حنيفة شاعر كثير المجون توفي سنة ١١٦، انظر ترجمته في «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

إنْ كُنْتَ أَنْبَضْتَ لِي قَوْساً لِتَرْمِيْنِي فَقَدْ رَمَيْتُكَ رَمْياً غَيْرَ تَنْبِيْضِ
أَوْ كُنْتَ خَضْخَضْتَ لِي وَطْبًا لِتَسْقِيْنِي فَقَدْ سَقَيْتُكَ وَطْباً غَيْرَ مَمْخُوْضِ
إنَّ الْمُهَاجِرَ عَدْلٌ فِي حكُومَتِه وَالْعَدْلُ يَعْدِلُ عِنْدِي كُلَّ عِرِّيْضِ

قال: فوجم حمزةُ وقُطِعَ به فقيل له: وَيْلَكَ مالكَ لا تُجِيْبُهُ؟، قال: وبما أُجِيْبُهُ؟ والله لو قلت له: عبدالمطلب بن هاشم أُبُو بِيض ما نفعني ذالك بعد قوله: ولكن من أبو بِيْض؟ وذكر ياقوت أَنَّ الخصومة بين ابن بِيْضِ وأبي الحُوَيْرِث في موضع باليمامة يدعى (الرقعة).

وقضية أخرى تتعلق بشاعر آخر، إلَّا أن الحكم لم يكن لصالحه، ومع ذالك فلم يقف الأمر بالنسبة إليه عند الرضا بالحكم، بل كان يبالغ في مدح المهاجر فيقول في وصفه:

أَشدُّ امْرِئٍ قَبْضاً على أَهْلِ رِيْبَةٍ وخَيْرُ وُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرُ
تُعَاقِبُ من لَا يَنْفَعُ الْعَفْوُ عِنْدَهُ وتَعْفُو عَنِ الْهَافِي وقَبْضُكَ قادِرُ [1]

ووقعت حرب بين بني عَديٍّ من الرِّبَاب، قوم ذي الرُّمَّة الشاعر، وبين بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، عرفت بيوم القصيبة [2] ويبدو أن بني عَدي انتصروا إذ قال ذو الرُّمَّة:

وما كانَ ثَأْرٌ لِامْرِئِ القَيسِ عِنْدَنَا بِأَدْنَي مِنَ الْجَوْزَاءِ لَوْلَا مُهَاجِرُ
قَتَلْتُكُم غَضْباً وَرَدَّت عَلَيْكُمُ بِسُلْطَانِهَا مِنِّي قُرَيْشٌ وعَامِرْ

ومن جراء تلك الحرب قتل المهاجر أحدَ قومه وهو المثنى بن محلم العَدَوِي

(١) «ديوان ذي الرمة» - ص ١٥٦٧ - ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.
(٢) القصيبة: قرية لبني امرئ القيس هجاها الشاعر بقوله - ديوانه ٢٥٩ -:

ألا قَبَّح الله القُصَيْبَةَ قريةً ومرأة مأوى ....

فقال:

فَـإنْ تَـقْتُـلوني بِـالأمِـيْرِ فـإنَّـني قَـتَـلْتُـكُـمُ غَـضْبـاً بـغَـيرِ أمـيرِ

وكان ذُو الرمة ذَا صلة بالمهـاجر وقـد مدحـه في قصيدتـين من عيون شعـره أحداهما مطلعها [1] :

عَفَا الدَّحْـلُ مِنْ مَيٍّ فَمحَّتْ مَنَازِلُـهْ فَـما حَـوْلَـهُ صَمَّـانُـهُ فَخَمَـائِلُهْ

يقول فيها:

وَفِي قَصْرِ حَجْـرٍ مِنْ ذُؤَابَـةِ عـامـرٍ إمَـامُ هُدىً مُسْتَبْصِرُ الحُكْمِ عَـادِلُـهْ
يُنِيُف عَـلَى الْقَوْمِ الـطِّوَال بِـرَأْسِـهِ ومَنْكِبِـهِ، قَـرْمُ سِبَـاطٌ أَنَـامِـلُهْ

فهو كما ترى وصفه بأنه مستبصر في حكم عادل، وأنه إمام هدى، وأنه فَرَعَ الرجالَ طولاً برأسه ومنكِبِه.

كما مدحه بمقطوعة مطلعها [2] :

وَجَـدْنَـا أَبَـا بَكْـرٍ بِـهِ تُقْـرَعُ العُـلاَ إذَا قَـارَعَتْ قَوْمـاً عَنِ الْمَجْدِ عَـامِـرُ

وصـف قومه بالجود والشجاعة والعـزة ووصفه بـأنه أشـد الناس قبضـاً على أهل الريبة، وأنه خير ولاة المسلمين يعـاقب من لا ينفع فيـه العفو، ويعفـو عن المخطئ وهو ذو قوة وسطوة في القبض على من لا يصلحه العفو.

وكان المهاجر يرتاح لما يجري بين الشعراء في مجلسه من مساجلات شعـرية. فقد جاء في «ديوان جرير» [3] :اجتمع جرير وعمر بن لَجَإٍ عند المهاجر بن عبدالله الكلابي باليمامة، وجرير على كرسي فَأَطَّ الكرسيُّ تحته فقال: اسكن فـإن عليك

---

(١) ديوانه ـ ١٢٤٢ ـ ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.
(٢) ديوانه ـ ١٥٦٧ ـ ط. مجمع اللغة العربية بدمشق.
(٣) ـ ص ٢٠٩ ـ.

حنظليًّا. فقال المُهاجر لعمر بن لجإ:[1] أنشدنا. فقال: وهذا الشيخ جالس؟ فقال جرير: أنشدنا، ثم تساجلا حتى انصرف جرير مغضبا فنشب الهِجاء بينهما.

مثل هذا ما جرى بين جرير وبين العجَّاج، وكان العجَّاجُ يخاصم الدهناءَ امرأته عند المهاجر، فأنشد المهاجر العجاج قوله:

تَـالله لَـوَلاَ أن يَحُـشَّ الطُّبَّـخُ

فلما بلغ إلى قوله:

وَلَـوْ رَأَتْنِي الشُّعَـرَاءُ ذَيَّخُـوا[2]

وثب جرير فقال:

يَـابْنَ كُسَيْب[3] مَـا عَلَيْنَـا مَبْذَخُ ... قَـدْ غَـلَبَتْـكَ فَيْـلَقٌ تَـضَمَّـخُ

لَمَّـا أَتَـتْ بَـابَ الأَمِـيْرِ تَصْـرَخُ ... يَـا اسْتَ حُبَارَى طَارَ عَنْهَا الأَفْـرُخُ

فاستعاذَ العجَّاجُ بالمهاجر، فكفَّهُ عنه.

والقضيَّةُ هذه كما ذكر ابن السكيت في كتـاب «الألفاظ»[4] أن رؤبـة تزوج الدهناء بنت مِسْحَلٍ أحد بني مالك بن سعد قوم العجـاج، بعدمـا كَبُرَ وضعف على القيام بمـا على الـزوج لامرأتـه فحضرت إلى والي اليمـامة تشكـوه، وطلبت طلاقها لكبر سِنّهِ، فَأَجَّلَهُ الوالي سنةً، وأراد سَتْرَهُ ولكنه لما عـاد إلى أهلِهِ، طلقها ليسترَ على نفسه.

---

(١) عمر بن لجإ التيمي من تيم الرباب ومن شعراء بني أمية، توفي في آخر القرن الأول وبينه وبين جرير معارضـات، وانظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ـ ٦٨ ـ ط. المعارف «والعقد الفريد» ـ ٦/١٨٧ ـ.

(٢) «ديوان جرير» ـ ٧١٣ ـ تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه.

(٣) في «تاريخ ابن عساكر» ـ ٩/٢٢٦ ـ النسخة المصورة (كنيف أو كثيف) جد العجاج واسم العجـاج عبدالله بن رؤبـة بن لبيد بن صخر بن كنيف أو كثيف بن عمر، ثم أوصل نسبه إلى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٤) ـ ص ٣٤٧ ـ طبعة بيروت سنة ١٨٩٥، و «المحاسن والأضداد» للجاحظ ص ١٧٤ ـ.

ولكن يؤخذ على هذا:

١ - أن العجَّاج لم يدرك عهد هشام بن عبدالملك فقد مات في أيام الوليد بن عبدالملك بعد أن كبر وفلج وأقعد على ما جاء في «تاريخ دمشق»[١].

٢ - أنَّ البلاذُري في «أنساب الأشراف»[٢] أورد الرجز لرؤبة بن العجَّاج بحضرة والي اليمامة ولم يُسَمِّهِ، وكان جرير حاضراً، وأورد رجزه فتكلم رؤبة فقال له: اسكت والله لئن أقبلت قِبَلَ أَبيك وقبِلَكَ لأُدُقَّنَّ عِظَامَك ولأَدَعنَّ مقطعاتكما هذه وهي لا تغني عنكم شيئاً. فقام إليه رؤبة فترضَّاه. ورؤبة بن العجاج (توفي سنة ١٤٥) قد مدح المهاجر بأرجوزة طويلة [٣]، والدَّهناء زوجة أبيه لم يَرِدْ ذكرها في خبره.

٣ - الارجوزة وردت ملحقة بديوان العجاج [٤]، مع الإشارة إلى أنها ليست من أصل الديوان. وروى صاحب «الأغاني» [٥] أن جريراً دخل على المهاجر بن عبدالله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمَّة ينشده فقال المهاجر لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنعم! فغضب ذو الرُّمَّة ونهض وهو يقول:

أنا أَبوُ الحارث واسْمِي غَيْلاَن

فنهض جرير وقال:

إنِّي امْرُؤٌ خُلِقْتُ شَكْساً أَشْوَسَا ... إنْ تَضْرِسَاني تَضْرِسَا مُضَرِّسَا
قَدْ لَبِسَ الدَّهْرَ وَأَبْقَى مَلْبَسَا ... مَنْ شَاءَ مِنْ نَارِ الْجَحِيْمِ اقْتَبَسَا

(١) - ٩/٢٦٦ - النسخة المصورة.
(٢) - ١١/٢٦٨ - المخطوطة الحديثة في دار الكتب.
(٣) تقع في ٢٥٢ شطراً مطلعها:

يا بكر قد عجلت لومًا باكرا ... يترك في القلب سعاراً ساعرا

(٤) - ص ٤٥٩ - تحقيق الدكتور عزة حسن.
(٥) - ٧/٥٧ - ط. دار الكتب.

فجلس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يجبه.

ولذِي الرُّمة هَفْوَةٌ مع المهاجر فقد روى عمارة بن عقيل أن جريراً [1] قال: خرجت مع المهاجر بن عبدالله إلى حجة فلقينا ذا الرُّمة، فاستنشده المهاجر فأنشده:

وَمِنْ حَاجَتِي لَوْلَا التَّنَائِي وَرُبَّمَا ... مَنَحْتُ الْهَوَى مَنْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
عَطَابِيْلُ بِيْضٌ مِنْ رَبِيْعَةِ عَامِرٍ ... عِذَابُ الثَّنَايَا مُثْقَلَاتُ الْحَقَائِبِ
يَقِظْنَ الْحِمَى وَالرَّمْلُ مِنْهُنَّ مُحْضَرٌ ... وَيَشْرَبْنَ أَلْبَانَ الْهِجَانِ النَّجَائِبِ

فالتفت إليَّ المهاجر وقال: أتراه مجنونًا!. انتهى، كيف بلغت الغفلة من ذي الرمة إلى أن يتغزل في نساء أميرٍ كان يتطلع منه إلى المدح.

وَأُرَانِي قد استرسلت في الحديث عن هذا الوالي، وصلتِه بالشعراء ولعل في ذالك ما يلقي الضوء على جوانب من طريقة حكمه.

مدة ولاية المهاجر:

تَقَدَّم قولُ خليفةَ بن خياط أن هشام بن عبدالملك وَلَّاه فمات المهاجر، فَوَلَّاهَا ابنه حتى قتل الوليد، فمفهوم هذا أنَّ المهاجر مات في حياة هشام، ولكن خليفة عاد مرة أخرى فقال في ذِكْرِ وُلَاةِ الوليد بن يزيد [2] : اليمامةُ المهاجر بن عبدالله الكلابي حتى قتل الوليد، كذا قال. وقد يكون في عبارة خليفة هذا اختلال لعل صوابه: المهاجر بن عبدالله الكلابي، ثم ابنه علي بن المهاجر الكلابي حتى قتل الوليد.

---

(1) «الأغاني» ـ ١٨/ ١٣ و ١٤ ـ ط. دار الكتب.

(2) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٣٦٧ ـ.

أما ابن عساكر فقد تقدم قوله عن المهاجر[1] : استعمله يزيد بن عبدالملك على اليمامة، وأقره هشام بن عبدالملك ثم عزله، ولكنه أضاف بعد ذالك ما يدل على أن المهاجر كان والياً في عهد الوليد بن يزيد حيث نقل عن قاضي اليمامة محمد بن المهاجر قال: كتب أميرُ المؤمنين الوليدُ بن يزيد إلى أبي المهاجر بن عبدالله: إنِّي حلفت بطلاق سَلْمَى يوم تزويجي، فإذا قرأت كتابي هذا فسل يحيى بنَ أبي كثير، واكتب إليَّ بما يُجيبكَ ثم ذكر بقية الحديث المتقدم وجاء في كتاب «الأغاني»[2] كان الوليد بن يزيد بن عبدالملك وَلَّى عَلِيَّ بنَ المهاجر بن عبدالله الكلابي اليمامةَ، فلما قتل الوليد بن يزيد جاء المُهَيْرُ بن سُلْمِيٍّ الحنفيُّ - ثم فصل خبر ما وقع بينهما -.

ولعل أعدلَ الأقوال هو أن المهاجر كان على اليمامة في عهد هشام بن عبدالملك وفي صدر عهد الوليد بن يزيد، وقبل قَتلِهِ وَلَّى ابنه عَلِيًّا، وقُتِل الوليد وهو والي اليمامة - على ما سيأتي تفصيله -.

ولعل مما يخفف سأم القارئ إيراد خبر ذي صلة بالمهاجر على جانب من الطرافة فقد ذكر الصابي في كتابه «الهفوات النادرة»[3] ما نصه: كان المهاجرُ بنُ عبدالله الْكلابي أَشْرَفَ عربيٍّ في زمانه، وكانَ لِأُمِّ ولدٍ، وعاملاً على اليمامةِ من قِبَلِ بني أُمية وبني العباس أربعينَ سنةَ، وكان يُؤْتَى في الدِّيةِ والحَمَالَةِ من كلِّ مكانٍ فلا يَردُّ أحداً إلَّا بحاجته، فبينا هو جالسٌ يوماً في مَنْظَرَةٍ له إذْ رأى خمسين راكباً من قومه قد طلعوا عليه، قاصدين إليه في زِيٍّ جميل، ومراكبَ ورواحلَ، فسرَّهُ ذالك منهم، وأمر لهم بدارٍ كبيرة وجعلها برسمهم، وبطعامٍ كثيرٍ يُصْنَعُ لهم، ودخلَ عليهم، وجعل يُحَيِّيهم ويُقْبِلُ عليهم فَرَحاً بهم وسُروراً بما رأى من

---

(١) «تاريخ دمشق» - ١٧/٤٣٦ - النسخة المصورة.

(٢) - ٢٤/٨٥ - ط. دار الكتب.

(٣) - ص ٣٧١ -.

تجمُّلهم وهيئتهم، وَأُتِيَ بالطعام فجلس معهم يُؤاكلهم ويحادثهم، ويؤانُسهم ويَبسُطهم، وهو لا يَشُكُّ أنهم جاؤُوه في دِيةٍ أو حَمالةٍ وقعت عليهم، أو مَغْرَمٍ ثقيلٍ لَزِمَهُمْ، فقال لهم: حياكم الله وأنْعمَ بكم عيناً يا بني عمي، ما حاجتُكم فقد قضاها الله تعالى؟ قالوا: إنَّ ابنَ عَمٍّ لكَ أصابَ رجلاً من طائِفةِ العشيرة فقتلَه وهو ابن أُمِّ ولدٍ، وقد خِفْنَا أن يُؤْخَذَ ابْنُ صريحةٍ فيكون لهم الْفَضْلُ علينا، وليس فينا ابن أُمِّ ولدٍ غيرك، فنحن نُحِبُّ أن تَنْقَادَ معنا نَدْفعك إلى القوم فيقتلوك، ويُصلِحِ الله تعالى هذا الأمرَ بِكَ، ولا يكون لهم على عشيرتك فَضْلٌ! فلما سمع ذالك منهم قام عنهم، ودعا صاحبَ الشرطة فأخبره الخبر، وأمره أن يُجْلِسَ لهم الصِّبيان في السِّكَكِ معهم الْبَعْرُ، ثم يحملَهم على رواحلهم، مُحَوَّلةً وجوهُهم إلى أذنابها، ويأمرَ الصبيان بأن يرجموهم بالْبَعْرِ وينثروه عليهم حتى يُخرجَهم من البلد، فَفُعِلَ ذالك بهم انتهى. وقد يكون في هذا الخبر الذي هو أقرب إلى الخرافة ما هو صحيح، فالمهاجر كان عاملاً من قبل بني أمية ولكنه لم يدرك عهد بني العباس، وقد تكون أمه أم ولدٍ، وما أرى البلاهة تبلغ مبلغها في هاؤلاء الخمسين، ولا أن يعامل المهاجر هذا العدد من قومه بتلك المعاملة المضحكة، ولكن من عادة مشاهير الرجال أن تنسب إليهم غرائب الأفعال، ومن ذالك ما أورده ابن قتيبة[1] وابن عبدربه من خبر الأعرابي اللص الذي حدث المهاجر والي اليمامة ببعض عجائبه مما لا أطيل بذكره.

---

(١) «عيون الأخبار» - ١/ ١٧٧ - و «العقد الفريد» - ١/ ١٢٧ -.

آخِرُ ولاة بني أمية
علي بن المهاجر الكلابي

تقدَّم قول خليفة بن خياط في ذكر ولاة هشام[١]: اليمامة وَلاَّهَا هشام المهاجر بن عبدالله، فمات المهاجر فَوَلاَّهَا ابنه حتى قتل الوليد، ومعروف أن الوليد بن يزيد بن عبدالملك قُتِل سنة ست وعشرين ومئة[٢]، ونقل صاحب «الأغاني»[٣]: كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك وَلَّى علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي اليمامة، فلما قتل الوليد بن يزيد جاءه المُهَيْر بن سُلْمِي الحنفي فقال له: إنَّ الوليد قد قتل وإنَّ لك عليَّ حقٌّ، وكان أبوك لي مكرماً، وقد قتل صاحبك فاختر خصلة من ثلاث.

ونقل ابن الأثير في «الكامل»[٤] فيما نقل عن «أنساب الأشراف» للبلاذري وإن لم يصرح بذالك ما نصه: لما قتل الوليد كان على اليمامة علي بن المهاجر، استعمله عليها يوسف بن عمر. انتهى، ويوسف بن عمر الثقفي[٥] جمع له هشام العراق سنة عشرين ومئة، وقد قتل سنة سبع وعشرين ومئة[٦].

وبين تلك الأقوال اختلاف، إذ في الأول منها: أن هشاماً هو الذي وَلَّى علي بن المهاجر بعد موت أبيه، وفيما نقل صاحب «الأغاني» أَنَّ الذي وَلاَّه اليمامة يزيد بن عبدالملك، وعند البلاذري وعنه نقل ابن الأثير: أن الذي وَلَّى علي بن المهاجر اليمامة هو يوسف بن عمر، وهذا تولى العراق سنة عشرين ومئة

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٣٥٩ ـ.
(٢) المصدر السابق ـ ص ٣٦٣ ـ.
(٣) ـ ٢٤/٨٥ ـ ط. دار الكتب.
(٤) ـ ٤/٢٧٢ ـ.
(٥) هو: يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.
(٦) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٣٦٨ ـ.

في عهد هشام، وعزله يزيد بن الوليد وَوَلَّاها منصور بن جمهور سنة ست وعشرين ومئة[1]، بعد قتل الوليد بن يزيد ومبايعة الناس في دمشق يزيد بن الوليد بن عبدالملك.

ويمكن الجمع بين تلك الأقوال بأن المهاجر كان استخلف ابنه على الولاية فأقره هشام بن عبدالملك، ولما عَيَّنَ هشام يوسفَ بنَ عمر على العراق أضاف ولاية اليمامة إليه فأقرَّ عليَّ بنَ المهاجر عليها، وبقي حتى قُتل الوليد.

وهذه هي المرة الثانية التي تضاف ولاية اليمامة فيها إلى العراق، ولعل هذا حدث بعد أن اختل نظام الحكم الأموي، فاستلزم أن تضاف الولايات إلى مشاهير القواد الذين لا يزالون يتمتعون بشيْءٍ من القوة.

أما المرة الأولى التي أضيفت ولاية اليمامة إلى العراق خِلاَلَهَا، فقد كانت في عهد سليمان بن عبدالملك، أو من تولى الحكم بعده حيث عَيَّنَ ابنُ هبيرة سفيانَ ابنَ عمروٍ العُقَيْلِي والياً على اليمامة كما تقدَّم.

ويبدو من أخبار علي بن المهاجر أنه ما كان يتمتع بما كان يتصف به أبوه من حصافة الرأي ونفاذ البصيرة في أموره، إذ في عهده بدأ الاضطراب في حكم سادته، ومن المفروض أن يتخذ من الوسائل ما يستطيع به الحفاظ على مكانته، إلَّا أنه بَدَأ فيما رُوِي من أخباره على خلاف ذالك، فصاحب «الأغاني» يروي أن المُهَيْرَ بنَ سُلْمِيٍّ الحنفي أحد سادة البلاد لما قُتِل الوليدُ خَيَّرَ عليَّ بنَ المهاجر بثلاث خصال: إما أن يقيم في اليمامة، ويكون كأحد أهلها، أو أن يتحول عنها إلى دار عَمِهِ حتى يرد عليه أمر الخليفة الجديد فيعمل به، وإمَّا أن يأخذ من المال ما شاء وأن يلحق بدار قومه، ولكن المهاجر لم يكتف برفض ما عُرِضَ عليه بل

---

(١) «تاريخ ابن جرير» - ٧/ ٢٧٠ -.

أثار حفيظة المُهير شَاتِمًا له بقوله: أنت تعزلني ياابْنَ اللخناء!! فكان من أثر غضب هذا أن التَف إليه قومه أهل اليمامة، ولم يُغْنِ عن علي من معه من جند أهل الشام وهم ست مئة رجل، ومثلهم من قومه وزواره، بل انهزموا بعد أن قُتِل منهم نفر مما سيأتي خبره مفصلاً.

وكان الشاعر يحيى بن أبي حفصة قد نهاه عن القتال فعصاه، وابن أبي حفصة هواه مع الأمويين فهم سادته فقال في ذالك.

بَذَلْتُ نَصِيْحَتِي لِبَنِي كِلَابٍ فَلَمْ تَقْبَلْ مَشُوْراتِي وَنُصْحِي
فِدًى لِبَنِي حَنِيْفَةَ مَنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهُمُ فَوَارِسُ كُلِّ فَتْحِ

وكان عليٌّ بن المهاجر قد التجأ إلى قصره هو وبعض من معه، وأغلقوا الباب، وكان من جذوع النخل، فدعا المُهَيْرُ بالسَّعَف فأحرقه، ودخل أصحابه فأخذوا ما في القصر، أما علي فقد خرج من ناحية القصر[1] حين أَحَسَّ بقرب وصولهم، وهرب إلى المدينة.

وبعد ذالك استولى المُهَيْر بن سُلْمِيٍّ بن هلال على اليمامة على ما سيأتي.

حدث هذا والحكم الأموي قد أوشك على السقوط، فقد بدأه الضعف قبل هذا العهد منذ عهد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حيث نشط دعاة تقويض هذا الحكم من العباسيين وأنصارهم، واستمر الضعف يقوى ويزيد حتى قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك سنة ست وعشرين ومئة، ولما قام خلفه مروان انبعثت الفتن عليه من أكثر أقطار المملكة، فبقي نحو خمس سنوات في الحكم من سنة سبع وعشرين ومئة إلى شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة يصارع ويكافح، ولم تَصْفُ له الأمور قبل مصرعه.

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ٥٩٧ ـ المخطوطة الدمشقية، و«الكامل» لابن الأثير ـ ٢٧٢/٤ ـ و«تاريخ ابن خلدون» ـ ٢٣٤/٣ ـ.

أما اليمامة فإن الحرب بين أهلها من بني حنيفة وبني كعب بن ربيعة قد اشتعلت، فحدثت بينهم أيَّام معروفة كأيام العرب في الجاهلية، استمرت منذ قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك حتى استقرار الأمر لمروان بن محمد فترة قصيرة، تقارب أربع سنوات، وفي أثناء ذالك وَلَّى يزيد بن عمر بن هُبَيْرة العراق سنة (١٢٩ هـ) [1] وكانت ولاية اليمامة حين قتل الوليد مضافة إلى ولاية العراق وواليه يوسف بن عمر الثقفي، وقد تقدم القول بأنه وَلَّى عليًّ بنَ المهاجر بن عبدالله الكلابي اليمامة.

وها هو يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق الجديد يولِّي عليها ابنه الْمُثَنَّى على ما ذكر البلاذري [2] وعنه نقل ابن الأثير، ونص كلام الأول: قدم المثنَّى والياً على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن هُبَيْرة حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي، فوردها وهي سلْمٌ فلم يكن حرب، وشهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى للقيسية، فضرب عِدَّةً من بني حنيفة فقال بعضهم:

فَإنْ تَضْرِبُونَا بِالسِّيَاطِ فَإنَّنَا ... ضَرَبْنَاكُمُ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإنْ تَحْلِقُوْا مِنَّا الرُّؤُوْس فَإنَّنَا ... قَطَعْنَا رُؤُوْساً مِنْكُمُ بِالْغَلَاصِمِ

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوي فلم يقبل شهادة عامريٍّ، فهدأت البلاد وسكنت. انتهى، وكانت ولاية يزيد بن عمر بن هبيرة العراق سنة تسع وعشرين ومئة [3]، وقُتِل في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٤٠٧ ـ و«الكامل» لابن الأثير ـ ٤/ ٢٩٨ ـ.
(٢) «أنساب الأشراف» ـ ٥٩٨ ـ المخطوطة الدمشقية، و«الكامل» ـ ٤/ ٢٧٤ ـ وتَعَصُّبُ المثنى لانه من غطفان وغطفان من قيس عيلان الذين منهم بنو عامر.
(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٤٠٧ ـ و«الكامل» لابن الاثير ـ ٤/ ٢٩٨ ـ.

وقال ابن قتيبة في «المعارف»[1] في كلامه على آل هبيرة: فأما يزيد فتولّى العراقَيْنِ لمروان بن محمد خمس سنين، وكان شريفاً يقسم على زواره في كل شهر خمس مئة ألف درهم، ويعشي كل ليلة من شهر رمضان، ثم يقضي للناس عشرة حوائج لا يجلسون فيها، وكان جميل المرآة، عظيم الخطر، وأمه سندية، فولد يزيد المثنَّى ومَخْلَداً، فأما المثنى فولي اليمامة لأبيه وقتله أبو حماد المروزي بالبادية.

وذكر ابن جرير في «تاريخه»[2] أن المثنى بن يزيد كان ولَّاهُ أبوه على اليمامة فلما قتل أبوه[3] امتنع هو باليمامة فبعث إليه زياد بن عبدالمدان بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حَيَّان السُّلمي فقتله وقتل أصحابه، وذالك سنة ثلاث وثلاثين، وزياد بن عبدالله ولّاه السفاح مكة والمدينة والطائف واليمامة بعد وفاة داود بن علي سنة ١٣٣.

ومن طريف ما يروى عن المثنى أَنَّ في اليمامة في عهده مجنوناً له نوادر فأتوه به فقال له: ما هِجَاءُ النَّشَّاشِ؟. قال: الفَلَجُ العاديُّ!. فغضب ابنُ هبيرة وقال: ما جئتموني به إلاَّ عمداً ما هذا بمجنون، والنشاش يوم كان لقيس على حنيفة، والْفَلَجُ يوم كان لحنيفة على قيس[4].

أما خليفة بن خياط فيبدو أنه يرى استمرارَ تغلُّبِ بني حنيفة على اليمامة حتى بويع السفاح فهو يقول في الكلام على عهد مروان بن محمد[5]: اليمامةُ غلب عليها البهي رَجُلٌ من بني حنيفة، فمات فولي عبدالله بن النعمان الحنفي، فلم يزل عليها حتى بويع أبو العباس. كذا ورد في «تاريخ خليفة»

---

(١) ـ ص ٤٠٩ ـ ط. دار المعارف.
(٢) ـ ١١٢/٦ ـ ومثله في «الكامل» ـ ٣٤١/٤ ـ و «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣٧٩/٣ ـ.
(٣) سنة ١٣٢ بأمر السفاح «الكامل» ـ ٣٣٨/٤ ـ.
(٤) «البيان والتبيين» للجاحظ ـ ٢٣٧/٢ ـ.
(٥) «تاريخ خليفة بن خياط» ـ ص ٤٠٦ ـ.

ويبدو أن كلمة (البهي) تصحيف (المُهَيْر) وعبدالله بن النعمان هو الذي جعله المُهَيْرُ والياً بعده على البلاد، وقد ذكر البلاذري ومن نقل عنه أنه من بني قيس بن ثعلبة بن الدُّوْل ولم أجد في «جمهرة النسب» لابن الكلبي لثعلبة بن الدُّوْل مَنِ اسْمُهُ قيس فلعله من أحفاد ثعلبة، ويلاحظ أن جيران بني الدول بن حنيفة الأدنين هم بنو قيس بن ثعلبة بن عُكَابَة، وأولئك ليسوا من بني حنيفة بل هم قوم الأعشى الشاعر المشهور، وجيرانهم في البلاد ومن المشتركين معهم في كثير من حركاتهم. وسيأتي عن البلاذري بعد إغارة عبيدالله بن مسلم الحنفي على أهل حَلَبَان ما نصه: ولم يزل عبيدالله بن مسلم الحنفي مستخفِيًا حتى قدم السَّرِيُّ بن عبدالله والياً على اليمامة فدُلَّ عليه فقتله لِمَا صَنَع فقال نوح بن جرير:

فَلَوْلَا السَّرِيُّ الْهَاشِمِيُّ وَسَيْفُهُ   أَعَادَ عبَيْدُ الله شرًّا عَلَى عُكْلِ [1]

والظاهر أن الوضع لم يستقرَّ في البلاد منذ أن قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك سنة ست وعشرين ومئة، حتى استولى بنو العباس على الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومئة، على ما يفهم من أن عبيدالله بن مسلم الحنفي الذي تولَّى الأمر بعد المُهَير بن سُلْمِيٍّ الحنفي بقي حتى قدم السَّرِيُّ بن عبدالله والياً على اليمامة، وقُدوم السري على اليمامة بعد وفاة داود بن علي بن عبدالله العباس الذي كان والياً على مكة والمدينة واليمامة، وهذا توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومئة[2] فقد ذكر خليفة في «تاريخه»[3] عن الولاة في عهد السفاح أول الخلفاء العباسيين ما نصه: اليمامة داود بن علي، ثم مات فولي السَّرِيُّ بن عبدالله. انتهى، وقد استمر السَّرِيُّ في ولايته حتى سنة ثلاث وأربعين ومئة

---

(١) كثيراً ما تصغر أسماء الأعداء كما قالوا (نجيدة بن عويمر) وهنا سموه (عبيد الله).

(٢) «العقد الثمين» - ٤/٣٥٠ -. (٣) ص - ٤١٤ -.

حيث أتاه عهد المنصور على ولاية مكة والطائف وهو في اليمامة فسار إلى مكة وبعث المنصور إلى اليمامة قُثَمَ بن العباس بن عبدالله بن عباس[1] .

أما ولاية المُثَنَّى بن يزيد بن هبيرة من قبل أبيه والي العراق فهي لم تتجاوز ثلاث سنوات أو لم تستكملها، ويبدو أنها لم تكن ذات أثر في حكم البلاد، بحيث تستطيع القضاءَ على الحركات الخارجية التي ليس من المستبعد أن تكون استمرَّتَ حتى قدم السَّرِيُّ بن عبدالله الهاشمي الذي يُعَدُّ أقْوىَ والٍ عباسي كان له من الأثر في تصريف شؤون عمله ما لم يكن لغيره من ولاة العباسيين بعده، على ما يفهم مما بين أيدي الباحثين من المصادر التاريخية.

---

(١) «تاريخ ابن جرير» - ٧/٥١٥ -.

وعادت حالة الجاهلية الأولى

ليس من جنف القول أن ما عرف عن العرب في عهود ما قبل الإسلام من عِداءٍ واختلاف بين قبائلهم كان يُؤَدِّي في كثير من الأحيان إلى حروب شرسة، عرف كثير منها باسم (أَيَّام العرب) لَمْ يَتِمَّ القضاء عليه إلاَّ في عصور متأخرة، وبالتحديد في النصف الأول من القرن الرابع عشر، حينما قام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل - رحمه الله - بالسعي لتوحيد أجزاء البلاد، وإيجاد روابط بين القبائل، تقوم على أساس من الإخاء والتصافي، والتعاون على الخير، وذالك بانشاء الْهُجَرِ لِاسْتقرارهم فيها، وبثِّ المرشدين بينهم، ليفقهوهم في الدين، وليوجهوهم وجهةَ الخير والصلاح، عن طواعية واختيار وترغيب، فاستشعرت نفوسهم حقيقة الإسلام، واطمأنوا إلى ما نعموا به من الأمن والعدل والتآخي.

وإِذَنْ فلا غرابة بالقول بأن تعاليم الدين الحنيف عندما انتشر الإسلام بينهم لم تستأصل ما في نفوس كثير من القبائل من سكان الجزيرة من نوازع حُبِّ السيطرة، ودوافع الرغبة في الظهور بمظهر الغلبة والقوة والتفوق، لأن المتتبع لتاريخ تلك الحقبة الطويلة التي تتجاوز ثلاثة عشر قرناً من ظهور الإسلام حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر، يجد كثيرًا من قبائل سكان قلب الجزيرة على الحالة التي كانوا عليها منذ أول عهد تلك القبائل في جاهليتها من الفوضى والتنافر، بل العداء الشديد، الذي كثيراً ما كان مبعثاً للفتن والحروب، وأنه لَمْ يَزُلْ ما في قلوب كثير منهم من إحَنٍ وأحقاد وكراهية بتأثير تلك التَّعاليم السمحة، ولم تُمْحَ آثارُ ما كان بينهم من التنافر، والعداوة الراسخة في النفوس.

ومرد هذا أن انقياد كثير منهم في أول الأمر للتظاهر بقبول التعاليم الدينية لم يكن عن قناعةٍ، ولا عن عمق إدراك لحقائقها، وإنما كان ناشئاً عن خوف ورهبة

من قـوة لم يكن في استطاعتهم مقـاومتها، فـاستسلموا، وخضعـوا لتلك القوة، متـرقبـين الفـرص للعـودة لحـالتهم الأولى متى ضعفت وسـائـل إخضـاعهم وحكمهم.

وفي القرآن الكريم ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ ولهذا فَسَرْعَانَ ما عاد كثير من القبائل ـ حاضرة وبادية ـ بعـد وفاة المصـطفى عليه الصـلاة والسلام إلى الارتـداد عن الإسلام، حتى أُخْضِعُوا فَأُرْجِعُوا قَهْراً لقبوله، وللاستسلام والـطاعة لحكمـه، في عهد أبي بكر الصديق.

وإذَا أَلْقَى الباحث نظرةً على انتشار القبـائل العـربية في منـازلها في الجـزيرة عند ظهور الإسلام، وتَجَاوُرِهَا في تلك المنازل، أدرك أن لهذا التجاور أبلغ الأثـر في الاحتكاك بينها، ومن ثَمَّ ينشأ الاختلاف والعِداء، ثم اللجوء إلى الحرب.

قـد تأتي قبيلة من الجنـوب من القحطانيـين فَتَحُلُّ بـلَاداً تنتشر فيها قبـائـل عدنانية، كما فعلت قبيلةُ طَيِّءٍ التي انتقلتْ من (طَـرِيْبٍ) وما حـوله من الأوديـة حتى حَلَّتْ بلاد الجَبَلَيْنِ أَجَإٍ وسَلْمَى، يحيط بهـا من الغَرْب فـروع قبيلة غَطَفَـان من قَيْسِ عيلانَ من عدنان، ومن الجنوب بنو أَسَدِ بن خُزَيمَةَ من عدنان أيضـاً، مما اضطرها إلى محالفة القبيلتين حتي بلغت من القوة والتكامـل ما استـطاعت به أن تثبت استقرارها في تلك البلاد، وأَنْ تَشُنَّ الغاراتِ على من حولها من القبائل العدنانية.

ومثل هذا أو قـريب منه مـا حدث لقبيلة بني حَنِيْفَـةَ التي هي فرع من قبيلة رَبِيعة. ومعروف أن رَبيعةَ ومُضرَ هما أَثْرَى وَأَقْوَى بني نزار بن معد بن عدنان.

ومع اختلاف الباحثين في تحديدِ مَهْدِ بني عدنان قبل تفـرقهم وانتشارهم في

الجزيرة، إلَّا أَنَّ ما هو متناقل ومعروف عن متقدمي العلماء كابن الكلبي وأبي عبيدة مَعْمَرِ بن الْمُثَنَّى وغيرهما يفهم منه[1]: أن بني ربيعة انتشروا في ظواهر الحجاز وبلاد نجد قبل بني مُضَر، وأن بني حَنِيفة انْفَصلَتْ عن فروع ربيعة الأخرى من منازلها في عالية نجد، حتى أتت بلاد اليمامة، فاستقرت فيها، وَحَلَّت محلَّ سكانها الأقدمين، من طَسْمٍ وجَدِيْسَ وغيرهما من القبائل العربية البائدة، واسْتوطَنَتْ تلك البلاد بحيث انتشرت في وادٍ عُرِفَ فيما بعد بها: عِرْض بني حنيفة (وادي الباطِن)، وفي الأودية الممتدة جنوبه المنحدرة من جبال العارض صوب الْخَرْج، أما من ناحية الشمال فقد استوطنت بطون منها في وادِيَيْ مَلْهَم وَقُرَّان (شَعِيب أبي قتادة) وجاور بني حنيفة في الجنوب بعض بطونٍ من بني بكر بن وائل من بني قيس بن ثعلبة، وبني عِجْلِ بن لُجَيْم، إخوة حنيفة وغيرهم، كما جاورها في شمال وادي العِرْض بنو سَدُوْسَ بنِ ذهل بن ثعلبة من بني بكر بن وائل، فسكنوا قرية سميت بهم قرية بني سَدوس، التي أصبحت مدينة معروفة بهذا الاسم (سدوس).

ويبدو أن استقرار بني حنيفة في هذه البلاد كان قَديمًا، بحيث انقطعوا عن قومهم في وسط دار مُضَر، وكانوا لاَ يَنْصُرَوْنَ بكْراً ولا يستنصرونهم، كما يقول صاحب «الأغاني»[2].

ولهذا لم يشتركوا في الحروب التي حدَثَتْ بين بكر وتغلب، وبعد استقرار أولئك في هذه البلاد انتشرتْ قبائل مُضَرَ في بلاد نجد وفي اليمامة، فجاور بني حنيفة من الجنوب فُرُوعٌ من قيس عيلان، وهم بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازِنَ، قُشَيْرٌ وجعدةُ والْحَرِيْشُ وبنو عُقَيْلٍ وغيرهم، فأحاطوا بهم

(١) انظر لتفصيل هذا ما نقله البكري في مقدمة «معجم ما استعجم» عن افتراق القبائل.

(٢) ج ١١ ص ٣١٧ ـ ط. دار الكتب.

من الجنوب ومن الغرب، كما جاور الحنفيين وإخوتَهم من الشمال ومن الشرق بطون من بني تميم، فمن الشرق بنو سعد بن زيد مناة في أسافل منطقة الخرج ممتدِّيْنَ إلَى رمال يَبْرِيْنَ، ومنتشرين في جوانب الدَّهْنَا، ومن الشمال فروع من بَنِي الْعَنْبَر في منطقة سُدَيْر، ومن الشمال الغربي بطون أخرى تميميةٌ حَلَّتْ في إقليم الْوَشْم، ممتدَّةً حتى بلغت من الجنوب بلاد بني كعب بن ربيعة، وبهذا أصبح الحنفيون مُطَوَّقِيْنَ من جميع جهاتهم بقبائل مُضَرِيَّةٍ، إلَّا أَنَّ بلادَهم كانت على درجة من المناعة، لكونها أودية ضيقة المداخِل، تَلُبُّ بها الجبالُ من أكثر جهاتها، يضاف إلى هذا ما عُرِفَ عن بني حنيفة من شجاعة مَرُنُوْا عليها طِيْلَةَ احتكاكهم بهذه القبائل، التي لا تربطها بهم رابطة النسب القريبة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما يتحلون به من شجاعةٍ في كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾[1] فعلى رأي بعض المفسرين أَنَّ المعنيِّيْنَ بهذه الآية هم بَنُو حَنِيْفَة.[2]

لقد استطاع الحنفيون أن يكونوا في مأْمَن من إغارة القبائل عليهم، بدون أَنْ يُحَالِفُوا أحداً، كما قال شاعرهم موسى بن جابر[3] :

وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ	سُوىً بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ والْفِزْرِ[4]
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيْرَةُ كُلُّهَا	أَقَمْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوْفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمَتْنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيْهَةٍ	وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وِتْرِ

فهو يصف منزلَ بني حنيفة ومن معهم بِتَوَسُّطِهِ بين منازل قَيْس عَيْلَان من

---

(١) «سورة الفتح» ـ الآية ١٦ ـ.

(٢) على ما رواه ابن اسحاق عن الزهري وعن سعيد بن جبير وعكرمة، انظر تفسير الآية في «جامع البيان» للطبري وفي «تفسير ابن كثير» وغيره.

(٣) «الأغاني» ـ ١١/٣١٧ ـ ط. دار الكتب، و «الثقافة» ـ ٢٣/٢٤٣ ـ.

(٤) (سُوىً) و (سَوَاء) وَسَطاً.

بَنِي كعب بن ربيعة وغيرهم، وبين منازل الْفِزْرِ بني سعد وغيرهم من بني تميم، ويصف عشيرته بأن قومهم بَعُدُوا عنهم فقد ارتحلوا إلى شرق الجزيرة، ثم انساحوا إلى جهات الشمال، وهو يعني بني بكر بن وائل، فأصبح الحنفيون وحْدَهُمْ في هذه البلاد، فحالفوا السيوف ولم يحالفوا غيرها، وهو يُعَبِّرُ بهذا عن شجاعتهم، وأنها لَمْ تَخْذِلْهُمْ في يوم من أيام اللِّقَاءِ مع أعدائهم، وأنهم لم يُغْضُوْا أعينهم على تحمل القهر والذلة حين يغلبون، بَلْ يَسْعَوْنَ حَتَّى يُدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ.

بَلْ بلغ من أمرهم أن جعلوا من بلادهم (اليمامة) مأْمَناً لمن يلتجئُ بهم، بحيث كانوا يجيرون على ملوك المناذرة، فحين قَتَلَ أحدُ السُّحَيْمِيِّيْنَ الحنفيين المنذِرَ بنَ ماءِ السماء يوم عين أُبَاغ وجدَ في اليمامة مكاناً آمِناً، كما في قول أوس بن حجر[1]:

نُبِّئْتُ أَنَّ دَماً حَرَاماً نِلْتَهُ	فَهُرِيْقَ في ثَوبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرِ
نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا	أَبْيَاتَهُمْ تَامُوْرَ نَفْسِ الْمُنذِرِ
فلَبِئْسَ ما كَسَبَ ابْنُ عَمْرٍو رَهْطَهُ	شَمِرٌ وكَانَ بِمَسْمَعٍ وَبِمَنْظَرٍ
زَعَمَ ابْنُ سُلْمِيٍّ مُرَارَةُ أَنَّهُ	مَوْلَى السَّوَاقِطِ دُوْنَ آلِ الْمُنْذرِ
مَنَعَ اليَمَامَةَ حَزْنَها وَسُهُولَهَا	مِنْ كُلِّ ذِي تَاجٍ كَرِيْمِ الْمَفْخَرِ
إنْ كَانَ ظَنِّي فِي ابْنِ هِنْدٍ صَادِقاً	لَمْ يَحْقِنُوْهَا فِي السِّقَاءِ الْأَوْفَرِ
حَتَّى يَلُفَّ نَخِيْلَهُمْ وزُرُوْعَهمْ	لَهَبٌ كَنَاصِيَةِ الْحِصَانِ الْأَشْقَرِ

وكانت السواقط ـ وهم من ورد اليمامةَ من غير أهلها من مختلف القبائل ـ تأتي في الأشهر الْحُرُمِ، لطلب التمر، فإن وافقتْ ذالك وإلَّا أَقامتْ بالبلد إلى أَوَانِه، فكان الرجل منهم يأتي رجلا من بني حنيفة أهلِ اليمامةِ فيكتب له على

---

(١) «ديوان أوس» ـ ص ٤٧ ـ تحقيق محمد يوسف نجم.

سهم أو غيره: (فلانٌ جارٌ لفلان) وكان النعمان بن المنذر أراد أن يجلي السواقط من اليمامة، فأجارهم مُرَارَةُ بن سُلْمِيٍّ الحنفيُّ، فقال أوس الشِّعْر يحضُّ عمرو بن هند على استئصال بني سُحَيْمٍ الحنفيين، لأن قاتل أبيه المنذر بن ماء السماء وهو شَمِرُ بن عَمْروٍ السُّحَيْمِيُّ منهم[١].

وقد يكون قصدَ من إجلاء السواقط إذْلَالَ بني حنيفةَ، ولكنه لم يستطع ذالك.

لما ضعف الحكم الأموي بعد عهد يزيد بن معاوية وقبل استقامة الأمر لعبدالملك بن مروان، حَيْثُ لم يَمْضِ طَوِيلُ وقت على ما كان مألوفاً بين القبائل مما كان يحدث بينهم من فتن وحروب قبيل ظهور الإسلام، كانت فترة الضعف هذه حافِزاً لبني كعب على تذكر الحزازات القديمة التي كانت بينهم وبين بني حنيفة وجيرانهم، فعزموا على غزوهم، وقالوا لرئيسهم كلابِ بنِ قُرَّةَ بن هُبَيْرة القُشيري[٢]: إنَّهَا فِتْنَةٌ فلَوْ أتينا سوق (المجازة) فإن بها بَزًّا منشورا، وبُرًّا منثورا) [٣] فهجموا على أقرب بلدة تليهم من بلاد جيران الحنفيين وحلفائهم، وهي (المجازة) ولكن بني حنيفة في ذالك العهد كانوا على درجة من القوة، بِحيث استطاع أحدهم وهو نَجْدَةُ بن عامر جمع جيشٍ مكنه من أن يقهرهم.

وها هي الفرصة تتاح مرة أخرى لتلك القبائل المتطلعة إلى ما كانت تمارسه في سابق عهدها من أفعال النهب والسلب، فالدولة الأموية قد بدأ الضعف ينخر في جسمها، حتى أوشك على السقوط بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك، سنة ست وعشرين ومئة، فلماذا لا يستغل الحنفيون الفرصة السانحة؟.

---

(١) «رغبة الآمل من كتاب الكامل» للمرصفي - ٤/٣١ - ط. طهران.

(٢) «أنساب الأشراف» - ص ٤٥١ - المخطوطة الدمشقية.

(٣) في بعض النسخ (تَمراً منشوراً).

روى صاحب «الأغاني»[1] أنَّ الوليد كان وَلَّى عَلِيَّ بنَ المهاجرِ الكِلابِيَّ اليمامةَ، فَلَمَّا قُتِلَ الوليدُ بنُ يزيد جَاءَه الْمُهَيْرُ بن سُلْمِيٍّ الحَنَفِيُّ فقال له: إن الوليد قد قُتِلَ، وإنَّ لَكَ عَلَيَّ حقاً، وكان أبوك لِي مُكْرِماً، وقد قُتِلَ صاحبك، فاختر خَصْلةً من ثلاث: إنْ شِئْتَ أن تُقِيمَ فينا وتكونَ كأَحَدِنا فافْعَلْ، وإن شِئْتَ أَنْ تَتَحَوَّلَ عَنَّا إلى دَارِ عَمِّكَ[2] فَتَنْزِلَهَا أَنْتَ ومن مَعَكَ إلى أن يَرِدَ أمرُ الخليفة المُوَلَّى، فتعملَ بما يأْمُرُ به، فافْعَلْ. وإنْ شِئْتَ فَخُذْ من المال المجتمع ما شِئْتَ والْحَقْ بدارِ قومِكَ. فأنِفَ عليُّ بنُ المهاجر من ذالك ولَمْ يَقْبَله، وقال لِلْمُهَيْر: أَنْتَ تَعْزِلُنِي يا ابْنَ اللَّخْنَاء؟!! فخرج الْمُهَيْرُ مُغْضَباً، والْتَفَّ معه أَهْلُ اليمامةَ، وكان مع علي ستُّ مئة رجل من أهل الشام ومثْلُهُمْ من قومه وُزوَّارِهِ، فدعاهم الْمُهَيْرُ وذكر لهم رأيَهُ، فَأَبَوْا عليه، وقاتلوه وجاء سَهْمٌ عَائِرٌ فوقَع في كِبدِ صانعٍ من أَهْل اليمامة، فقال الْمُهَيْرُ: احملوا عليهم، فحملوا عليهم، فانْهزَمُوا وقُتِلَ منهم نَفَرٌ ودخلوا الْقَصْرَ وأَغلقوا البابَ وكان من جُذُوع النخل، فدعا الْمُهَيْرُ بِالسَّعَفِ فأحرقَهُ، ودخل أَصْحابُه فأخذوا ما في القَصْر، وقَامَ عبدالله بن النُّعْمَان الْقَيْسِيّ في نفرٍ من قومه فَحَمَوْا بَيْتَ المالِ، وَمَنَعُوا منه، فلم يَقْدِرْ عليه الْمُهَيْرُ، وجمع الْمُهَيْرُ جَيْشاً يُرِيْدُ أَنْ يَغْزُوَ بِهِمْ بَنِي عُقَيْلٍ وَبَنِي كِلَابٍ وَسَائِرَ بُطُونِ بَنِي عَامِرٍ.

---

(١) ـ ج ٢٤ ص ٨٥ ـ ط. دار الكتب.

(٢) لعل الصواب: (دار بني عَمِّكَ) وهي (الأفلاج) بلاد بني كعب بن ربيعة ـ جعدة وقشيرو الحريش وغيرهم ـ وكعب أخو كلاب، وابن المهاجر كلابي.

تغلُّب المُهَيرِ الحنفي على اليمامة وما تلاه من أحداث

مما هو معروف أن كثيراً من رؤساء القبائل الذين انقـادوا للحكم الإسلامي بدون تأثر بتعاليمه، كانوا يتحيَّنون الفرص، متطلعين إلى ما كان لهم من مكانـة بـين قبائلهم، وفي بـلادهم، ومن هاؤلاء زعـماء بني حَنِيفـة، وقـد كـانـوا أهـل اليمـامة، وعنـدما ظهـر الإسلام كـان منهم رئيسان همـا هـوذةُ بن عـلي من بني سُحَيْمٍ، وثُمَامة بن أُثَالٍ من بني الدُّوْل، وقد كتب إليهما رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كتب إلى الملوك[1].

ومن بني الـدُّول[2] بن حَنِيفة مُجَّـاعَةُ بن مُـرارةَ بنِ سُلْمِيٍّ بن زيـد، الـذي يقال له مُجَّاعَة اليمامةِ، والذي عاهد خالدَ بن الوليد أثناء حـرب الردة عَنْ أهـل اليمامة، بعد أن قال فيه أحد رؤسائهم: إن كنت تريد بأهل اليمامـة غداً خيـراً أو شَرًّا فَاسْتَبْقِ هـذا ولا تقتله[3]، وهو الـذي خدع خـالداً حينـما قَتِل مسيلمـة ونادى بالرَّحيل لينزل على الحصون فقال له مُجَّاعَةُ: إنَّهُ والله ما جاءك إلَّا سَرَعَانُ الناسِ، وإنَّ الحصونَ لَـمَمْلُوْءَةٌ رجالا فَهلُمَّ إلى الصلح على ما ورائي، فصالحهُ بعـد أن أمر النسـاء بلبس الحديـد، وأن يشرفْنَ عـلى الحصـون، فَلَمَّا فَـرَغَـا من الصلح وفتحت الحصـون إذا ليس فيهـا إلَّا النسـاء والصبيـان، فقــال خـالــد لِمُجَّاعَة: وَيْحَكَ خَدَعْتَنِي؟ قال: قَوْمِي ولم أستطع إلَّا ما صنعت!

ومنهم شَمِرُ بن عَمْروٍ قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أُبَاغ[4].

ومن بني الــدُّوْلِ أيضـا: بنــو سُلْمِيٍّ بنِ عَمْـرِو بن مُجَمِّـعِ بن زيــد بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّوْلِ بن حَنِيفة الذي يقول فيه الشاعر:

---

(١) انظر نص الكتابين في «السيرة النبوية» لابن هشام ـ ج ٤ ص ٢٠٧ ـ.

(٢) الدُّوْل ـ بضم الدال وسكون الواو ـ على مافي «القاموس وشرحه» رسم (دأل) و (دول).

(٣) «تاريخ ابن جرير» ـ ٢٩٦/٣ ـ.

(٤) انظر خبر عين اباغ في «الكامل» لابن الأثير ـ ٣٢٥/١ ـ.

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ الْيَمَامَةِ فَاسْتَجِرْ زَيْدَ بْنَ يَرْبُوعٍ وآل مُجَمِّعِ
وأَتَيْتُ سُلْمِيًّا فَعُذْتُ بِقَبْرِهِ وَأَخُو الزَّمَانَةِ عَائِذٌ بِالْأَمْنَعِ[1]

ومن بني سُلْمِي عُمَيْرُ بنُ سَلْمِيِّ بن عمرو بن مُجَمِّع بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّوْلِ بن حَنيفة قائد الجرباء، وهي كتيبته، وكان يُعَدُّ من أَوْفَى العرب فقد سَلَّم أخاه ليقتل بقتيل من جيرانه[2]، وَعَدَّه أبو عبيدة في كتاب «الديباج»[3] أحد أوفياء العرب الثلاثة، وفَصَّل خبره بأن رجلاً من بني كلاب استجار به فقتل قُرَيْنٌ أخو عُمَيْر بن سُلْمِيٍّ أخا الرَّجُلِ الكلابي وَأَبَى الأخ عن قبول الدية، فما كان من عُمَير إلاَّ أن دفع أخاه قُرَيْناً إليه فقتله، وفي ذالك يقول رجل من بني سُلْمِيٍّ:

قَتَلْنَا أَخَانَا لِلْوفَاءِ بِجَارِنَا وكَانَ أَبُونَا قَدْ تُجِيرُ مقَابِرُهْ

وقال الرجل المجاور وهو من بني كلاب في وفاء عُمَير:

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ الْيَمَامَةِ البيتين مع قصيدة أوردها صاحب «الديباج»[4].

ومن بني سُلْمِيٍّ عُمَارةُ بن سُلْمِيٍّ وهو عمارة الطويل، الذي وَلاَّه نجدةُ اليمامة لما ذهب إلى البحرين وتقدم ذكره في أخبار نجدةَ.

ومن بني سُلْمِيٍّ هاؤلاء: المُهَيرُ الذي استولى على اليمامة بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك، وهو عند البَلاذُرِيِّ: المُهَيْرُ بن سُلْمِيٍّ بن هلال، أحدُ بني الدُّوْل من بني حنيفة[5]، وعن البلاذُري نقل ابنُ الأثير، وعن ابن الأثير نقل ابن خلدون إلاَّ أَنَّ أكثر الأسماءِ عند الأخير وردت محرفةً[6].

---

(١) «مختصر جمهرة النسب» ـ ١٥٧ ـ و «المحبر» لابن حبيب ـ ٣٥١ ـ و «رغبة الآمل» ـ ٤/٣٤ ـ ط. طهران، والعياذ لا يجوز إلاَّ بالله لأنه من أمور العبادة.
(٢) «الاشتقاق» ـ ص ٣٤٨ ـ.
(٣) ـ ص ٤٦ ـ.
(٤) ـ ص ٥٦ ـ.
(٥) «أنساب الأشراف» ـ ٥٩٧ ـ المخطوطة الدمشقية.
(٦) «تاريخ ابن الأثير» ـ ٤/٢٧٢ ـ و «تاريخ ابن خلدون» ـ ٣/٢٣٤ ـ.

وفي كتاب «النسب الكبير»[1] لابن الكلبي : المُهَيرُ بن سُلْمِيٍّ بن عمرو بن مُجَمِّع، وآخر النسب تقدَّم ـ وفي «مختصر الجمهرة»[2] نقلا عن ياقوت : الْمُهَيْرُ بن سُلْمِيٍّ بن هليل[3] بن عمير بن سُلْمِيٍّ بن عَمْرو، وقد أغرب الهمدانيُّ فقال في الكلام على بني زيد بن يربوع الحنفيين[4] : سَيِّدُهُمْ يومئذٍ قائِدُ الجرباءِ عُمَيْرُ بن سُلْمِيٍّ، وهو الذي وفد على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بني يربوع، وتغلب على اليمامة في أيام الفتنة بين بني هاشم وبني عبد شمس. انتهى، والقول بأنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم لم أره لغير الهمداني، ولم أجد اسْمَهُ فيما بين يَدَيَّ من كتب الصحابةِ، وإذا كان وفد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد يكون سنةَ ستٍ وعشرين ومئة بلغ سِنًّا عاليةً لا يستطيع معها القيامَ بثورة للاستيلاء على البلاد، ثم إنَّ الذي تغلب على اليمامة هو المُهَيْرُ وليس (عُمَيْراً) كما سَمَّاه الهمداني، وتقدم ذكر عُمَيْر بن سُلْمِيٍّ وعدَّه صاحب «الديباج» من أوفياء العرب في الجاهلية[5] .

ويبدو أن المُهَيْرَ هذا كان ذا مقامٍ عند وُلاةِ اليمامة من بني أُمَيَّةَ، كما يدل على هذا موقفه مع عليٍّ بن المهاجر وقوله له: إنَّ لك عليَّ حقٌّ وكان أبوك لِي مكرماً[6] . وأنه حين رأى أنَّ أمر بني أمية قد انتابه الضعف من جميع جوانبه طمح فيما كان له ولسلفه من رئاسة قبيلته، ولم يكن طمعاً منه بمال، فقد خَيَّرَ عَلِيًّا بأن يأخذ من المال المجتمع ما شاء، ولهذا قام عبدالله بن النعمان القيسي في نفر من قومه فحموا بيت المال، ومنعوا منه فلم يقدر عليه المهير وإنما اتجه لجمع جيشه لأخذ ثأره من بني عامر[7] .

(١) نسب بني حنيفة.
(٢) مخطوطة راغب باشا ـ ص ١٥٧ ـ.
(٣) لعل (هليل) هنا (هلال) كما في كتاب البلاذري وكما في كتابة بعض المتقدمين.
(٤) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٨٤ ـ ط. دار اليمامة.
(٥) ـ ص ٤٦ ـ. (٦) «الأغاني» ـ ٢٤/٨٥ ـ ط. دار الكتب. (٧) «الأغاني» ـ ٢٤/٨٦ ـ ط. دار الكتب.

أَيَّامٌ كأَيَّام الجاهِلية الأُولى

يوم القـــاع :

ويتحدثُ البلاذُرِيُّ عن أحداث المُهَيْر[١] فيسميهـا أَيَّامًـا بعد ذكـر امر أبي محمد السفياني بعد مقتل الوليد يوم القاع : قالوا لما قتل الوليد كـان على اليمـامة من قبـل يوسف بن عمـر الثقفي علي بن المهـاجر بن عبـدالله الكلابي فقـال لـه المهـير بن سلمي بن هلال احـد بني الدول بن حنيفـة : خَلِّ لنـا بـلادنـا. فـأبى ذالك .

فجمع المُهَيْرُ وسار إليه وهو في قصره بقاع حَجْرٍ[٢] فـالتقوا بـالقاع بسـوق حَجْـرٍ فهزمـه المهير، حتى أدخله قصـره، وخـرج من نـاحيـة القصر فهـرب إلى المدينة، فقتل الْمُهيرُ بنُ سُلْمِيٍّ نـاسا من أصحـابه، وكـان يحيـى بن أبي حفصة أشار على ابن المهاجر أَلَّا يقاتل فعصاه فقال :

بَــذَلْـتُ نَصِيْحَـتِي لِبَـنِي كِـلَابٍ ... فَـلَمْ تَقْـبَـلِ مَشُــورَاتِي وَنُـصْحِـي
فِــدىً لِبَنِي حَنْيِـفَــةَ مَنْ سِـوَاهُـم ... فَــإِنَّهُمْ فَــوَارِسُ كُــلِّ فَــتْــحِ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي :

إِذا أَنْتَ سَــالَمْتَ الْمُـهَــيْرَ ورَهْــطَهُ ... أَمِنْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْخَوْفِ وَالذُّعْرِ
بِــهِ دَفَـعَ اللّهُ الـنِّـفَــاقَ وَأَهْـلَهُ ... وَأَحْيَـا بِـهِ أَهْـلَ الْمَجَـاعَــةِ وَالْفَقْـرِ
فَتىً رَاحَ يَـوْمَ الْقَاعِ رَوْحَـةَ مَـاجِـدٍ ... أَرَادَ بِهَــا حُسْنَ الثَّنَـاءِ مَــعَ الْأَجْـرِ

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ ص ٥٩٧ ـ وما بعدها.

(٢) وقع في تاريخي ابن الأثير وابن خلدون (هجر) خطأ.

وتأمَّرَ الْمُهَيْرُ على اليمامة وكان على شرطه عبدالحكم بن حَكَّام الْعُبَيْدِيُّ فركب المهير والناس معه فشد قوم على عبدالحكم فقتلوه[1] . انتهى .

ومدينة حَجْرٍ التي قامت مدينة الرياض على أنقاضها كانت تقع بين وادِيَيْنْ وَادِي الْوُتْرِ (البطحاء) من شرقها، ووادي الْعِرْضِ (الباطن) من غربها، وكانت منتشرة على ضفة وادي الْوُتْرِ الغربية، وتكثر القيعان على جوانب وادي الوتر، لأنه ينتشرَ في أرضٍ مُنْفِرشاً فيها لسعتها، لا تحصره جبال، فيستريض الماء في كثير من الأمكنة فَتُكَوِّنُ قِيْعَانًا يسترِيْضُ فيها الماء فتدْعَى رياضاً، ومن هنا سميت البلدة فيما بعد (الرياض) ويبدو أن قصر الوالي في أحد القيعان القريبة من وادي الْوُتْر.

يوم الْفَلَجِ الأَوَّلِ لبني عامر على بني حنيفة

ثم ذكر البلاذُرِيُّ يوم الفلج الأول، وأوردَ قَوْلَ الْقُحَيْفِ الْعُقَيْلِيِّ:

لَقَدْ جَمَعَ الْمُهَيْرُ لَنَا فَقُلْنَا ... أَلَسْنَا نَحْنُ عُرْضَتَنَا الْجُمُوْعُ؟[2]

ويضيف: ثم مات الْمُهير واستخلف عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدول، فاستعمل عبدُالله بنُ النعمان المندلِث[3] بنَ إدريس الحنفيَّ على الْفَلَجِ ، والْفَلَجُ قريةٌ من قرى بني عامر بن صعصعة - وقال عمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الْخَطَفَا: هي لبني نُمَيْر - فجمع له بنو

---

(١) لم يرد في مخطوطة «أنساب الأشراف» ما يتصل بهذه الحادثة.

(٢) البيت في «الأغاني» - ٢٤/٨٨ - ط. دار الكتب ونصه:

أَلحَسبنا تروِّعُنَا الجُمُوعُ ....

من قصيدة طويلة.

(٣) ورد هذا الاسم هكذا في كتاب البلاذري، وفي «الأغاني» - ٢٤/ ٨٨ - المندلف بالفاءوفي بعض مخطوطات «الأغاني» (المندلب) بالباء، و (المندلث) بالثاء مما يدل على الاختلاف في الاسم.

كعب بن ربيعة بن عامر، ومعهم بنو عُقَيْلٍ فأتوا الْفَلَجَ، فقاتلهم المندلِثُ بالْفَلَج فَقُتِل المندلثُ، قتله رَحَّال بن فَرْوَةَ القُشَيْرِيُّ وقُتِلَ أكثرُ أصحابه، وظَفِرَتْ بنو عامر، ولم يقتل منهم كثيرُ أَحَدٍ، وقتل يومئذ يَزِيْدُ بن المنتشر، وأُمُّه الطَّثْرِيَّةُ من طَثْرِ بن عَنْزِ بن وائل (١)، وكان معهم فقال القُحَيْفُ:

إنْ تَقْتُلُوا مِنَّا شَهِيْداً صَابِرَا ... فَقَدْ تَرَكْنَا مِنْكُمُ مُجَازِرَا

خَمْسِيْنَ لَمَّا يَدْخُلُوا الْمَقَابِرا

هذا كلام البلاذُري، أما صاحب «الأغاني» فقد ذكر أَنَّ المُهَيْر بعث المُنْدَلِف ليأخذ صدقات بني كعب جميعاً وها هو نص كلامه قال (٢): وبعثَ المُهَيْر رَجُلاً من بني حنيفةَ يقال له المُنْدَلِف بن إدريس الحنفيّ إلى الفَلَج، وهو منزلٌ لبني جَعْدةَ، وأَمَرهُ أن يأخُذَ صَدَقاتِ بني كَعْبٍ جميعاً، فلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ أرسلُوا في أَطْرافهم يَسْتَصْرِخُون عليه، فأتاهم أَبُو لَطِيفَة بن مَسْلَمة العُقَيْليّ في عَالَمٍ من عُقَيْل فَقَتَلُوا المُنْدَلِف وصَلَبُوه، فقال القُحَيْف في ذالك:

أَتَانَا بِالْعَقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ ... فَحنَّ الْنَّبْعُ والأَسَلُ النِّهَالُ

وَحَالَفْنَا الْسُّيُوفَ وَمُضْمَرَاتٍ ... سواءٌ هُنَّ فِينا والعِيالُ

تَعَادَى شُزَّباً مِثْلَ السَّعَالِي ... وَمِن زُبَرِ الْحَدِيدِ لها نِعالُ (٣)

وقال أيضاً: ويروى لِنَجْدَة الْخَفَاجِيِّ:

لقد منع الفرائِضَ عن عُقَيْلٍ ... بِطَعْنٍ تحتَ أَلْوِيةٍ وَضَرْبِ

ترى مِنْهُ المُصَدِّق يومَ وَافَى ... أَطَلَّ على مَعَاشِرِه بِصَلْبِ

---

(١) يزيد بن الطثرية شاعر مشهور جمع شعره الدكتوران نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، ثم الدكتور ناصر بن سعد الرشيد.

(٢) ـ ٢٤/٨٨ ـ ط. الثقافة.

(٣) من قصيدة طويلة أورد منها ابن سلام في «طبقات الشعراء» ـ ١٨ بيتاً ـ وصاحب «المكاثرة» ثلاثة أبيات، وانظر «الأغاني».

ومما ينبغي أن يلاحظ هُنَا: أن الْفَلَجَ منطقة واسِعَةٌ وليست قرية، بل فيه قرى كثيرة، وهو ما يعرف الآن باسم (الْأَفْلَاج) وقول عمارة بن عقيل أن الفلج لبني نُمَيْرٍ غير صحيح، فالفلج لبني قشير وجعدة[1] وغيرهما من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وبنو نمير بن عامر بن صعصعة من أبناء عمومتهم، وقد فَصَّلَ صاحب كتاب «الأغاني»[2] خبر هذه الوقعة بما نصه: وجاءَتْ حنيفةُ غازِيَةً كَعْباً لا تتعَدَّاها، حتى وقعتْ بالفَلَجِ، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنيفة يومئذٍ الْمُنْدَلِفُ، وجاء صَريخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفَة بن مُسْلِم الْعُقَيلِيّ وهو بالعقيق أميرٌ عليها، فضاق بالرسول ذَرْعاً، وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيْلٍ يَسْتَمِدُّهَا، فأتته رَبِيْعَةُ بن عُقَيْلٍ وقُشَيْرُ بن كعبٍ، والْحَرِيْش بنُ كَعْبٍ وأَفْنَاءُ خَفَاجة، وجاش إليه الناس، فقال: إنِّي قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيْءَ ونَعْلَمَ ما تُشِيرُ به. قال أبو الجَرَّاح: فأصبح صُبْحَ ثَالِثَةٍ على فرس له يَهتِفُ: أعزَّ اللّهُ نصركُمْ، وأمتَعَنا بِكم! انْصَرِفُوا راشِدِيْنَ، فلم يكُنْ بأْسٌ! فانصرف الناسُ، وصار في بني عمِّه ورهْطِه دِنْيَةً، وإنما فعل ذالك لتكون له السُّمْعَةُ والذِّكْرُ. فكان فيمن سار معه القُحَيْفُ بنَ خُمَيْرٍ وَيزيد بن الطَّثْرِيَّةِ الشاعِران، فساروا حتى واجهوا القوم، فواقعوهم، فقتلوا الْمُنْدَلِفَ رموه في عينه، وَسَبَوْا وأَسَرُوْا ومثَّلُوا بهِمْ وقطعوا أيدي اثنين منهم، وأرسلوهما إلى اليمامة، وصنعوا ما أرادوا. ولم يُقْتَلُ ممن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يَزِيدَ بنُ الطَّثْرِيَّهِ نَشِبَ ثوْبُهُ في جِذْلٍ من عُشَرَةٍ فانقلب، وَخَبَطَهُ القومُ فقُتِل. فقال القُحَيْف[3] يرثيه:

أَلَا تَبْكِي سَرَاةُ بِني قُشَيْرٍ عَلَى صِنْدِيْدِهَا وعلى فَتَاهَا

(١) وقد نص صاحب «الأغاني» ـ ٢٤/٨٨ ـ ط. دار الكتب ـ بأن المندلف أتى إلى الفلج وهو منزل لبني جعدة.

(٢) ـ ٨/١٣٨ ـ ط. الثقافة.

(٣) القُحَيْف العقيلي شاعر اسلامي مشهور أورد صاحب «الأغاني» أخباره ـ ٢٤/٨٣ ـ ط. دار الكتب وما بعدها وشعره مجموع في ديوان صغير وانظر عنه «العرب» ـ ص ١ ص ٤٠٦ ـ وما بعدها.

فَـإِنْ يُقتَـلْ يَـزِيـدُ فقَـدْ قَتَلْنـا سَـرَاتَهُمُ الْكُهُـوْلَ عَـلَى لِحَـاهَـا
أَبَـا الْمَكْشُـوْحِ بَعْـدَكَ مَنْ يُحامِي وَمَن يُـزْجِي الْمَطِيَّ عَـلَى وجَـاهـا

يوم الْفَلَجِ الثاني لبني حنيفة على بني عامر

وقـال البلاذُرِيُّ عن يـوم الْفَلَجِ الثاني: لمـا أتى عبدَالله بنَ النعمـان خليفـةَ المُهَيْر قَتْلُ المندلث جمع جميعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكني اليمامة، فغزا الفَلَجَ، فلما تصافَّ الناس انهزم أبو لَطِيفة بن مسلم الْعُقَيْلِيِّ فقال الراجز:

فَـرَّ أَبـوُ لَـطِيْـفَـةَ الْمُـنَـافِـقْ وَالْجَـعْـوَنِـيَّـانِ وَفَـرَّ طَـارِقْ
لَمَّـا أَحَـاطَـتْ بِهِـمُ الْـبـوَارِقْ وَالْمَـوْتُ حَيْث انْجَـرَّتِ الْخَـوَافِقْ

طارق هو ابن عبدالله القُشَيْرِيُّ والْجَعْوَنِيَّانِ من بني قُشَيْرٍ.

وتجلَّلَت بنو جَعْدَة الْبَـرَاذِعَ، وقاتلوا حتى قُتِلوا إلَّا نفَـراً منهم، وقُطِعَتْ يَـدُ زِيَادِ بن حِبَّانَ الْجَعْدِيُّ فجعل يقول:

أَنْـشُـدُ كفًّـا ذَهَـبَتْ وَسَـاعِـداً أَنْـشُـدُهـا ولاَ أَرَانِي وَاجِـداً

ثم قُتِل، وقال الإِسْوار بن عَمْرٍو مولى بني هِزَّانَ:

سَلُوْا الْفَلَجَ الْعَـادِيَّ عَنَّـا وعَنْـكُمُ وأُكْمَـةَ إذْ سَـالَتْ مَـدَافِعُهَـا دَمَـا
عَشِيَّـةَ لَـوْ شِئْنَـا سَبَيْنَـا نِسَـاءَكُمْ وَلٰكِنْ صَفَحْنَـا عِفَّـةً وتَـكَـرُّمَـا

وقال بعض الربيعيين:

سَمَـوْنَا لِكَعْبٍ بِـالصِّفَاحِ وَبِـالقَنَـا وَبالْخَيْلِ شُعْثـاً تَنْتَحِي في الشَّكَائِمِ
فَـمَا غَابَ قَـرْنُ الشَّمْسِ حَتَّىٰ رَأَيْتَنَا نَسُـوْقُ بَنِي كَعْبٍ كَسَـوْقِ الْبَهَـائِمِ

بِضَـرْبٍ يُزِيْـلُ الْهَـامَ عَنْ سَكَنَـاتِـهِ وَطَعْنٍ كَـأَفْـواهِ الْمَـزَادِ الثَّـوَاجِمِ
وَفَـرَّ أَبُـوكِ يَـالَـطِيْفَـةُ هَـارِبـاً وَلَمْ يَنْـجُ مِنْ أَسْيَـافِنَـا وَهْـوَ سَـالِمُ

ويفهم مما تقدم من أن الوقعة حدثت في قَرْيَة لجعدة ـ كَمَا هو نصُّ صاحبِ «الأغاني» ـ وأن تلك القرية هي التي كان يقع فيها سوق الفلج ، الذي وصفه الهمداني بقوله : سوق الفلج لجعدة الذي تَسَوَّقُهُ نزار واليمن، وسوق الفلج عليها أبواب الحديد، وسمك سورها ثلاثون ذراعاً، ويحيط به الخندق، إلى آخر ما ذكر من وصفه لذلك السوق [1] . وقال صاحب كتاب «بلاد العرب»[2]: سوق الفَلَجِ ببطحاء وادٍ يسمى وادي أُكْمَةَ، واسم الوادي كُرْز، والسوق مدينة عظيمة. انتهى. وأكمة هذه لا تعرف بهذا الاسم، ويبدو أنها كانت في أعلى الوادي المعروف باسم (كُرْز) وهو أكبر روافد وادي الأَحْمَر الذي تسمى به قرية الأَحْمَر المعروفة، وقد درست القرية. كما درس ذالك السوق وليس موقع السوق بعيداً عن موقع بلدة لَيْلَى قاعدة الأَفلاج بقرب خط الطول: (٤٥'/٤٦°) وخط العرض ١٥'/٢٢°) ومنطقة الأَفلاج منطقة واسعة تقع بين خطي العرض: (٠٠'/٢٣° و ٣٠'/٢١° وبين خطي الطول ١٥'/٤٦° و ٠٠'/٤٧°).

---

(١) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٣٠٥ ـ ط. دار اليمامة.
(٢) ـ ص ٢٢٣ ـ.

يــوم النَشّــاش لبني عامر على بني حنيفة

قال عنه البلاذري قالوا: ولما أُوْقِعَ بالعامريِّيْنَ يوم الفَلَجِ الثاني قال عُمَرُ بن الوازع الحنفي[1]: لست بدون عبدالله بن النعمان وغيره، ممن يُغِيْرُ، وهذه أيام فتـرة يُؤْمَنُ فيها السلطان، فمضى يـريـد أُضَـاخَ فَلَمَّا كـان بـأرض الشُّـرَيْفِ بثَّ خيلَهُ، فـأغارت وأغـار، فملأ يـده من الغنـائم، وأقبـل ومن مَعَـهُ حتى نَـزَلُـوا النَّشَّاشَ، وأقبلت بنو عامر حـاشدةً، حتى أَغـارَتْ فلم يَرُعْ عمـرَ بْنَ الوازع إلاَّ رغـاءُ الإبل، فجمـع ابنُ الوازع النسـاءَ في فُسْطَاطٍ وجعـل عليهن حَـرَسـاً من ثقاته، وَلَقِيَ القوم فقاتلهم، فَهُزِمَت حنيفةُ ومن معها وهرب ابنُ الـوازع فلحق باليمامة، وتساقط منهم خلقٌ في قُلُبِ النَّشَّاشِ من العَطش وشدَّةِ الحرِّ، فَـطُلِبَ ابْنَ الوازع فلم يُقْدَرْ عليه وَرَجَعُوا بالأسرى والنساءِ.

وأضـاف البلاذري[2]: وكفت قيس يـوم النشـاش عن السلب، فجـاءت عكل من الْحَلَّة فسلبتهم فقال بعض بني نمير:

إذَا عُــدَّ الْفَعَـالُ وَجَــدتَّ قَــوْمِي ... نُمَيْــراً بَــذَّ فِعْـلُهُمُ الْـفَعَــالاَ
هُــمُ قتلوا الْبُـهِيْـمَ بِهَــا وجَــوْنـاً ... عَــلاَنِيَــةً وَمَــا قَتَـلاَ اغْـتِيَــالاَ

---

(١) كذا ورد الاسم عمر بن الوازع، وفي كتاب «من اسمه عمرو من الشعراء» ـ ص ٥٥ ـ (عمرو بن الوازع الحنفي) صاحب يوم النشاش على بني تميم هو الذي يقول:

أجــــد بسعدى الســـير اذ بِتُّمَــــا بها ... وقـــولا لسعدى لانميـــر ابن عامـــر
فقد بدلـــــت ركبـــا حثاثــــا بأهلها ... ومن كنــــــها في الستر سير الهواجــــر
إذا نحـــــن شئنا زوجتنا رماحنــــــا ... كما زوجتنا من بنــــــات المهاجــــر

وفي «معجم الشعراء» للمرزباني: عمرو بن الذراع الحنفي، وكان يوم النشاش على بني نمير، ثم أورد الشعر، وأرى هنا خطأين (الذراع) صوابه (الوازع) والنشاش على بني حنيفة لبني نمير، وأما الصواب في اسم الشاعر فهو (عُمَـر) لا (عَمْرو) كما ورد مكررا في الرجز الذي أورده الْبلاذُرِي.

(٢) «أنساب الأشراف» ـ ٥٩٨ ـ المخطوطة الدمشقية.

بَهِيْمُ بن عزّة، وقال حُدَيْجُ النُّمَيْرِيُّ :

كَـأَنَّ أَبَـانَـا عَـامِـراً لَمْ يَلِدْ لَنَـا | أخاً غيرَ نَصْلِ السَّيْفِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
فَنَحْنُ نُـدَاوِيْ بِـالْقنـا صَفَحَـاتِهِمْ | وَبِـالْبِيْضِ نُخْلِيْهَـا مَنَاطَ الْقَـلَايِـدِ

وقال دَلَمُ بنُ صَامتٍ النُّمَيْرِيُّ :

أَنَـا النُّمَيْـرِيُّ الَّـذِي يَحْمِـي مُضَرْ | يَـرْفَـعُ مِنْ أَبْصَـارِهِمْ فَـوْقَ الْبَصَرْ
مُبَـارَكُ الـرَّايَـةِ مَـرْزُوْقُ الـظَّفَـرْ | إِنَّ الْيَمَـامِيِّـيْنَ فُـرْسَـانُ الْحُمُـرْ
لَمْ يَصْبِـرُوْا لِلْمَشْـرَفِيَّـاتِ الْبُـتَرْ | وَالـطَّعْنِ بِـالْمُـرَّانِ أَجْـوَافَ الْبُهَـرْ
لَمَّا ضَـرَبْنَـاهُمْ بِـصَيَّـاحٍ ذَكَـرْ | طَـايَـرَ عَنْـهُ الْقَيْنُ شَـذَّانَ الشَّـرَرْ

وقال القُحَيْف أيضاً[1] :

وَبِـالـنَّشَّـاشِ يَـوْمُ طَـارَ فِيْـهِ | لَـنَـا ذِكْـرٌ وَعُـدَّ لَنَـا فَـعَـالُ

وقال أيضاً :

فِـدَاءُ خَـالَـتِيْ لِبَـنِيْ عُـقَـيْـلٍ | وَكَـعْـبٍ حِـيْنَ تَـزْدَحِمُ الْجُـدُوْدُ
وَهُمْ تَرَكُوا عَـلَى النَّشَّاشِ صَـرْعَى | بِـضَـرْبٍ ثَـمَّ أَهْـوَنُـهُ شَـدِيْـدُ

وقال حُصَيْنٌ النُّمَيْرِي :

يَـادَارَ جُمْـلٍ بِـلوَى مُـتَـالِـعْ | كَـأَنَّهَا بَعْـدَ الْجَمِيْـعِ الـرَّابِـعْ
سَحْقَ يَمَـانٍ بَعْـدَ لَـوْنٍ نَـاصِـعْ | اللّهُ لَـقَّـى عُـمَـرَ بْـنَ الْـوَازِعْ
دَائِـرَةَ السُّـوْءِ بِفَجْـعٍ فَـاجِـعْ | لَمَّـا لَقُـوا مَـا خَلْفَـهُ الـطَّلَائِـعْ

وَلَّـوْا شِـلَالاً كَالنَّعَـامِ الْفَـازِعْ

---

(١) من قصيدته اللاّمية التي سبقت الاشارة إليها في يوم الفلج، وقد أورده صاحب «المكاثرة» ـ ٥٧ ـ مع بيتين آخرين.

وقال بَعْضُ بَنِي نُمَيْرٍ:

فَلَيْتَ ابْنَ المُهَيْرِ رآى نُمَيْراً ... بِنَشَّاشٍ تُوَاجِهُنَا النَّخِيْلُ
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيْضٌ رِقَاقٌ ... صَوَارِمُ مَا يَقُوْمُ لَهَا قَبِيْلُ
غَزَا يَرْجُو الْغَنِيْمَةَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلَمْ يَغْنَمْ وَأَعْجَزَهُ الْقُفُوْلُ

وقال القُحَيْفُ العُقَيْلِي:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا قُرَيْشاً رِسَالَةً ... وَأَفْنَاءَ قَيْسٍ حَيْثُ سَارَتْ وَحلَّتِ
بِأَنَّا تَرَكْنَا مِنْ حَنِيْفَةَ بَعْدَمَا ... أَغَارَتْ على أَهْلِ الحِمَى ثُمَّ وَلَّتِ
تَشُكُّ نُمَيْرٌ بِالْقَنَا صَفَحَاتِهِم ... فَكَمْ ثَمَّ مِنْ نَذْرٍ لَهَا قَدْ أَحَلَّتِ

في أبيات:

وقال سعد بن حَيَّاشٍ الْغَنَوِيُّ:

نَحْنُ صَبَحْنَا عُمَرَ بْنَ الْوَازِعْ ... مَلْمُوْمَةً ذَاتَ غُبَارٍ سَاطِعْ
بَاكَرَهُ الْوِرْدُ بِمَوْتٍ نَاقِعْ ... تَحْتَ ظِلَالِ الخِرَقِ اللَّوَامِعْ

وقال القُحَيْفُ:

تَرَكْنَا عَلَى النَّشَّاشِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... بُطُونَ السِّبَاعِ الْعَاوِيَاتِ قُبُورها
قَتَلْنَاهُمُ حَتَّى رَفَعْنَا أَكُفَّنَا ... بِمَشْهُورَةٍ بِيْضٍ حِدَادٍ ذُكُوْرُهَا
وَشَيْبَانُ قَدْ كَانَتْ لِحَيْنٍ وَشَقْوَةٍ ... كَبَاحِثَةٍ عَنْ شَفْرَةٍ تَسْتَثِيْرُهَا

قالوا: وَكَفَّتْ قَيْسٌ يوم النَّشَّاشِ عن السَّلَبِ، فَجَاءَتْ عكل من الحَلَّةِ فَسَلَبَتْهُمْ. وقد أورد ابن الأثيرِ وابنُ خلدون ملخص ما قال البلاذري.

وليوم النَّشَّاشِ هذا ذكر كثير في كتب الأدب وغيرها، وقال ياقوت في «معجم البلدان»: النَّشَّاش وادٍ كثيرُ الحمْضِ كانت فيه وقعة بين بني عامر وبين

أهل اليمامة قال:

وَبِالنَّشَّاشِ مَقْتَلَةٌ سَتَبْقَى — عَلَى النَّشَّاشِ مَا بَقِيَ اللَّيَالِي

وقال القُحَيْفُ العُقَيْلِيُّ:

تَرَكْنَا عَلَى النَّشَّاشِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ — وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهَا السُّيُوفُ وَعَلَّتِ

وقال في رسم (جُمْرَانَ): جُمْرَانُ جبلٌ مَرَّتْ به بنو حَنِيفةَ منهزِمين، يوم النَّشَّاشِ، في وقعةٍ كانت بينهم وبين بني عُقَيْلٍ فقال شاعرهم:

وَلَوْ سُئِلَتْ عَنَّا حَنِيفَةُ أَخْبَرَتْ — بِمَا لَقِيَتْ مِنَّا بِجُمْرَانَ صِيدُهَا

والمواضع الواردة في خبر يوم النَّشَّاشِ كلها متقاربة، تقع في أسفل ما كان يعرف قديماً باسم الشُّرَيْفِ شرق وادي الرشاء (التسرير قديماً) الذي يفصل بين الشَّرف والشُّرَيْف، فما غربه يعرف باسم الشَّرَفِ، وما شرقه يعرف باسم الشُّرَيْف، وذالك أعلى منطقة السِّرّ، فالنَّشَّاشُ وادٍ فيه منهل يقع غرب صفراء السِّرِّ المعروفة قديماً باسم (الْحَلَّة) بفتح الحاء واللام المشددة، (بقرب خط الطول: ٨′/٤٤° وخط العرض: ٢٥′/٢٤°) بقرب هِجرة عَرِجَة، وجُمْرَانُ جبل تتخلله شعابٌ فيها ماء، يقع بقرب هجرة عَرِجة أيضاً (بقرب خط الطول: ١٢′/٤٤° وخط العرض: ٤٣′/٢٤°) وكل تلك المواضع غَرْبَ صفراء السِّرّ الواقعة (بقرب خط الطول: ٢٠′/٤٤° وخط العرض: ٢٥′/٢٥°)، ويبدو أن بني حنيفة أرادو الالتجاء إلى جبل جُمْرَانَ، لأنه لا يقع في طريق انهزامهم من النَّشَّاشِ إلى اليمامة، إذْ هو يقع بالنسبة إلى موقع النَّشَّاشِ في الشمال، واتجاههم ينبغي أن يكون شرقاً.

يوم معدن الصحراء لبني عامر على بني حنيفة

قال البلاذري عن هذا اليوم: وأغارت بنو عُقَيْل وقُشَيْر وجَعْدَة بنو كَعْب ونُمَيْر بن عامر، بعد الفلج الثاني، وقد تجمعوا وعليهم أبو سهلة النُّمْيري على من كان من بني حَنِيْفَة بمعدِن الصحراء، فقتلوا من وَجَدُوْا من بني حنيفة، وسلبوا نساءَهمْ، وكَفَّتْ بَنُو نُمَيْر عن النساء، غير أَنَّ رباحَ بن جَنْدَل بن الرَّاعِي سَبَى امرأة واحدةً مُخَصَّلَةً بخِصَلِ الْفِضَّةِ فقال القُحَيْفُ:

وَرِثْنَا أَبَانَا عَامِراً مَشْرَفِيَّةً ... صَفَائِحَ فِيْهَا الْيَوْمَ أَنْصَافُ مَائِهَا
ضَرَبْنَا بِهَا أَعْنَاقَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... جِهَاراً وَجَاوَزْنَا بِهَا مِنْ وَرَائِهَا

وقد نقل ابنُ الأثير ما تقدم عن البلاذُرِيِّ مع حذف يسير لبعض الشعر[١]. ومعدِنُ الصَّحْرَاء هذا الذي حدثتْ فيه الوقعة هو معدن الْبُرْمِ، ومعدن أُضَاخ لِأَنَّ القُحَيْف العُقَيْلِي قال عنه[٢]:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِيٍّ قُرَيْشاً رِسَالَةً ... وأَفْنَاءَ قَيْسٍ حَيْثُ سَارَتْ وحَلَّتِ
بِأَنَّا تَلَافَيْنَا حَنِيْفَةَ بَعْدَمَا ... أَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الْحِمَى ثُمَّ وَلَّتِ
لَقَدْ نَزَلَتْ فِي مَعْدِنِ الْبُرْمِ نَزْلَةً ... فَلأْياً بِلأْيٍ مِنْ أُضَاخَ اسْتَقَلَّتِ

والقُحَيْفُ قد شارك في الحوادث التي وقعت بين قومه بني عامر وبين بني حنيفة، وأُضَاخُ بلدة لا تزال معروفة، وكانت قديماً من بلاد بني نُمَيْر، وفيها مِنْبَرٌ[٣]، أي أنها كانت بلدة كبيرة يُجَمَّعُ فيها، ولها إمارة، وآثار البلدة القديمة لا تزال بادية فيما بين البلدة الحديثة وبين بلدة الأَثْلَةِ التي قد تكون قديماً متصلة بها، وكان في أُضاخ معدنٌ تصنع من أحجاره ومن طينه (الْبُرْمُ) جمع بُرْمَةٍ وهي

---

(١) «الكامل» - ٤/٢٧٣ -.
(٢) «معجم البلدان» رسم (البُرم).
(٣) «المناسك» - ص ٦١٨ -.

الأواني المستعملة للطبخ وغيره، ولهذا كان سكانه الأقدمون يُغْمَـزُوْنَ بامتهـانهم تلك الصناعة [1]، التي بقيت معروفة إلى عهدنا [2].

تقع بلـدةُ أضاخ في الشمال الشرقيِّ من بلدة نَفْيٍ (نَفْـءٍ) على نحو ثلاثين كيلاً، وهي تابعة لإمارة الدوادمي وتبعد عنها شمالاً نحو مئة كيل (أضاخ بقـرب خط الطول ٥٥'/٤٣° وخط العرض ١٥'/٢٥°).

ولا تزال صناعة البُرْمِ باديةً في تلك الجهات، غرب بلدة أُضاخ، فيما بينـه وبين مكان يدعى (وضخا) ويلاحظ أن القرية المعروفة الآن هي على مقـربة من موقع البلدة القديمة، التي ذكر صاحب كتاب «المناسك» أنها ذات منبر، أي على درجة من الكبر، بحيث أن لها إمارة وأن الجمعة تصلى في جامعها.

ويبدو أن بني حنيفة ـ ومعروف قدم تحضـرهم ـ كانـوا يشتغلون في التعدين في عصورٍ متقدمة، كما يـدل على هـذا عملهم في معدن أضـاخ المعروف بمعـدن الصحراء.

وليس من المستبعد بروز بعض الآثار بموقع التعدين القـديم، فيما لـو قامت إحدى الفرق المعنية بالتنقيب عن الآثار، بالبحث والتنقيب في تلك الجهة.

---

(١) انظر «الأغاني» ـ ٣/١٥٣ ـ.

(٢) انظر وصفها في كتاب «عاليةُ نجد» من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية.

يــوم حَلَبَانَ لحنيفة على قشير من بني عامر وعُكْل

قـال البلاذُرِيُّ بعـد ذكر يـوم النَّشَّاش[1]: ولم يكن لحنيفـة بعد هـذا اليوم جَمْعٌ، غير أن عبيدالله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار عـلى ماء لِقُشَـيْر يقال لـه حَلَبَان فقال الشاعر:

لَقَـدْ لاَقَتْ قُشَـيْرٌ يَـوْمَ لاَقَـتْ عُبَيْـدَ اللّهِ إِحْـدَى الْمُنْكَـرَاتِ
لَقَـدْ لاَقَتْ عَـلَى حَلَبَـانَ لَيْثـاً هِـزَبْـراً لاَ يَـنَـامُ عَـلَى التِّـرَاتِ

وأغار على عُكْلٍ فقتل منهم عشرين رجلاً فقال نُوْحُ بن جَرير بن عطية:

وَضَيَّعْتُمْ يـاعُكْـلُ بِـالسِّرِّ نِسْـوَةً فَبَاتَتْ عُلُوْجُ الْقَرْيَتَـيْنِ تَكُـوْمُهَـا

ثم ذكر قدوم المثنَّى بن يزيد بن عمـر بن هُبيرة واليـاً على اليمـامة ومـا فعل ببني حنيفــة، وأن البــلاد هــدأَتْ وسكنتْ، وأن عبيــدالله بن مسلم الحنفـي استَخْفَى حَتَّى قدم السَّرِيُّ بنُ عبدالله والِياً عـلى اليمامـة من قبل بني العبـاس، فَدُلَّ عليه فقتله لِمَا صَنَع، فقال نوح بن جرير:

فَلَوْلاَ السَّـرِيُّ الْهَـاشِمِيُّ وَسَيْفُـهُ أَعـادَ عُبَيْـدُ اللّهِ شَـرًّا عَـلَىَ عُكْـلِ

ولم يأْتِ ابن الأثير في تاريخه بزيادة على ما أورد البلاذُرِيِّ عن تلك الوقعات التي تقدم ذكرها.

وحَلَبَانُ كان من أشهر المناهل المعروفة غرب إقْلِيْم عِـرْض شَمَام (عِـرْضِ القُوَيْعِيَّةِ) وقد أُنْشِئَتْ فيه في عهد متأخر هِجرةٌ للشَّيَابِيْنِ، من عُتَيْبَةَ تابعـةِ لإمارة الخاصِرَةِ إحدى إمارات منطقة الـرياض (ويقـع حَلَبَانُ هـذا بقرب خَطِّ الـطول ٤٣َ/٤٤° ويقرب خط العرض ٢٩َ/٣٠°).

(١) «أنساب الأشراف» ـ ص ٥٩٨ ـ مصورة المخطوطة الدمشقية.

وحَلَبَان ذكر في تاريخ العرب القديم، فقد قام أَبْرهةُ الأشرم صاحب الفيل بحملة على قبيلة مَعَدٍّ ساعَدَهُ فيها قبائل من العرب، من كِنْدة وبني سعد من تميم وغيرهم، فأوقع ببني عامر، وقتل فيهم، وأصاب منهم مغانم كثيرة، واستولى الملك الأشرم نفسه على حَلَبَان، فاستسلمت له مَعَدٌّ وقدَّمَتْ له الرهائن، واستخلف عليهم عَمْرَو بنَ المنذر، بعد أن قدَّم هذا ابنه رهينة، ورد ذكر خبر هذه الحادثة في نَقْشٍ يمني قديم[1]، ويرجع تاريخ هذا النقش إلى سنة (٥٤٧ م)[2].

وذكر هذه الوقعةَ بعضُ الشعراء منهم المخبَّلُ السعدي التميمي الذي قال مفتخراً بنصرة قومه أبرهة:

ضَرَبُوا لِأَبْرَهَةَ الأُمُوْرَ مَحَلُّهَا   حَلَبَانُ فَانْطَلَقُوْا مَعَ الأَقْوَالِ

وقال جَرِير:

لِلّهِ دَرُّ يَزِيْدَ يَوْمَ دَعَاكُمُ   وَالْخَيْلُ مُجْلِبَةٌ عَلَى حَلَبَانِ

---

(١) (ركمانز ٥٠٦) على ما جاء في كتاب «تاريخ اليمن القديم» تأليف محمد بافقيه - ص ١٢٦ -.

(٢) «المفصل في تاريخ العرب» - ٤٩٥/٣ -.

وانفرط عقد الأمن في البلاد
طيلة اثني عشر قرناً

ليس قـول البلاذُرِي ـ ومن أخـذ به ـ عنـدما ذكـر ولاية المثنًّى بن يـزيد بن عمـر بن هُبَيْرة عـلى البلاد في آخـر العهـد الأمـوي ونصـه[١]: فهـدأت البـلاد وسكنت. ليس هذا القول على إطلاقه، فقد يكون الهدوء شمل قاعـدة البلاد، وَمَا للدولة سيطرة ونفوذ فيه من الأجزاء كطريق الحج مثلاً.

وفي أول العهـد العباسي إبَّـانَ قوة الـدولة، ولِّيَ عـلى البلاد رجـل من بيت الخـلافة والحكم، هـو السَّرِيُّ بن عبـدالله الهاشمي الـذي مكث في عمله عشر سنوات يبدو أن الهدوء كان شاملاً طيلة القرن الثاني الهجري حيث كانت الدولة العباسية في عنفوان قوتها، أما بعد أن بدأ الضعف يتخللها فإن الحـالة في البـلاد النائية عن مقر الخلافة عمتها الاضطرابات مما ليس هذا محل تفصيله.

وأَمَّا ما أشار إليه البـلاذري ومن جاء بعـده من الأيام التي حـدثت بين الحنفيـين وبـين جيرانهم، فليس خـاصًّا بهـاؤلاء وحدهم، وإنمـا ذُكِـرَ لكـون البـلاد هي القاعدة، أما القبائل الأخرى المنتشـرة بعيدةً عنهـا فقد أهمـل المؤرخون شـأنها، ولا شك أنه قد وقع بينها من الاختلاف ما هو أعم وأشمـل، وقد ألمح الهجريُّ في كتـابه «التعليقـات والنوادر» إلى بعض أيـام حدثت بـين القبـائـل، ولم يحـدد ازمانها كـ (يوم أنف)[٢] بـين هذيـل وبني سُلَيْم، كما أشـار إليه صـاحب «شرح أشعار الهذليـين» ويوم لَسْلَسَـان بين بني سُلَيْم وبني عـامر وهـو يوم الغيـامة[٣]، ويوم مُرَامِـرَات بين بني سُلَيْم وغـطَفَان، ولا شـك من حدوث فتن وحـروب في أيامٍ أخرى، لم يرد ذكرهـا لإهمال قـدماء المؤرخـين كل مـا يتعلق بهذه البـلاد،

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ ص ٥٩٨ ـ المخطوطة الدمشقية.
(٢) ـ ١٧٦ ـ المخطوطة الهندية.
(٣) ـ ٣٠٠ ـ المخطوطة المصرية.

ولغلبة الجهل على أهلها، وانتشار الفوضى، وانعدام الأمن بينهم.

حقّاً لقد انفرط عقد الأمن في آخر العهد الأمويِّ، فعمت الفوضى، وتحركت بواعث الفتنة، وثارت في النفوس الحزازات القديمة، وبعدما كان الأمر يكاد أن يكون محصوراً بين بني حنيفة وجيرانهم من العامريين، تحركت قبائل أخرى بدوافع العداء القديم، فدخلت فيه، فهذه قبيلة عُكْلٍ حين انتصر العامريون على الحنفيين في وقعة النشاش[1]، وعَزَفَ اولئك عن سلب المغلوبين، أقدمت عُكْلٌ على ذالك، ولا أستبعد أن يكون هذا بدافع العداء بين الحنفيين وبين بني تميم، وعُكْلٌ إحدى قبائل الرِّبَاب، ذات الصلة القوية ببني تميم بحيث أصبحت معدودة منهم كما قال ذو الرُّمَّةِ[2]:

يَعُدُّ النَّاسِبُوْنَ إِلَى تَمِيْمٍ ... بُيُوْتَ الْعِزِّ أَرْبَعَةً كِبَارا
يَعُدُّوْنَ الرِّبَابَ لَهَا وعَمْراً ... وَسَعْداً ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا

وبنو تميم كانوا جيران بنو حنيفة من الناحية الشمالية، حيث ينتشرون في إقليم سُدَيْر، وفي الناحية الشرقية مِنْ أسافل أودية جبل العارض التي تمتد فيها بلاد بني حنيفة، وبين القبيلتين من التنافر والعِداء قديماً ما لا تزال آثاره كامنةً في النفوس، أخفتها قوة الحكم الإسلامي في عهد الخلفاء الثلاثة، وفي صدر الدولة الأموية، وها هي تنبعث بضعف هذه الدولة، فتثور الحزازات، وتتحرك دوافع الحقد والبغضاء بين التميميين وجيرانهم فيما بعد، فتُشْعِل حرباً لم يعن المؤرخون القدماء بذكر شيءٍ عنها، ولكن شعر تلك الفترة أتى بإشارات موجزة إليها كقول

---

(١) وبلاد عكل كانت بقرب النشاش حيث تمتد من غرب الوشم حتى (الْخَلَّة) وهي صفراءُ السِّرِّ، المتصلة بمرتفعات النشاش شرقها وما حولها من المواضع.

(٢) ديوانه ١٣٧٧ ـ تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح.

عُبَيْدِ بن أيُّوب العنبريِّ التميمي متوعِّداً بني سُحَيم من بني حنيفة سكان وادي قُرَّان[1]:

لَقَدْ أَوْقَعَ الْبَقَّالُ بِـ (الْفَقْيِ) وَقْعَةً ... سَيَرْجِعُ إِنْ ثَابَتْ إِلَيْهِ جَلاَئِبُهْ
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً يَاابْنَ هَانِئٍ ... فَأَيَّامَئِذْ تُرْحَلْ لِحَرْبٍ نَجَائِبُهْ
وَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا ... بِقُرَّانَ يَوْمٌ لا تَوَارَى كَوَاكِبُهْ

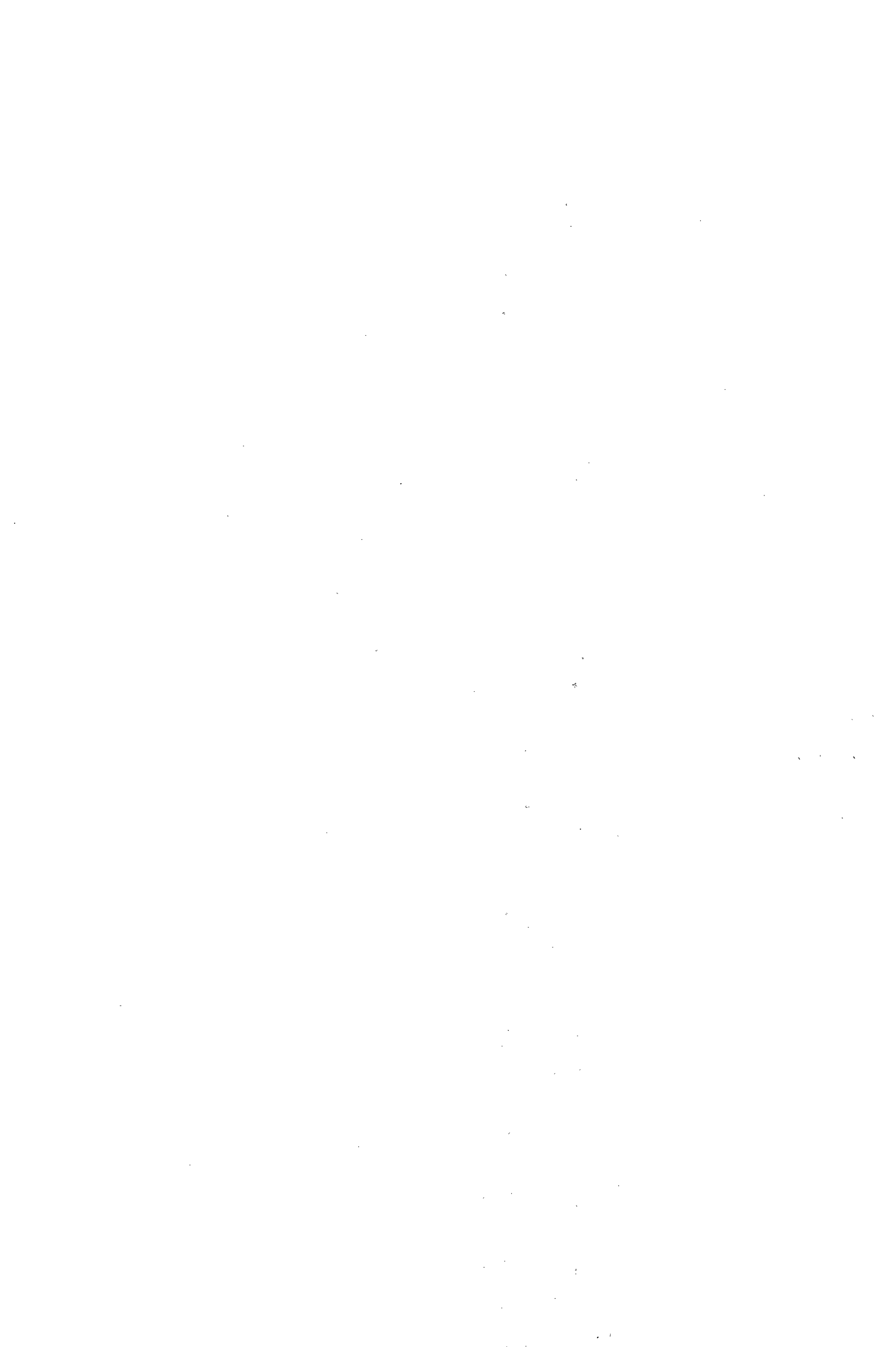
فرد عليه حَرْدَبَةُ بن أبي المزعوق من بني سُحَيْمٍ من بني حَنيفة:

تَمَنَّيْتَ طَوْداً مِنْ حَنِيْفَةَ شَامِخاً ... مَنِيْعَ الذُّرَى صَعْبٌ عَلَيْكَ مَوَاثِبُهْ
فَهَلاَّ غَدَاةً (الْفَقْيِ) إِنْ كُنْتَ صَادِقاً ... وَقَفْتَ وَبَطْنُ (الْفَقْيِ) تَجْرِي مَذَانِبُهْ
دَماً مِنْ حُصَيْنٍ أَمْطَرَتْهُ سُيُوفُنَا ... عَلَيْهِ فَهُوْ يَسْتَنُّ بِالْمَوْتِ حَاصِبُهْ

ولم تزل نيران تلك الفتن تتأجَّج، وتزداد اشتعالا حتى شملت قبائل الجزيرة، حيث انحسر نفوذ السلطة، وعمَّتِ الفوضى بضعف حكم الدولة العباسية، فحدثت وقائع أشبه بأيام العرب في الجاهلية، طيلة الفترة الواقعة فيما بين أول القرن الثالث الهجري حيث بدأ الضعف في تلك الدولة، وبين عهد استتباب الأمن في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ رحمه الله ـ لَـمَّا تمكن من توحيد أجزاء هذه البلاد، تحت اسم (المملكة العربية السعودية) عند منتصف القرن الرابع عشر، مما يتطلب التعمق في بحثه للتحدث عنه أسْفَارًا لا لمحات موجزة خصصت للحديث عن العهد الأموي.

---

(١) «التعليقات والنوادر» ـ ٣٠٠ ـ المخطوطة الهندية، و«معجم البلدان» رسم (الفقي).



١ـ المصورات الجغرافية (الخرائط)

٢ ـ مباحث الكتاب

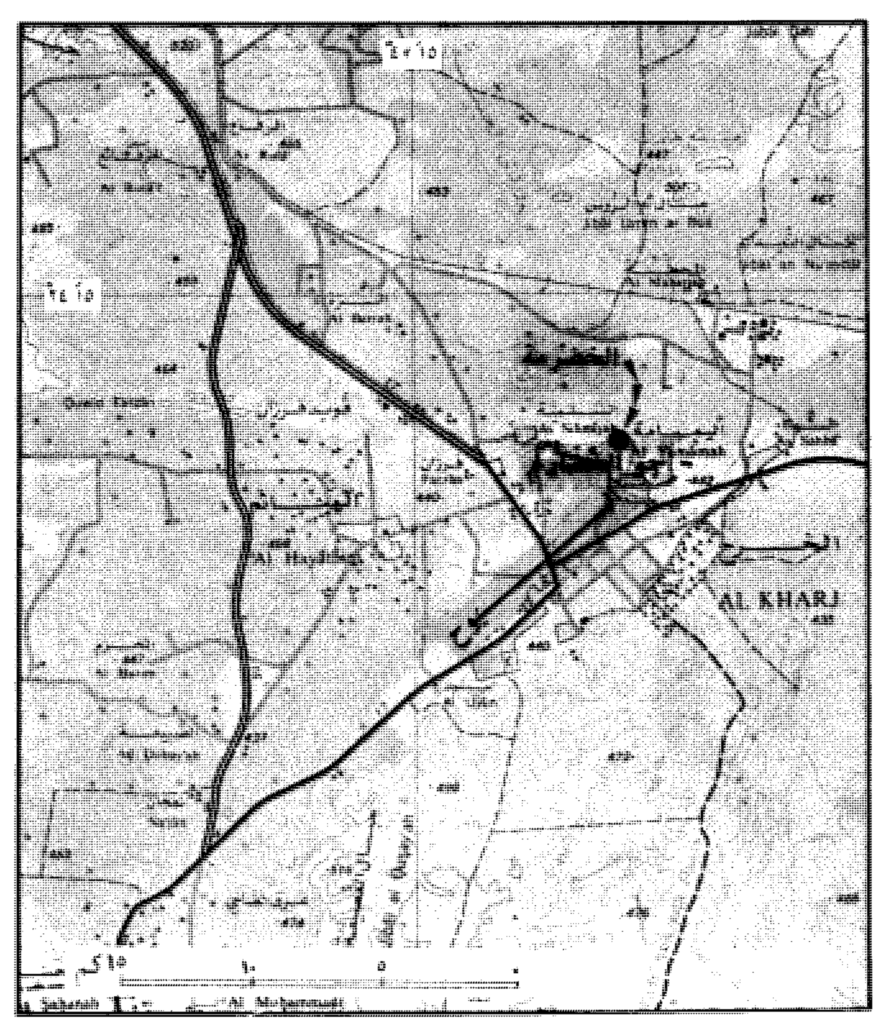
٣ ـ ولاة اليمامة

٤ ـ الفهارس (الأعلام ـ الأسر والقبائل ـ المواضع)

٥ ـ المصادر والمراجع

المصورات الجغرافية (الخرائط)

بلدة «الخضرمة» حيث هزم مسعود بن أبي زينب سنة ١٠٥ هـ

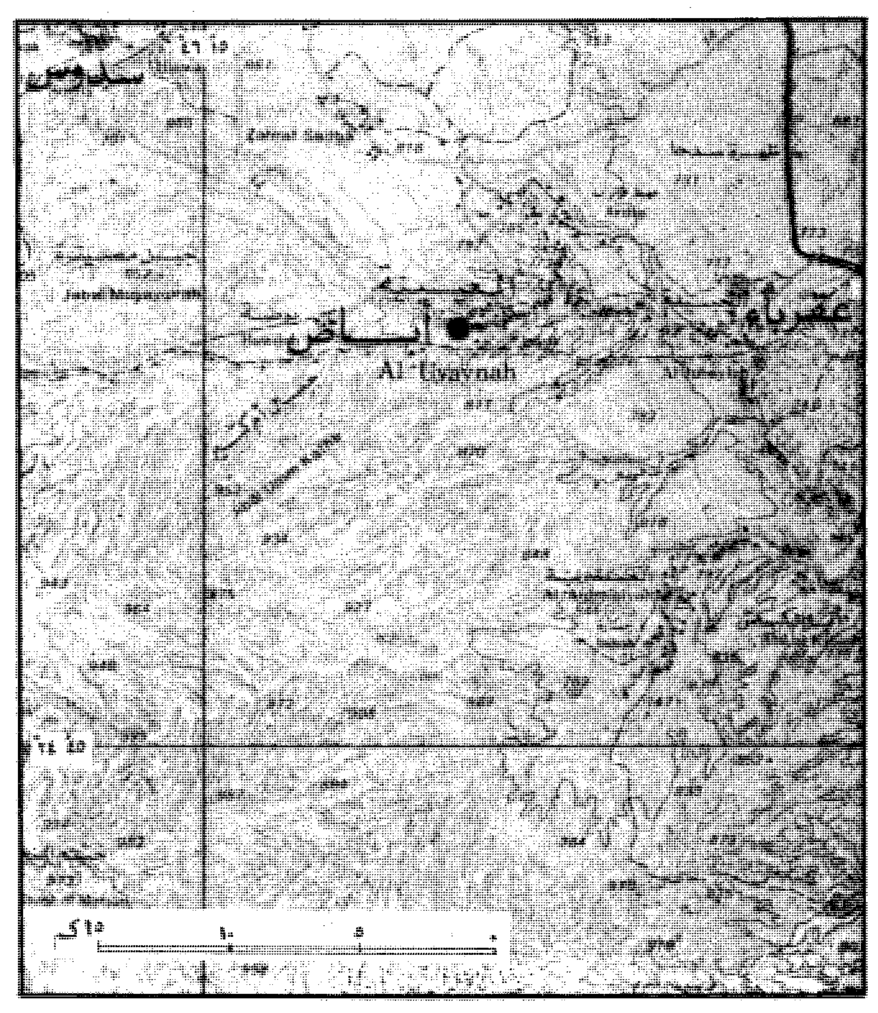


انظر الكلام على :

١ ـ ثورة أبي طالوت في الخرج واستقراره في الخضارم ص ٣٧

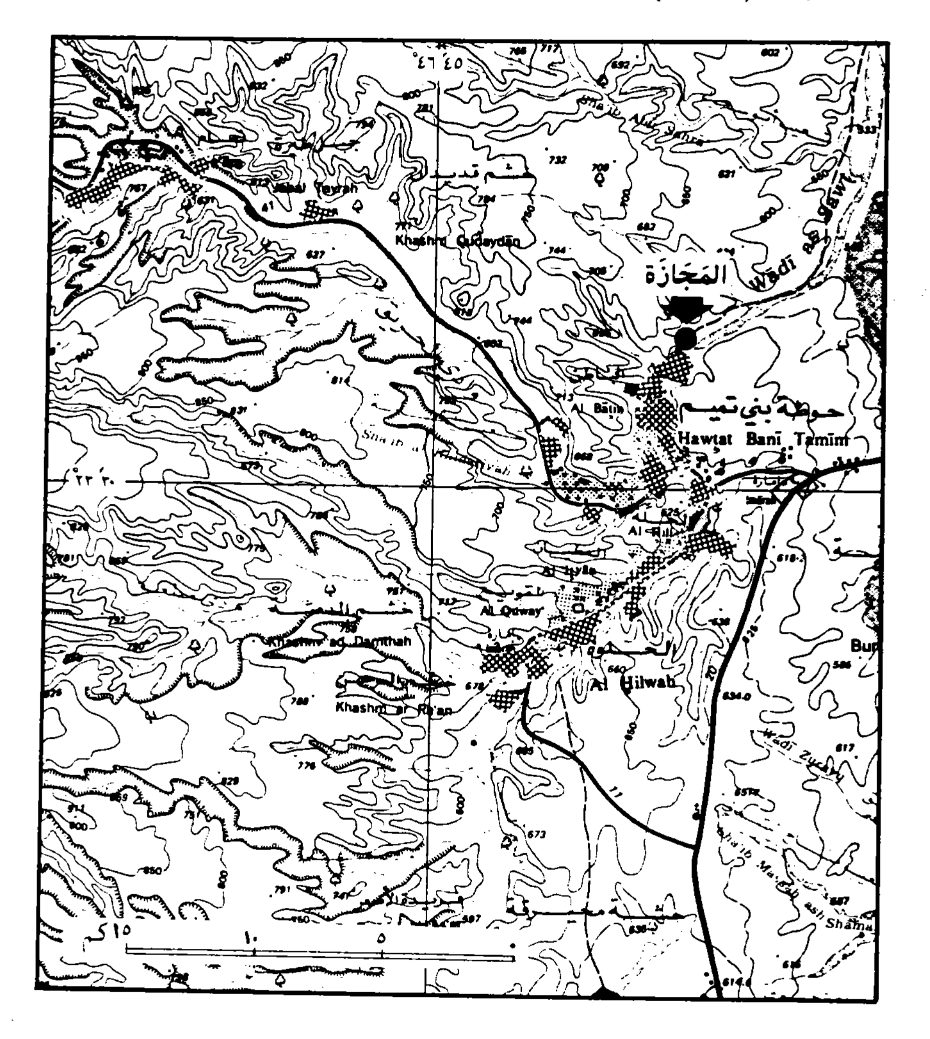
٢ ـ استيلاء نجدة بن عامر على الخضارم ص ٤٠

٣ ـ وقعة الخضرمة (الخضارم) حيث هزم مسعود بن أبي زينب ص ١٩٠

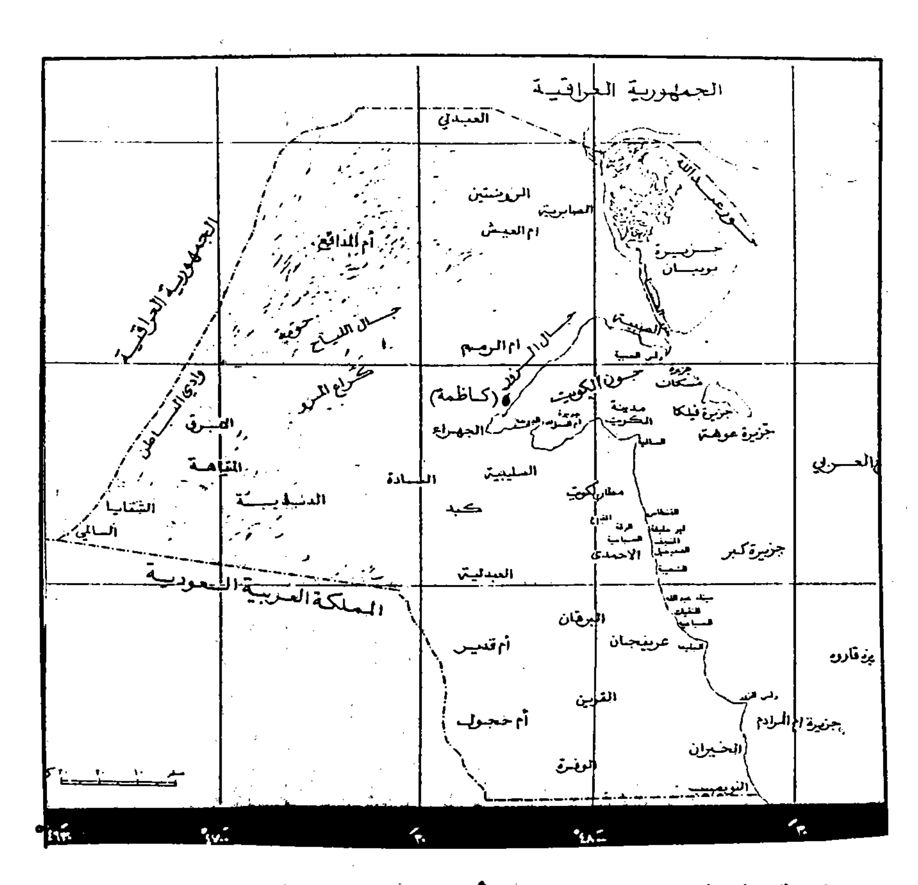


موقع بلدة (أباض) التي اتخذها نجدة بن عامر قاعدة لحكمه ـ ص٤٣

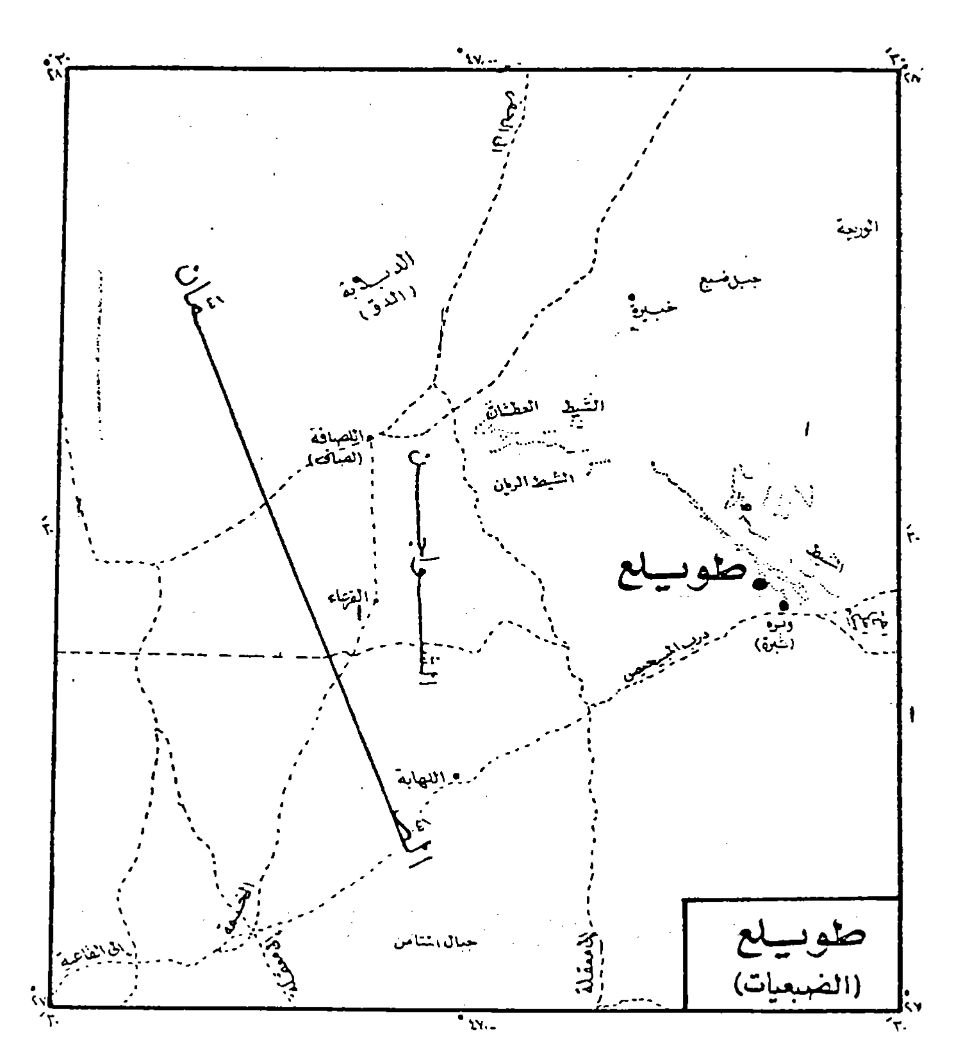
بلدة (المجازة) حيث انتصر نجدة على العامريين سنة ٦٦هـ



انظر الكلام عن وقعة المجازة ص ٥١

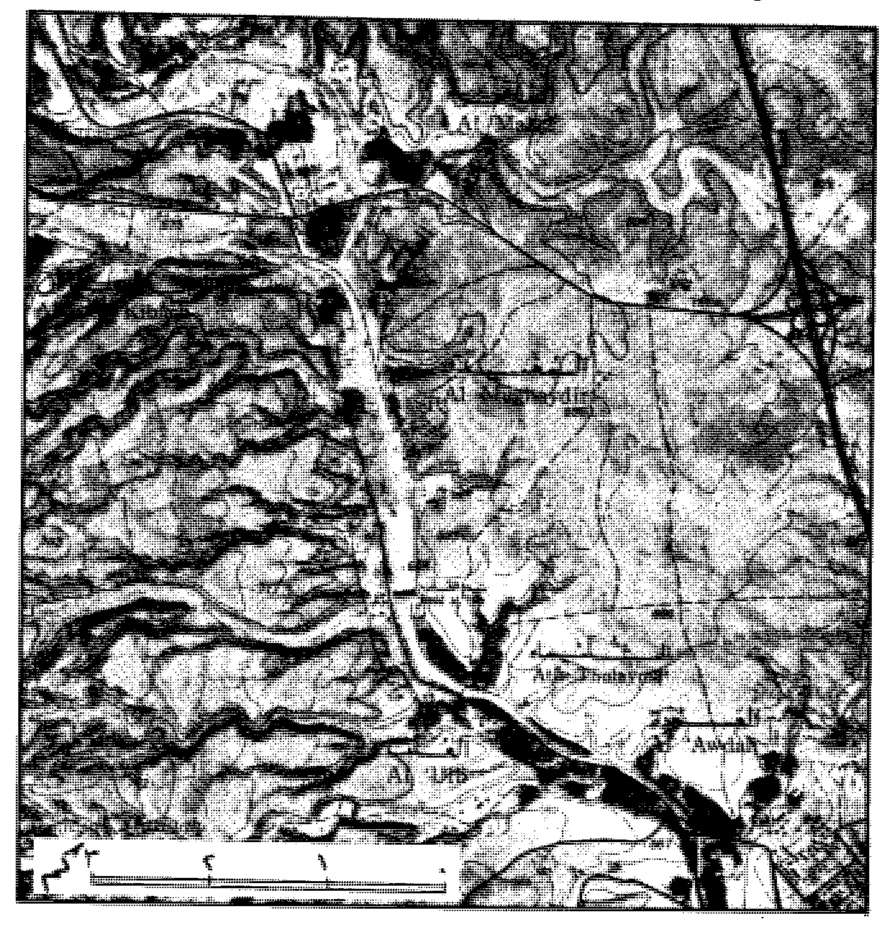


موقع (كاظمة) حيث قاتل بنو تميم أصحابَ نجدة ـ الخبر مفصلا ص ٧٠

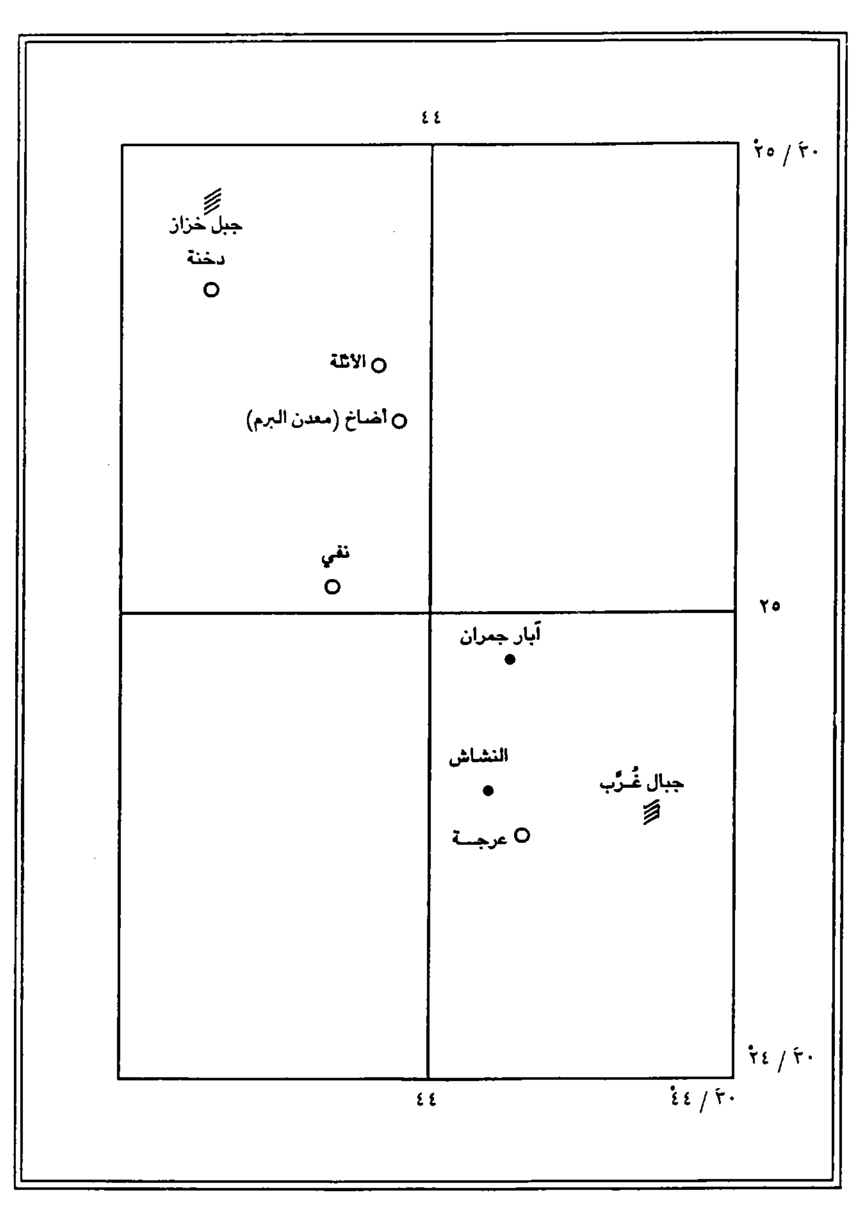


موقع (طويلع) حيث أغار جيش نجدة بن عامر على بني تميم ص ٧١

موقع تقريبي لرحبة العقير وقصر عقران (عجران)



*موقع قصر عقران (عجران) وانظر الحديث عنه ص ١٤٢

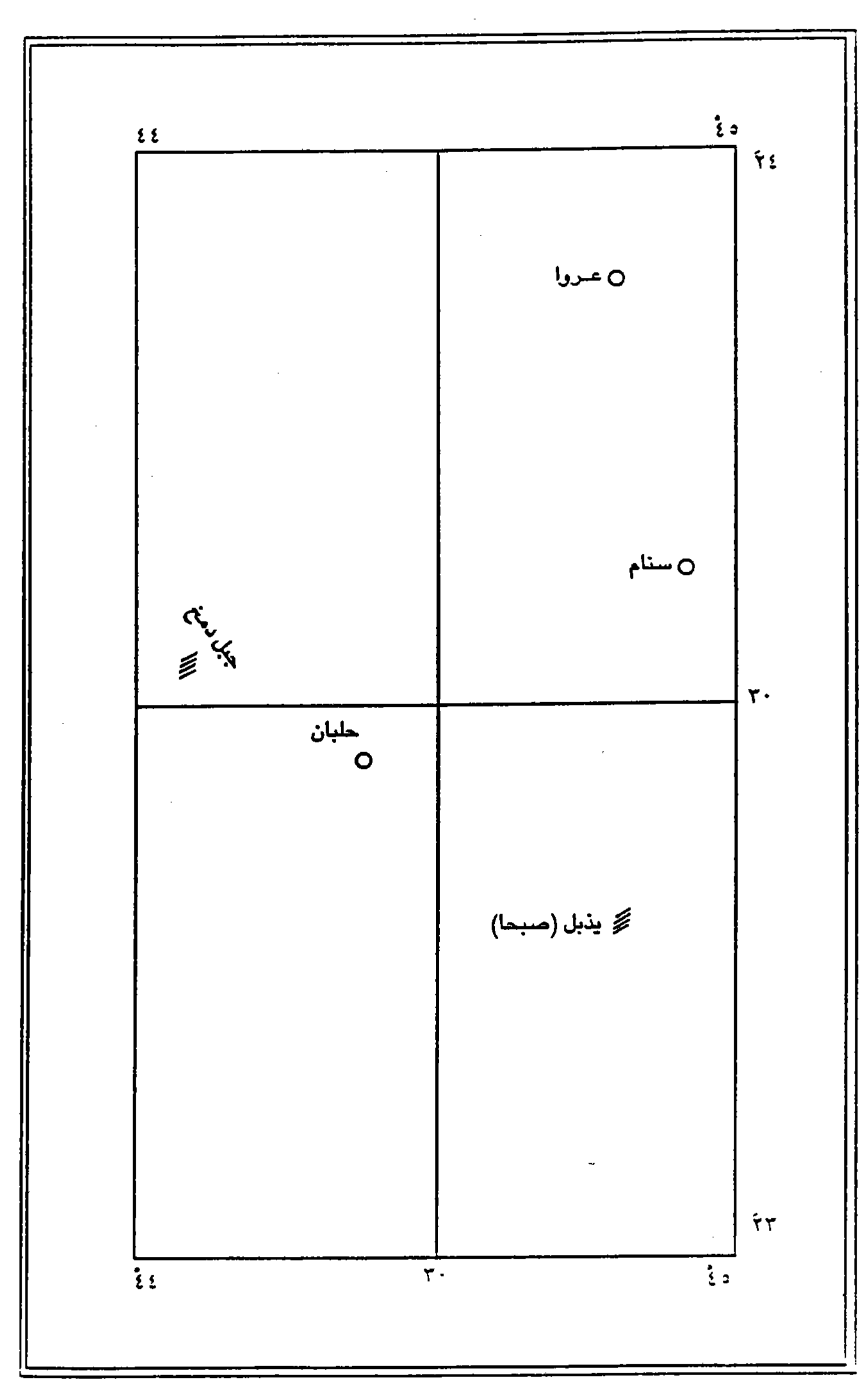


بلدة مسكونة
موقع
جبل

خبر يوم النشاش ص ٢٥٥

خبر يوم معدن الصحراء والحديث

عن أُضاخ والأثلة ص ٢٥٩



طالع خبر يوم حلبان ص ٢٦١

مباحث الكتاب

الصفحة

ولاة اليمامة

المهاجر بن عبد الله الكلابي - في عهد هشام بن عبد الملك ـ: ١١٣/ ٢١٥/ ٢٣١

علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي العامري : ١١٣/ ٢٣٢/ ٢٤٥/ ٢٤٨/ ٢٤٩

المهير بن سُلْمِيٍّ الحنفي : ١٣/ ٢٣٠/ ٢٣٢/ ٢٣٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٨/ ٢٤٩

عبد الله بن النعمان الحنفي: ٩٧/ ١١٤/ ٢٣٦/ ٢٤٥/ ٢٤٨/ ٢٥٠/ ٢٥٥

المثنى بن يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري: ١١٤/ ١٣٨/ ٢٦١/ ٢٦٣

الأعـــــلام

لكثرة ورود أسماء المؤرخين المذكورة كتبهم في المصادر لم يكرر ذكرهم في هذا الفهرس

الأسر والقبائل والجماعات

المواضع

المصادر والمراجع

١ ـ «القرآن الكريم».

٢ ـ «أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار» تأليف : محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، المتوفى في منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً ـ تحقيق : رشدي الصالح ملحس. طبعة دار الأندلس (بدون تاريخ) أسبانيا.

٣ ـ «أدب الخواص» تأليف : الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (٣٧٠/ ٤١٨هـ) الرياض ١٤٠٠هـ.

٤ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» تأليف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (٣٦٨/ ٤٦٣هـ).

٥ ـ «أسد الغابة في معرفة الصحابة» : تأليف : علي بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير — طبع طهران سنة ١٣٧٧هـ).

٦ ـ «أسماء المغتالين من الأشراف» تأليف: محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ ـ في مجموع (نوادر المخطوطات) مطبعة مصطفى الحلبي بمصر سنة١٣٩٣هـ.

٧ ـ «الاشتقاق» تأليف : محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣/ ٣٢١هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون.

٨ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣/ ٨٥٢هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة.

٩ ـ «الأغاني» تأليف: علي بن الحسن الأصفهاني (٢٨٤/ ٣٥٦هـ) طبعات مختلفة.

١٠ ـ «الإكليل» تأليف: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ـ تحقيق: محمد بن علي الأكوع ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.

١١ ـ «الألفاظ» تأليف: يعقوب بن إسحاق بن السكيت (١٨٦/ ٢٤٤هـ).

١٢ ـ «الأمالي» : تأليف : إسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨/ ٣٥٦هـ) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م).

١٣ ـ «الأنساب» تأليف: عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ـ لبنان ١٤٠٨هـ.

١٤ ـ «أنساب الأشراف» تأليف: أحمد بن جابر البلاذري ـ (من أهل القرن الثالث) أوفى نسخة من هذا الكتاب الذي دعاه مؤلفه (جُمل أنساب الأشراف وأخبارهم) هي المخطوطة الموجودة في خزانة الرباط تحمل رقم (٧ جلاوي) وتحوي كل ما هو معروف من أجزاء هذا الكتاب وتقع في مجلد بالقطع الكبير يقارب ألف صفحة وعن مصورتها اعتمدت في النصوص التي نقلتها عنه سوى يسير عن المخطوطة الألمانية من الجزء الحادي عشر الذي طبعه المستشرق الألماني وليم أهلورد في ألمانيا سنة ١٨٨٣هـ كما رجعت إلى ما طبع من أجزائه ومنها الجزء الأول بتحقيق الدكتور محمد حميد الله، والقسم الثالث الذي حققه الدكتور عبد العزيز الدوري سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)في لبنان، والجزء الأول من القسم الرابع الذي حققه الدكتور إحسان عباس وطبع في بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٧٩م) ورجعت أيضاً إلى الأقسام الثلاثة التي نشرت في

القدس من الكتاب.

١٥ ـ «أنساب البلبيسي» تأليف: إسماعيل إبراهيم البلبيسي (٧٢٧/ ٨٠٢هـ) وجمع فيه بين كتابي ابن الإثير والرشاطي في الأنساب، ولا يزال الكتاب مخطوطاً.

١٦ ـ «الأوائل» تأليف: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، المتوفى سنة ٣٩٥هـ تحقيق: د. وليد قصاب ـ محمد المصري، طبع دار العلوم في الرياض.

١٧ ـ «البداية والنهاية في التاريخ» تأليف: اسماعيل بن محمد المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ ـ القاهرة .

١٨ ـ «بلاد العرب» تأليف: الحسن بن عبد الله الأصفهاني (من أهل القرن الثالث الهجري) تحقيق: حمد الجاسر ـ صالح العلي (د) ـ ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

١٩ ـ «البلدان» تأليف: محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/ ٥٨٤هـ) والكتاب مخطوط .

٢٠ ـ «البيان والتبيين» تأليف: عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠/ ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون .

٢١ ـ «تاج العروس» تأليف: محمد مرتضي الزبيدي ـ المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٦هـ.

٢٢ ـ «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام» تأليف : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ تحقيق: محمد محمود حمدان ـ ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

٢٣ ـ «تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري» تأليف: محمد بن ناصر بن أحمد الملحم (رسالة ماجستير)

٢٤ ـ «تاريخ الأمم والملوك» تأليف: محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/ ٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٥ ـ تاريخ خليفة بن خياط» المتوفى سنة ٣٤٠هـ ـ تحقيق: أكرم ضياء العمري (د) ١٤٠٥هـ الرياض.

٢٦ ـ «تاريخ دمشق» تأليف: علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (٤٩٩/ ٥٧١هـ) مصور.

٢٧ ـ « تاريخ أبي زرعة الدمشقي» تأليف: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري ـ المتوفى سنة ٢٨١هـ ـ تحقيق : شكر الله بن نعمة الله القوجاني ـ دمشق (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م).

٢٨ ـ «تاريخ اليعقوبي» تأليف : أحمد بن أبي إسحاق اليعقوبي من أهل القرن الثالث لبنان ١٣٧٩هـ .

٢٩ ـ «تبصير المتبه بتحرير المشتبه» ـ تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣/ ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار ـ علي محمد البجاوي ـ لبنان.

٣٠ ـ «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» تأليف: عبد الله بن حميد السالمي ـ المتوفى سنة ١٣٣٢هـ ـ تحقيق: إبراهيم طفيش الجزائري ـ القاهرة ١٣٥٠هـ.

٣١ ـ «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» تأليف: محمد بن عبد الله آل عبد القادر (من أهل القرن الرابع عشر) علق عليه: حمد الجاسر ـ الرياض ١٣٧٩/ (١٩٦٠م).

٣٢ ـ «التعليقات والنوادر» تأليف: هارون بن زكريا الهجري (من أهل القرنين الثالث والرابع الهجري) ترتيب:

حمد الجاسر - الرياض سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م).
٣٣ - « تفسير ابن كثير» تأليف: إسماعيل بن كثير القرشي - المتوفى سنة ٧٧٤هـ - القاهرة.
٣٤ - «التكملة والذيل والصلة» تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ - تحقيق: عبد العليم الطحاوي - القاهرة (١٩٧٠م).
٣٥ - «تهذيب تاريخ ابن عساكر» تأليف: عبد القادر بن أحمد بن بَدْران الدمشقي المتوفى سنة ١٣٤٦هـ تحقيق: أحمد عبيد - دمشق ١٣٥١هـ.
٣٦ - تهذيب التهذيب» تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣/ ٨٥٢هـ) الهند سنة ١٣٢٥هـ.
٣٧ - «تهذيب اللغة» تأليف محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢/ ٣٧٠هـ) تحقيق : عدد من العلماء - القاهرة.
٣٨ - «جامع انبيان» تأليف: محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/ ٣١٠هـ) .
٣٩- «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» تأليف: محمد بن أبي الخطاب القرشي تحقيق: محمد علي الهاشمي — الرياض ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
٤٠ - «جمهرة أنساب العرب» تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤/ ٤٥٦هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون - القاهرة (دار المعارف).
٤١ - «جمهرة النسب» تأليف: هشام بن محمد بن السائب الكلبي - المتوفى سنة ٢٠٤هـ تحقيق : الدكتور ناجي حسن - لبنان ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م).
٤٢ - «خزانة الأدب» تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠/ ١٠٩٣) تحقيق: عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٩م.
٤٣ - «الخوارج في العصر الأموي» تأليف: سليمان بن عبد الله السويكت - رسالة لم تطبع.
٤٤ - «الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» تأليف: هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ - تحقيق : نوري حمودي القيسي (د) - حاتم صالح الضامن (د) مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٤٠٦هـ.
٤٥ - «دائرة المعارف الإسلامية المعربة» عربها: أحمد الشنتناوي وآخرين. ط دار المعرفة - بيروت.
٤٦ - «الديباج» تأليف : معمر بن المثنى التيمي (١١٠/ ٢٠٩هـ) تحقيق: عبد الله بن سليمان الجربوع (د) - عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (د) - القاهرة ١٤١١هـ (١٩٩١م).
٤٧ «ديوان أوس بن حجر» تحقيق: محمد يوسف نجم - لبنان ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م).
٤٨ - «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب - تحقيق: نعمان محمد أمين طه (د) دار المعارف بالقاهرة.
٤٩ - « ديوان حميد بن ثور الهلالي» تحقيق: عبد العزيز الميمني - القاهرة ١٣٧١هـ (١٩٥١م).
٥٠ - «ديوان الراعي النميري» تحقيق : راينهرت فايبرت - ١٤٠١هـ (١٩٨٠م) لبنان.
٥١ - «ديوان ذي الرمة» : غيلان بن عقبة العدوي - تحقيق: عبد القدوس أبوصالح (د) - دمشق.

٥٢ ـ «ديوان العجاج» رواية: عبد الملك بن قريب الأصمعي ـ تحقيق: عزة حسن (د) لبنان .

٥٣ ـ «ديوان عمرو بن أحمر الباهلي» تحقيق: حسين عطوان (د) ـ دمشق.

٥٤ ـ «ديوان الفرزدق» علق عليه : عبدالله بن إسماعيل الصاوي ـ القاهرة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م).

٥٥ ـ «ديوان القتال الكلابي» تحقيق : إحسان عباس ـ لبنان ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

٥٦ـ «ذيل الأمالي والنوادر» تأليف: إسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨/ ٣٥٦هـ) القاهرة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م).

٥٧ ـ «رغبة الآمل من كتاب الكامل» تأليف: سيد بن علي المرصفي ـ المتوفى سنة ١٣٤٩هـ طبعة طهران .

٥٨ـ «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» تأليف: عبد الملك بن حسين العصامي (١٠٤٩/ ١١١١هـ) القاهرة ١٣٧٩هـ.

٥٩ ـ « السيرة النبوية» تأليف : عبد الملك بن هشام ـ المتوفى سنة ٢١٨ هـ القاهرة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

٦٠ ـ « ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت» تحقيق: نعمان محمد أمين طه ـ القاهرة ١٤٠٧هـ .

٦١ ـ «الشعر والشعراء» ـ تأليف : محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣/ ٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ القاهرة.

٦٢ ـ «صحيح البخاري» ـ كتاب المغازي ـ.

٦٣ـ «صحيح مسلم» .

٦٤ ـ «صفة جزيرة العرب» تأليف: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٨٠/ ٣٣٤هـ) تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ القاهرة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م).

٦٥ ـ «الطبقات الكبرى» تأليف: محمد بن سعد (١٦٨/ ٢٣٠هـ) لبنان ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م).

٦٦ ـ «طبقات الشعراء» تأليف: عبد الله بن المعتز (٢٤٧/ ٢٩٦هـ) تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ـ القاهرة.

٦٧ ـ «طبقات فحول الشعراء» تأليف: محمد بن سلام الجمحي (١٣٩/ ٢٣١هـ) شرحه: محمود محمد شاكر .

٦٨ ـ « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر من تاريخ ابن خلدون » ـ عبد الرحمن بن خلدون المتوفى ٨٠٧هـ ـ ط لبنان ١٩٨٢م.

٦٩ ـ «عالية نجد» (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) تأليف: سعد بن جنيدل ـ الرياض ١٣٩٨هـ.

٧٠ـ «العرب» مجلة صدرت عام ١٣٨٦ ولا تزال مستمرة في الصدور.

٧١ ـ «العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك» تأليف: علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ ـ مصور، ١٤٠١هـ

٧٢ ـ «العصبية القبلية في الشعر الأموي» تأليف: الدكتور إحسان النص ـ دمشق.

٧٣ ـ «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» تأليف: محمد بن أحمد الفاسي (٧٧٥/ ٨٣٢هـ) لبنان ١٤٠٦هـ.

٧٤ـ «العقد الفريد» تأليف: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) تحقيق : مفيد محمد

قميحة ـ لبنان ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م).

٧٥ ـ «عيون الأخبار» لابن قتيبة نسخة مصورة عن ط دار الكتب.

٧٦ ـ «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» تأليف: يحيى بن الحسين بن القاسم (١٠٣٥/ ١١٠٠هـ) تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور (د) ـ القاهرة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

٧٧ ـ «الغرة في أصناف العلوم» مؤلفه مجهول من أهل القرن الثالث، والكتاب مخطوط، كان في مكتبة الأستاذ الزركلي ـ رحمه الله.

٧٨ ـ «فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري» تأليف: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣/ ٨٥٢) تحقيق: عبدالعزيز بن باز ـ القاهرة.

٧٩ ـ «فتوح البلدان» تأليف: أحمد بن جابر بن يحيى البلاذري ـ المتوفى سنة ٢٧٩هـ نشره: صلاح الدين المنجد.

٨٠ ـ «الكامل في التاريخ» تأليف محمد بن محمد بن الأثير ـ المتوفى سنة ٦٣هـ مصور عن الطبعة الأولى.

٨١ ـ «الكامل في الأدب» تأليف: محمد بن يزيد المبرد (٢١٠/ ٢٨٦هـ) تحقيق٠ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٨٢ ـ «كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني ـ المتوفى سنة ١١٦٢هـ ـ تحقيق: أحمد القلاش ـ لبنان ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

٨٣ـ «اللباب في تهذيب الأنساب» تأليف: علي بن محمد بن محمد بن الأثير القاهرة ١٣٥٧هـ.

٨٤ ـ «لسان العرب» تأليف: محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠/ ٧١١هـ) لبنان ١٩٥٥م.

٨٥ ـ «لسان الميزان» تأليف: أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ـ الهند ١٣٢٩هـ.

٨٦ ـ «المحاسن والاضداد» للجاحظ.

٨٧ ـ «المحبر» تأليف: محمد بن حبيب ـ المتوفى سنة ٢٤٥هـ ـ دار الآفاق لبنان.

٨٨ ـ «مختصر كتاب البلدان» تأليف: أحمد بن محمد الهمذاني ـ لبنان ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

٨٩ ـ «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة مكتبة راغب باشا.

٩٠ ـ «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» تأليف: حمد الجاسر ـ الرياض ١٣٨٦هـ.

٩١ ـ «مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ» تأليف: علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ ـ القاهرة ١٣٤٦هـ.

٩٢ ـ «مسند الإمام أحمد» ط دار المعارف بمصر.

٩٣ـ «المعارف» لابن قتيبة تأليف: عبد الله بن مسلم (٢١٣/ ٢٧٦هـ) تحقيق: ثروت عكاشة ـ دار الكتب بالقاهرة ١٩٦٠م.

٩٤ـ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (قسم المنطقة الشرقية ـ البحرين قديماً ـ) تأليف: حمد الجاسر ـ الرياض ١٣٩٩م.

٩٥- «معجم الأدباء» تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٥/ ٦٢٦هـ) القاهرة.

٩٦ - «معجم البلدان» تأليف: ياقوت بن عبدالله الحموي (٥٧٥/ ٦٢٦هـ) بيروت١٣٧٤هـ.

٩٧ - «معجم الشعراء» للمرزباني : محمد بن عمران بن موسى - المتوفى سنة ٣٨٤هـ - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج - القاهرة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م).

٩٨ - «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» تأليف: عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ - تحقيق: مصطفى السقا - القاهرة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م).

٩٩ - المغازي» تأليف: محمد بن عمر الواقدي - المتوفى سنة ٢٠٧هـ - تحقيق: مارسدن جونس (د) - لبنان ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

١٠٠ - «المفصل في تاريخ العرب» د. جواد علي ط المجمع العلمي العراقي.

١٠١- «مقالات الإسلاميين» تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠/ ٣٢٤هـ) القاهرة.

١٠٢ «المكاثرة عند المذاكرة» تصنيف: جعفر بن محمد الطيالسي - من علماء القرن الرابع الهجري - تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي - اصطنبول.

١٠٣ - «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا.

١٠٤ - «منتهى الطلب من أشعار العرب» تأليف: محمدبن المبارك بن ميمون، المتوفى سنة ٥٩٧هـ - المانيا ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) مصور.

١٠٥ - «الملل والنحل» للشهرستاني ط ١٣١٧هـ القاهرة.

١٠٦ - «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» ولعله كتاب «الطريق» للقاضي محمد بن خلف بن حيان (وكيع) تحقيق ، حمد الجاسر - الرياض ١٣٨٩هـ.

١٠٧ - «المُنَمَّق في أخبار قريش» تأليف: محمد بن حبيب البغدادي - المتوفى سنة ٢٤٥هـ تحقيق: خورشيد أحمد فاروق - لبنان ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

١٠٨ - «المؤتلف والمختلف» تأليف: الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج - القاهرة ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

١٠٩- «نسب معد واليمن الكبير» تأليف: هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) تحقيق: ناجي حسن (د) لبنان ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

١١٠- «نسب قريش» تأليف: مصعب بن عبد الله الزبيري (١٥٦/ ٢٣٦هـ) تحقيق: إ. ليفي بروفنسال .

١١١- «النقائض» نقائض جرير والفرزدق - ليدن ١٩٠٥م.

١١٢ - «نهاية الأرب في فنون الأدب» تأليف: أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧/ ٧٣٣هـ) القاهرة.

١١٣ - «الوافي بالوفيات» للصفدي.

١١٤ ـ «الوحشيات» ـ الحماسة الصغرى ـ لأبي تمام تحقيق: الشيخ عبد العزيز الميمني ط ١٩٦٣م ـ القاهرة.
١١٥ ـ «ولاة اليمامة» دراسة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ تأليف: صالح بن سليمان الوشمي (د) ـ الرياض ١٤١٢هـ.
١١٦ «الهفوات النادرة» تأليف: محمد بن هلال الصابي ـ المتوفى سنة ٤٨٠هـ ـ تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ـ سوريا ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).